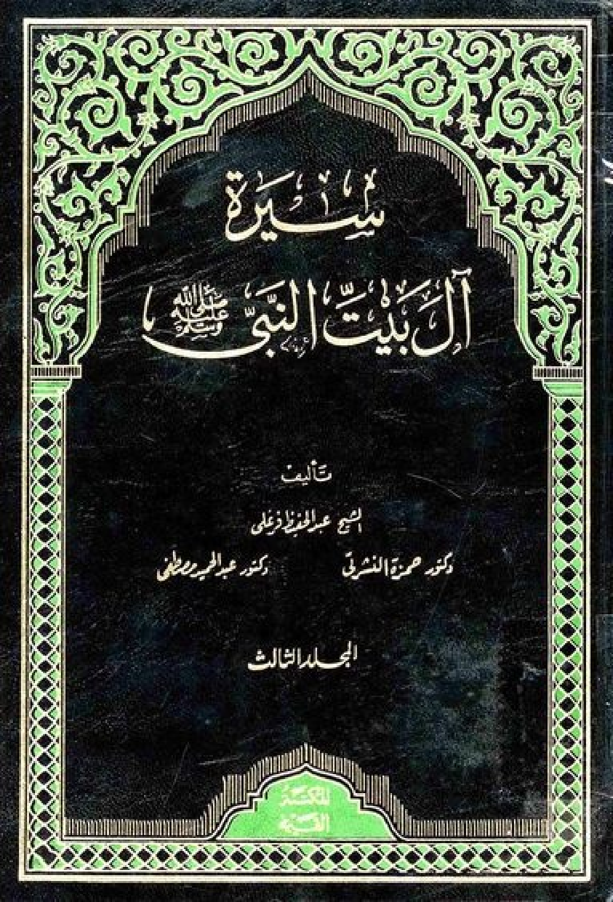

سيرة
آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
تأليف
الشيخ عبد الحفيظ فرغلي
دكتور حمزة النشرتي
دكتور عبد الحميد مصطفى
المجلد الثالث

سلسلة

آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم



دكتور
حمزة النشرتي

الشيخ
عبد الحفيظ فرغلي

دكتور
عبد الحميد مصطفى

المجلد الثالث


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

- نسبه
- نشأته
- بين جعفر وأبي حنيفة
- مروياته
- العلوم التي حصلها
- جابر بن حيان يتتلمذ على الإمام جعفر
- تأثر جابر بالإمام
- علمه بالكونيات
- حكمته
- قصد العلماء له
- من كلماته المضيئة
- قوة حجته
- الإمام جعفر والسياسة
- جعفر والمنصور
- أخلاق الصادق
- كرمه وشجاعته
- صبره
- كتاب الجعفر
- وفاته

الإمام جعفر الصادق

هو الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ، ابن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنهم -

أمه - هى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -

اجتمع له علو النسب وكرم المحتد وشرف الأصل ، وجلال العلم ، فأبوه الباقر - رضى الله عنه - كان - كما علمنا - بحرا زاخراً فياضاً فى العلوم والحقائق وقد لقب الباقر لأنه بقر العلم واستخرج كنوزه .

وجده زين العابدين درة البيت الهاشمى ، وابن الحسين سبط الرسول الذى قال - صلى الله عليه وسلم - فى حقه « حسين منى وأنا من حسين - أحب الله من أحب حسيناً » . . . .

وقد ورث الحسين علم أبيه الواسع الذى جاء فى حقه قول النبى - صلى الله عليه وسلم - « أنا مدينة العلم وعلى بابها »

فهذا نسبه من جهة أبيه وقد سبق أن تحدثنا عنه .

أما نسبه من جهة أمه ، فيكفى أن يكون جده لأمه - هو القاسم بن محمد ابن أبى بكر وقد علمنا أن أم القاسم هى ابنة ملك فارس « يزدجرد » وهى إحدى بنات ثلاث تزوج إحداهن الحسين فأنجبت له علياً زين العابدين ، وتزوج الثانية محمد بن أبى بكر فأنجبت له القاسم ، وتزوج الثالثة عبدالله بن عمر فأنجبت له سالماً .

وكان هؤلاء الثلاثة زينة عصرهم علماً وفضلا وتقى .

القاسم بن محمد:

وقد مات محمد أبوالقاسم بمصر ، وكان القاسم صغيراً فضمته عائشة ـ رضي الله عنها ـ إليها هو وإخوته ، فنشأ في كنفها ، وتربى في حضنها ، وتلقى منها حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال القاسم ـ رضي الله عنه ـ : كانت عائشة تحلق رءوسنا عشية عرفة ، ثم تحلقنا وتبعثنا إلى المسجد ، ثم تضحى عندنا من الغد .

وقد روى القاسم عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وأسلم مولى عمر ، وعبدالله بن عبدالله بن عمر ، وصالح بن خوّات بن جُبَيْر الأنصاري . وكان القاسم زاهداً ورعاً أميناً مجتهداً . .

فمن أمانته أنه كان إذا حدث بالحديث حدث به على حروفه . وكان يتوقف في تفسير القرآن ، وكان لايجيب إلا في الشيء الظاهر . وربما كان يجيب بقول : أرى أن الأمر كذلك . . . . ومعنى ذلك أنه كان لايتعصب لرأيه .

وحدث عنه يحيى بن سعيد أنه قال : لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعلم مالافترض الله عليه خير له من أن يقول مالا يعلم .

وإذا تكلم الناس في القدر قال لهم : كفوا عما كف الله عنه ، وكان يلعن القدرية . . . قال عكرمة بن عمار : سمعت القاسم وسالماً يلعنان القدرية .

ومن شدة ورعه كان يمتنع عن إملاء الحديث . . ؟ حدث عبدالله بن العلاء قال : سألت القاسم أن يملي عليَّ أحاديث ـ فقال : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأمر الناس أن يأتوه بها ، فلما أتوه بها أمر بتحريقها ، ثم قال : مثناة كمثناة أهل الكتاب ؟

قال : فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثاً .

وكانت حجة عمر ـ رضى الله عنه ـ يومئذ خوفه من اختلاط الحديث بالقرآن ، لما رأى من كثرة المحدثين وإقبالهم على كتابة الحديث . ولم يُجْمَعْ الحديث كما نعلم إلا فى عهد عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ .

أما عن زهده فإنه كان يعزف عن قبول الصِّلات . حدث حماد بن سلمة قال : أخبرنا حُمَيْد عن سليمان بن قَتَّة قال : بعث معى عمر بن عبيدالله بألف دينار إلى عبدالله بن عمر ، والقاسم بن محمد ، فأتيت بن عمر وهو يغتسل فى مُسْتَحَم له ، فأخرج يده فصببتها فى يده ، فقال : وصلته رحم ، لقد جاءتنا على حاجة .

فأتيت القاسم بن محمد فأبى أن يقبل . فقالت امرأته : إن كان القاسم بن محمد ـ ابن عمه فأنا ابنة عمته ، فأعطنيها . فأعطاها إياها .

وعن على بن عبدالله بن جعفر قال : سمعت سفيان ـ ذكر القاسم بن محمد بن أبى بكر ، فذكر فضله ، ثم قال : وكان ابنه عبدالرحمن بن القاسم له فضل ـ قال سفيان : فسمعهم عبدالرحمن وهم يكلمون أباه فى شىء من صدقة كان وليها . فقال : والله إنكم لتكلمون رجلاً مانال منها ثمرة قط .

وكان له مجلس فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم فيه الناس .. حدث عبدالرحمن بن أبى الموالى قال : رأيت القاسم بن محمد يأتى المسجد أول النهار ، فيصلى ركعتين ثم يجلس بين الناس فيسألونه :

وكذلك أخبر إسماعيل بن عبدالله بن أبى أويس عن عبدالرحمن بن أبى الموالى : أن القاسم كان يأتى من بيته إلى المسجد فيصلى ويقعد للناس ويقعدون إليه بُكْرة .

لقد اجتمع إليه علم عمته عائشة ـ رضى الله عنها ـ إلى جانب علم من روى عنهم من الصحابة الأجلاء ، حتى بلغ فى العلم شأواً بعيداً ، وكان أحد الذين يقصدهم الناس لتلقى العلم . .

قال عنه ابن سعد : كان رفيعاً عاليا فقيهاً إماما كثير الحديث ورعاً ، وكان يكنى أبا محمد ، وتوفى عن اثنتين وسبعين عاما سنة ثمان ومائة .[1]

لقد كان القاسم أحد الفقهاء السبعة الذين اجتمع لهم العلم فى المدينة .

لقد اختار الباقر لأولاده فأحسن الاختيار . وكان حكماء العرب يقولون : إن الولد ليُرَبَّى قبل أن يُولد ، ومعنى ذلك أنه يحسن له اختيار الأم التى تحمله وتضعه وترضعه وتتعهده بالرعاية . . وهو معنى الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس »

فها نحن نرى أن محمداً أبا جعفر قد اختار كريمة من كرائم العرب ـ زوجة له ـ وهى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر ـ حفيدة أبى بكر الصديق حبيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفيه وصاحبه فى الغار وأول خليفة له من بعده ، والذى قال الرسول فى حقه « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً »

فالتقت فى ولده من هذه العقيلة المصفاة أخلص خصائص العرب ، وأنقى صفات الأصفياء . كانت فيه شجاعة على بن أبى طالب ، وفدائية الصديق وصفاته ، والتقى فيه علم علىٍّ وأناة الصديق وصبره . . . قال عنه الشهرستانى فى الملل والنحل : هو من جانب أبيه ينتسب إلى شجرة النبوة ،

---

(١) الطبقات ٥/ ١/ ١٣٩

ومن جانب الأم ينتسب إلى أبي بكر ـ رضى الله عنه ـ

وقد وهم بعض الرواة فقال إن أم القاسم هى بنت عبدالرحمن بن أبي بكر . . ولكن هذا لايعقل ـ وقد جاء الوهم من أن القاسم هو الذى تزوج بنت عمه ـ قريبة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ، فأعقب منها أم فروة ـ وهى أم جعفر ـ وأم حكيم ، وعبدة . كما أعقب منها عبدالرحمن بن القاسم .

نشأته :

نشأ جعفر الصادق فى حضن والده العظيم محمد الباقر ، ومنه تلقى علومه الأولى التى كونت شخصيته .

وكانت ولادته فى حدود سنة ثمانين من الهجرة أو فوقها بقليل ، أو قبلها بقليل ، وقيل : إنه ولد فى العام الذى ولد فيه عمه زيد بن على ، وأبوحنيفة النعمان فقيه العراق . .

كانت سنه حين مات جده على زين العابدين أربع عشرة سنة تقريباً فى الوقت الذى كان ذهنه قد تفتح ، وجنانه قد استيقظ ، ولاشك أنه قد استفاد وهو فى تلك السن المتحفزة من علوم جده زين العابدين ، بالاضافة إلى مأخذه من والده . وبذلك يكون قد تغذى علميا من رافدين عظيمين ـ جده وأبيه .

وكانت نشأته فى المدينة المنورة التى هى مقصد العلماء وملتقى الركبان ومهوى أفئدة النابهين والمتعلمين . وفى مسجدها النبوى العامر بالهدى والنور كانت تعقد حلقات العلم ومجالسه ، حيث يتصدر كواكب التابعين هذه المجالس التى تضرب لها أكباد الإبل من كل مكان . . من أمثال سعيد ابن المسيب سيد التابعين ، وابن شهاب الزهرى ، وسفيان الثورى ،

والقاسم بن محمد ـ جده .

وقد كانت سن جعفر حين مات جده لأمه ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر ـ في حدود الثامنة والعشرين ، وهى سن تشهد بأنه أخذ من علوم جده لأمه الكثير ، وقد كان القاسم أحد الفقهاء السبعة في المدينة . وكان إلى جانب روايته للحديث فقيهاً ، نقّاداً ـ قال عنه تلمذه أبوالزناد عبدالله بن ذكوان :

مارأيت فقيهاً أعلم من القاسم ، وما رأيت أحداً أعلم بالسنة منه .

لقد بلغ من ورع القاسم وفقهه وأمانته وقدرته أن قال عنه عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ : لو كان لى من الأمر شيء لاستخلفت فقيه بنى تيم . ـ يقصد القاسم ـ لأنه من بنى تيم .

وقد صحب جعفر أباه الباقر أربعاً وثلاثين سنة ، فقد مات أبوه ـ ولجعفر هذه السن . ومعنى ذلك أنه كان قد بلغ أشده واستوى ، وأصبح قادراً على حمل علوم أبيه وحكمته . وبلغ شهرة فاقت الحد وأخافت السلطان في بغداد . .

كان أمير المؤمنين في ذلك الوقت أبا جعفر المنصور الذى كان ينظر إلى أحفاد علىّ نظرة مستريبة ، وهو الذى قضى على عبدالله بن الحسن وأولاده . .

ولم يكن يأمن للباقر ولا لأبنائه ـ وإن كان لايستطيع أن يفعل معهم شيئاً ، لأنهم لم يطلبوا الخلافة . . .

كان هؤلاء ـ كما قدمنا ـ يخلصون الإخلاص كله للعلم ، ويلزمون المدينة حرصاً عليه ، ورغبة في تعليمه الناس . واكتفوا بهذا السلطان

الروحى الذى صنع لهم أعظم منزلة فى نفوس الناس .

ومع هذا فقد كان ذلك يريب المنصور ـ كما يقول بعض الرواة ـ

ومما يشير الى إسترابة المنصور فى جعفر الصادق . . . . مايرويه أبوحنيفة النعمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى أبوجعفر المنصور : ياأبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهيىء له من المسائل الشداد مايعجز عنه ـ قال : فهيأت له أربعين مسألة ، والتقى الإمامان بالحيرة فى حضرة المنصور .

قال أبوحنيفة فى وصف هذا اللقاء : أتيته ـ أى المنصور فدخلت عليه ، وجعفر بن محمد الصادق ـ جالس عن يمينه ، فلما بصرت به دخلتنى من الهيبة لجعفر الصادق ـ ابن محمد ـ مالم يدخلنى لأبى جعفر المنصور ، فسلمت عليه ، وأومأ ـ أى المنصور ـ فجلست .

ثم التفت المنصور إلى جعفر ـ وقال : ياأبا عبدالله ، هذا أبوحنيفة .

فقال الصادق : نعم .

ثم التفت المنصور إلىَّ فقال : ياأبا حنيفة ـ ألق على أبى عبدالله من مسائلك .

قال أبوحنيفة : فجعلت ألقى عليه فيجيبنى ، فيقول : أنتم تقولون كذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ، ونحن نقول كذا . .

فربما تابعنا ، وربما تابعهم ، وربما خالفنا .

حتى أتيت على الأربعين مسألة ، ماأخل منها بواحدة .

ثم قال أبوحنيفة : إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس[٢]

---

(٢) دائرة معارف الشعب جـ٢ صـ٤٧٢ ـ مقال الشيخ أبى زهرة عن جعفر الصادق

بين جعفر وأبى حنيفة :

وقد أشارت القصة المتقدمة إلى اللقاء الذى دبره المنصور بين أبى حنيفة وجعفر الصادق ، وكان أبوحنيفة لم ير الصادق قبل ذلك ، وقد حكم أبوحنيفة بفضل الصادق وعلمه حين قال هذه الكلمة الموجزة الدقيقة . . . « إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس » وقد كان الصادق كذلك .

وربما توثقت العلاقة بعد ذلك بين الرجلين العظيمين ، وبخاصة بعد أن أدرك أبوحنيفة فضل الصادق .

وقد حدثت محاورات شيقة بعد ذلك بينهما .

فمن ذلك مارواه الدميرى فى كتابه « حياة الحيوان » نقلاً عن ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » قال : سأل جعفر الصادق أبا حنيفة ـ رضى الله عنهما ـ : ماتقول فى محرم كسر رباعية ظبى ؟ ـ الرباعية إحدىٰ الأسنان الأربع التى تلى الثنايا ـ

فقال أبوحنيفة : لا أعلم مافيه . .

فقال جعفر ـ رضى الله عنه ـ : إن الظبى لايكون رباعياً ، هو ثنى أبداً(٣)

وهذا يبين مدى إحاطة جعفر الصادق باللغة ، ولا عجب فهو ابن قريش ، وسليل بنى هاشم ، ونتاج العرب الذين يعرفون كل شيء فى البادية ، أما أبوحنيفة فهو عراقى ـ

وربما نصح جعفر الصادق أباحنيفة فى عدم الاعتداد بالقياس الذى يقال : إنه أولع به .

---

(٣) حياة الحيوان جـ٢ صـ١٨٤ مادة ظبى

فقد روى أبونعيم فى حليته ، والدميرى فى كتابه ـ أن جعفر الصادق قال لأبى حنيفة : اتق الله ولا تقس الدين برأيك ، فإن أول من قاس برأيه إبليس ، إذ قال : أنا خير منه ، فأخطأ بقياسه ـ

ثم قال له جعفر : أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟

قال : لا

قال جعفر : هل علمت ماالملوحة فى العينين ، والمرارة فى الأذنين والحرارة فى المنخرين والعذوبة فى الشفتين ؟

قال : لا

قال : فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان ؟

فقال ابن أبى ليلى : يابن رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التى سألته عنها :

فقال : أخبرنى أبى عن جدى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إن الله ـ تعالى ـ بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة فى العينين لأنهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا .

وإن الله ـ تعالى ـ بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة فى الأذنين حجاباً من الهوام فإن دخل شىء منها والتمست الدماغ فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج .

وإن الله ـ تعالى ـ بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة فى المنخرين يستنشق بها الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ .

وإن الله ـ تعالى ـ بمنه وكرمه ورحمته لابن آدم جعل العذوبة فى الشفتين ليجد بها استطعام كل شىء ويسمع الناس بها حلاوة منطقه .

قال : فأخبرنا عن الكلمة التى أولها كفر وآخرها إيمان .

قال : إذا قال العبد : لا إله .. فقد كفر ، فإذا قال : إلا الله ـ فهو إيمان .

ثم أقبل جعفر على أبي حنيفة فقال : يانعمان ، حدثنى أبي عن جدى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أول من قاس فى الدين برأيه إبليس . أمره الله ـ تعالى ـ أن يسجدْ لآدم ، فقال : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .. فمن قاس الدين برأيه فقد أخطأ .

زاد ابن شبرمة فى حديثه : ثم قال جعفر : أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا ؟

قال : قتل النفس

قال : فإن الله ـ عز وجل ـ قبل فى قتل النفس شاهدين ، ولم يقبل فى الزنا إلا أربعة .

ثم قال : أيهما أعظم الصلاة أم الصوم ؟

قال : الصلاة

قال : فما بال الحائض تقضى الصوم ولاتقضى الصلاة ؟ فكيف ويحك يكون القياس ؟ فابتعد عن قياس الدين برأيك[٤]

وزاد الدميرى فإنا نقف غداً بين يدى الله فنقول : قال الله وقال رسول الله ، ويقول أصحاب القياس : سمعنا ورأينا فيفعل الله بنا وبكم مايشاء .

والجواب عن المسألتين الأخيرتين ـ هو أن الزنا لايقبل فيه إلا أربعة طلباً

---

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهانى جـ٣ صـ١٩٧

للستر ، وفى أن الحائض لاتقضى الصلاة دفعاً للمشقة ، لأن الصلاة متكررة فى اليوم والليلة خمس مرات بخلاف الصوم فإنه فى السنة مرة(٥)

وقد مر بنا فى حديثنا عن الباقر ـ رضى الله عنه ـ أن أبا حنيفة هو الذى سأل الباقر عن بعض المسائل ليدفع عن نفسه الاتهام بأنه يقيس الدين برأيه . .

ولايبعد أن يكون أبوحنيفة قد التقى بكل من الباقر وجعفر ، وقد كان فى عصرهما معاً . ولامانع أن تكون تهمة القياس بالرأى قد وجهت إليه من كليهما . . وإن كان الاضطراب والاختلاف فى الروايات يجعلنا نتحفظ فى قبولها . .

ومن المعروف أن القياس لايكون إلا فيما ليس فيه نص ، وهو بمعنى الاجتهاد بالرأى وهو أحد مصادر التشريع الإسلامى . .

وأبوحنيفة أفطن الناس لذلك ، وكان بمقدوره لو أن هذه المحاورة جرت بهذه الصورة بينه وبين جعفر الصادق ـ أن يرد بما فيه إقناع لجعفر ـ ولكن أباحنيفة كان يكن كل تقدير وإجلال لجعفر الصادق وأبيه ، فلم يشأ أن يواجهه بالرد أدباً منه ، وليترك لنفسه الفرصة فى الاستفادة من علمه . .

مروياته

لقد أسند جعفر الصادق عن أبيه ، وعن عطاء بن أبى رباح ، وعن عكرمة ، وعن عبيد بن أبى رافع ، وعن خاله عبدالرحمن بن القاسم وغيرهم .

---

(٥) حياة الحيوان جـ٢ صـ١٨٤

كما روى عن جعفر علة من التابعين ... منهم يحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبو أيوب السختيانى ، وأبان بن تغلب ، وأبوعمرو بن العلاء ، ويزيد بن عبدالله بن الهاد ..

وحدث عنه من الأئمة الأعلام مالك بن أنس ، وشعبة بن الحجاج ، وسفيان الثورى ، وابن جريج ، وروح بن القاسم ، وسفيان بن عيينة . وسليمان بن بلال ، وإسماعيل بن جعفر ، وحاتم بن إسماعيل ، وعبدالعزيز ابن المختار ، ووهب بن خالد ، وغيرهم .

وأخرج عنه مسلم بن الحجاج فى صحيحه محتجاً بحديثه ....

فمن أحاديث مسلم :

حدثنا أبى ـ رحمه الله ـ ثنا صهبان بن أحمد ، ثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر فى حديث أسماء بنت عميس ـ حين نفست بذى الحليفة ـ أن رسول الله ـ صلى لله عليه وسلم ـ أمر أبا بكر يأمرها أن تغتسل وتهل .

قال أبونعيم : هذا حديث صحيح ثابت ، أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى غسان محمد بن عمرو ـ عن جرير ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، عن تابعى أهل المدينة .(٦)

ومنها : حدثنا أبوبكر الطلحى ، ثنا عبدالله بن محمد بن صبيح ، ثنا محمد بن عمرو بن وليد ، ثنا إسحاق بن منصور ، عن سلام بن أبى مطيع ـ أثنى عليه ـ عن أيوب السختيانى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : لما طعن عمر ـ رضى الله عنه ـ بعث إلى حلقة من أهل بدر كانوا يجلسون بين

(٦) الحلية ٣ /١٩٩

القبر والمنبر ، فقال : يقول لكم عمر : أنشدكم الله ، أكان ذلك عن رضاً منكم ؟ فتلكأ القوم ، فقام على بن أبى طالب ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ، فقال : لا ، وددنا أنا زدنا فى عمره من أعمارنا .

قال أبونعيم : هذا حديث غريب من حديث أيوب وجعفر ـ وأيوب من تابعى البصرة[٧]

ومنها : حدثنا محمد بن إبراهيم وتميم العزوى الربيعى ، ثنا محمد بن خلف ، ثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال : حدثنى عمى أبوالحسين بن موسى عن عمه على بن جعفر عن أبان بن تغلب ، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه ـ رفعه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « إن الله يحب أبناء السبعين ، ويستحى من أبناء الثمانين »

قال أبونعيم : هذا حديث غريب من حديث بن جعفر وأبان ، لم نكتبه إلا بهذا الإسناد ـ وأبان بن تغلب هو من تابعى الكوفة[٨] . . . .

ومن الأحاديث التى رواها جعفر الصادق مارواه عن أبيه عن جابر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »

قال أبوجعفر ـ فقال لى جابر : من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة ؟

وقال أبونعيم : هذا حديث غريب من حديث جعفر ومحمد بن ثابت لم يروه عنه إلا أبوداود .[٩]

---

(٧) المرجع السابق

(٨) الحلية ٣ / ٢٠٠

(٩) المرجع السابق

● وحدث يحيى بن العلاء عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : جاء أعرابى إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يامحمد ، اعرض علىَّ الإسلام .

قال : « تشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله »

قال : تسألنى عليه أجراً ؟

قال : « لا إلا المودة فى القربى »

قال : قرباى أو قرباك ؟

قال : « قرباى »

قال : هات أبايعك .... فعلى من لايحبك ولا يحب قرباك لعنة الله ..... قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « آمين »

قال أبونعيم : هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد لم نكتبه إلا من حديث يحيى بن العلاء ـ وهو كوفى ولى قضاء الرى(١٠)

وهذا الحديث يشير إلى فضائل أهل البيت ، ويبين معنى قوله ـ تعالى ـ :

« قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى »

● وحدث حماد بن عيسى الجهنى قال : ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ « سلام عليك أبا الريحانتين ، أوصيك بريحانتى من الدنيا خيراً ، فعن قليل ينهد ركناك ، والله خليفتى عليك »

قال : فلما قبض النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال علىٌّ : هذا أحد

---

(١٠) الحلية ٣ /٢٠١

الركنين الذى قال النبى - صلى الله عليه وسلم -

فلما ماتت فاطمة - رضى الله تعالى عنها - قال على - رضى الله عنه - هذا الركن - الذى قال النبى - صلى الله عليه وسلم - - أى الركن الثانى -

قال أبونعيم : هذا حديث غريب من حديث جعفر - تفرد به عنه حماد بن عيسى . .(١١)

وهو حديث يشيد بمنزلة الحسن والحسين - رضى الله عنهما - فهما ريحانتا النبى - صلى الله عليه وسلم - فى الدنيا .

وهذه الأحاديث رواها جعفر عن أبيه عن جابر بن عبدالله . .

ولم يلتق الباقر بجابر إلا فترة قليلة ، استطاع الباقر فى خلالها أن يغترف من مرويات جابر ماستطاع .

وقد سبق فى ترجمة الباقر أن قلنا إن جابراً حمل سلام النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى الباقر ، وقد قال له النبى - صلى الله عليه وسلم - : « ياجابر يولد لابنى الحسين ابن يقال له على ، فإذا كان يوم القيامة ينادى مناد : ليقم سيد العابدين ، فيقوم على بن الحسين ، ويولد لعلى بن الحسين ابن يقال له محمد - ياجابر إن أدركته فأقرئه منى السلام ، وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل »(١٢)

فسلم جابر - وكان قد كف بصره - على محمد بن على بن الحسين ، وأبلغه سلام جده إليه . ولم يلبث جابر أن توفى بعد هذا اللقاء بقليل . .

---

(١١) المرجع السابق

(١٢) نور الأبصار صـ١٤٣

وانتهز الباقر هذه الفرصة ، فأخذ يتلقى من جابر ماأمكنه أن يتلقاه .

وروى جعفر عن أبيه عن غير جابر أحاديث كثيرة ـ وروى الأحاديث التى رواها أهل البيت . فى سلسلة مشهورة بهم . .

ومن ذلك ماحدث به القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ـ قال : حدثنى أبى عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه على بن الحسين عن الحسين بن على قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام خطيباً على أصحابه فقال : « أيها الناس كأن الموت على غيرنا كُتب ، وكأن الحق على غيرنا وجب ، وكأنَّ الذى شيَّعَ من الأموات سَفْر عما قليل إلينا راجعون ، نأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وأمِنَّا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن طابَ مكسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت علانيته ، واستقامت طريقته . . .

طوبى لمن تواضع لله فى غير منقصة ، وأنفق مما جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، وطوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوته ، ووسعته السُّنة ، ولم يعدل عنها إلى بدعة . ثم نزل »

قال أبونعيم : هذا حديث غريب من حديث العترة الطيبة لم نسمعه إلا من القاضى الحافظ . . . . وَرُوِى هذا الحديث من حديث أنس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ[١٣]

---

(١٣) الحلية ٣/ ٢٠٣

فمن هذه المرويات وغيرها وعى جعفر علماً كثيراً ، وجمع فقها غزيراً ، وكانت له عقلية واعية خصبة أعانته على تفحص الآراء والمذاهب والموازنة بينها ، واستخلاص الرأى الصائب من بينها . وقد شهد له أبوحنيفة ـ رضى الله عنه ـ بذلك فى المحاورة التى دارت بينهما بحضرة أبى جعفر المنصور .

وقد صدق أبوحنيفة فى قولته التى قالها « أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس » . . . لأن العلم باختلاف الفقهاء وأدلة آرائهم ومناهج استنباطهم يؤدى إلى الوصول إلى أحكم الآراء ، سواء أكان من بينها أم كان من غيرها ، فإنها تفتح باب الاستنباط السليم . . . والشافعى ـ رحمه الله ماستطاع أن يضع أصول الاستنباط إلا بعد أن اطلع على فقه المدنيين وفقه العراقيين ، واختلاف الأوزاعى ، واختلاف ابن أبى ليلى ـ فخرج من بعد ذلك بالميزان الصحيح الذى توزن به الآراء ، وخرج بفقه جمع فقه العراق ، وفقه المدينة .... وهو لون آخر غيرهما ، وإن كانت كلها فى ظل كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ(١٤)

اتساع العلوم التى حصلها جعفر

لم يقف الإمام جعفر الصادق عند حدود العلوم الشرعية التى كانت سائدة فى عصره ، ولكنه تجاوزها إلى العلوم الكونية التى تناولها بعض العلماء فى عصره ـ من أمثال جابر بن حيان الذى كان له مزيد اختصاص بجعفر الصادق وكان يلقبه بسيدى جعفر .

قال ابن خلكان : جعفر الصادق أحد الأئمة الاثنا عشر على مذهب الإمامية ـ وكان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته ،

(١٤) أبوزهرة مقال عن جعفر الصادق دائرة معارف الشعب جـ٢ صـ٤٧٢

وفضله أشهر من أن يذكر ، وكان تلميذه جابر بن حيان الصوفى الطرسوسى قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة ، تتضمن رسائل جعفر الصادق وهى خمسمائة رسالة . .[15]

وقبل أن نشير إلى هذه الرسائل نتحدث قليلاً عن جابر بن حيان ، لأن الإنسان يعرف بمخالطيه ، وقديماً قال الشاعر :

لاتسـل عـن المـرء وسـل عن قرينـه   إن القريـن إلـى المقـارن ينسـب

جابر بن حيان :

قال ابن النديم فى كتابه « الفهرست » : هو أبوعبدالله جابر بن حيان بن عبدالله الكوفى المعروف بالصوفى ، واختلف الناس فى أمره ، فقالت الشيعة : إنه من كبارهم ، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ وكان من أهل الكوفة .

وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم ، وله فى المنطق والفلسفة مصنفات وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه فى عصره ، وأن أمره كان مكتوماً

وقيل : إنه كان من المقربين إلى البرامكة وكان منقطعاً إليهم ، وملازماً لجعفر بن يحيى البرمكى ، وربما كان يقصد « بسيدى » جعفر : جعفر بن يحيى البرمكى .

ولكن الشيعة يقولون : إنه كان يقصد جعفر بن محمد الصادق .

قال ابن النديم : إن ماصنفه يشهد بفضله وتقدمه ، وله مصنفات كثيرة

---

(١٥) وفيات الأعيان جـ١ صـ١٠٥

عظيمة ، وله كتب فى الشيعة وكتب فى معان شتى من العلوم ، وله فهرست كبير يحتوى على جميع ماألف فى الصنعة وغيرها ، وله فهرست صغير يحتوى على ماألف فى الصنعة فقط ..(١٦)

وكان جابر بن حيان عالماً مستنيراً ، له مبادىء أشار إليها كثيراً فى مؤلفاته ..... ومن هذه المبادىء ـ إنصاف الخصوم ، وإنصاف النفس أيضاً ـ ويقول فى ذلك : ليس من الإنصاف الكامل أن توفى خصومك حقوقهم ثم تفرط فى حق نفسك عندهم .

ومن المبادىء عنده المثابرة والدأب ومحاربة اليأس فى سبيل الوصول إلى الحقيقة المنشودة ، فما أكثر مايتطلب البحث عناء شديداً قد لايحتمله الباحث فينفض عنه فى قنوط ... ثم يوجه الخطاب إلى الإمام جعفر الصادق فيقول له : وقد سمعت ماجاء به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القنوط ، وأحذرك أن تصير إلى هذه الحال فتندم حين لاينفعك الندم ، والله أعلم بأمرك(١٧)

ومن المبادىء عنده أنه لانجاح فى عمل إلا إذا كان مسبوقاً بعلم ، فالتحصيل النظرى أولاً ، ثم التجربة والتطبيق ..

وكتمان العلم عمن لايستحقه من المبادىء التى كان يدين بها جابر بن حيان ـ وواجب العلماء فى رأيه أن يتكتموا علمهم فلا يكشفوه إلا فى الظروف الملائمة ، وإلا للأشخاص الذين يستحقونه ويطيقون حمله بما يتفق وكرامته ..

---

(١٦) الفهرست لابن النديم صـ٥١٢

(١٧) جابر بن حيان د زكى نجيب محمود صـ٨٣ سلسلة أعلام العرب ..

هذا هو جابر بن حيان الذى اتصلت به حياة جعفر لفترة من الزمن لم تكن طويلة ، ولكنها كانت مؤثرة فى حياة جابر أكثر منها فى حياة جعفر ، كانت هذه الفترة الزمنية فى آخر حياة جعفر وبعد مولد جابر بعشرين سنة تقريباً ، أى من سنة ١٢٨ هـ إلى سنة ١٤٨ هـ . .

ولم تخل حياة جابر من اضطهاد ، فهو إن لم يكن قد اضطهد بسبب اتصاله بجعفر الصادق ، فقد اضطهد بسبب اتصاله بالبرامكة . .

تأثر جابر بجعفر

كان جابر بن حيان متأثراً بجعفر الصادق الذى كان يلقبه بسيدى ومولاى ، ونستشهد لتأثره بهذه الرسالة التى كتبها :

إنى كنت آلفت سيدى ـ رضى الله عنه ـ كثيراً (يقصد به جعفر الصادق) وكنت لهجاً بالأدعية وخاصة ماكان يدعو به الفلاسفة ، وكنت أعرضه عليه ، وكان منها مااستحسنه ، ومنها مايقول عنه : الناس كلهم يدعون بهذا وليس فيه خاصية .

فلما أكثرت عليه علمنى هذا الدعاء ، وهو من جنس دعاء الفلاسفة ، بل إنه لافرق بينه وبين مايدعو به الفلاسفة ، غير أنه قد اختار من دعاء الفلاسفة أجزاء ، وأضاف إليه أجزاء ، وقال لى : لايتم لك الأمر إلا به ـ وعندى ـ أنه لايتم لأحد ممن قرأ كتبى خاصة إلا به ، إن أزال صورة الشيطان عن قلبه وترك اللجاج واستعمل محض الإسلام والدين والنية الجميلة ، وأما مادام الشيطان يلعب به ويزله قصداً ، فليس ينفعه شىء ، وذلك أن اللجاج ليس هو من الشيطان وحده ، إنما هو من فساد النية ، فاتق الله ياهذا فى نفسك ، واعمد إلى ماأوصيك به ، وهذه هى الوصية :

ابدأ بالطهر ، بأن تفيض على بدنك ماءً نظيفاً فى موضع نظيف ، ثم تلبس ثياباً طاهرة نظيفة . . . .

ثم تستخير الله . . . . . وتقول فى استخارتك : اللهم إنى أستخيرك فى قصدى ، فوفقنى وأزغ الشيطان عنى ، إنك تقدر عليه ولايقدر عليك .

فإذا قلت ذلك ألف مرة عمدت إلى موضع طاهر نظيف ، وابتدأت فكبرت الله وقرأت الحمد ، وقل هو الله أحد ـ مائة مرة ، وركعت وسجدت ، ثم قمت وصليت مثل ذلك ، ثم تشهدت وسلمت .

ثم قرأت فى الركعتين الثانيتين مائة مرة : إذا جاء نصر الله والفتح .

وإذا سلمت أعدت مثل الركعتين الأوليين ، وقرأت ـ قل هو الله أحد ـ مائة مرة ثم أعدت اثنتين أخريين بإذا جاء نصر الله والفتح .

ثم صليت ركعتين أخريين وهما تمام العشر ، وقرأت سورة ، ثم أتممت صلاتك .

وإياك أن تكلم أحداً فى خلال ذلك ، أو يشغلك شاغل . وأحرى المواضع بك الصحارى الخالية حتى لايكلمك أحد البتة .

ثم اجلس ، وقل بعد أن تمد يديك إلى الله ـ تعالى ـ : « اللهم إنى قد مددتهما إليك طالبا مرضاتك ، وأسألك ألا تردهما خائبتين » .

وتبدأ وتقول : « اللهم أنت أنت ، يامن هو هو ، يامن لايعلم ماهو إلا هو .

« اللهم أنت خالق الكل ، اللهم أنت خالق العقل ، اللهم أنت واهب النفس ، اللهم أنت خالق العلة ، اللهم أنت خالق الروح ، اللهم أنت

قبل الزمان والمكان وخالقهما ، اللهم أنت فاعل الخلق بالحركة والسكون وخالقهما .

« اللهم إنى قصدتك فتفضل على بموهبة العقل الرصين ، وأرشدنى فى مسلكى إلى الصراط المستقيم .

« اللهم بك ، فلا شيء أعظم منك . . . . نور قلبى ، وأوضح لى سبيل القصد إلى مرضاتك .

« اللهم إنى قصدتك ونازعتنى نفساى : نفسى النفسانية نازعتنى إليك ، ونفسى الحيوانية نازعتنى إلى طلب الدنيا .

« اللهم لا أعظم منك ، يافاعل الكل ، صل على محمد عبدك ورسولك وعلى آله وأصحابه الخيرين ، واهد نفسى النفسانية إلى ماأنت أعلم به من مرادها منها ، ويبلغ نفسى الحيوانية منك غاية آمالها فتكون عندك . . . . إذا بلغتها ذلك فقد بلغتها الدنيا والآخرة ـ إنه سهل عليك .

« اللهم إنى أعلم أنك لاتخاف خللا ولانقصاناً يوهنك . . . . اللهم برحمتك وكرمك هب لى ماسألتك من الدنيا والآخرة .

« اللهم ياواهب الكل فاجعل ذلك فى مرضاتك ، ولاتجعله فيما يسخطك .

«اللهم واجعل ماترزقنى عوناً على أداء حقوقك وشاهداً لى عندك ، ولاتجعله شاهداً علىَّ ، ولا عوناً على طلب مايعرضك عنى .

« اللهم ياخالق الكل أنت خلقت قلبى ، وأنت خلقت الشيطان ولعنته بما استحقه ، وأمرتنا أن نلعنه ، فاصرفه عن قلب عبدك ، وأعنى على ماأقصد له من كذا وكذا ـ واذكر حاجتك فى هذا الموضع ـ

فإذا فرغت من سائر ماتريده فعفّر خديك على الأرض ، ثم قل فى تعفيرك :

« خضع وجهى الذليل الفانى لوجهك العزيز الباقى » ـ قل ذلك عشر مرات ثم اجلس ملياً ، وقم فتوجه وكبر ، واقرأ الحمد وسورة « ألم نشرح لك صدرك » واقرأها فى الركعة الثانية .

فإذا سلمت قل : ياسيدى مااهتديت إلا بك ، ولا علمت إلا بك ، ولا قصدت إلا إليك ، ولا أقصد ولا أرجو غيرك .

« اللهم لاتضيع زمام قصدى ورجائى لك ، إنك لاتضيع أجر المحسنين ، وإنك تقضى ولايقضى عليك ، قد وعدت الصابرين خير الجزاء منك ولأصبرن بك لما خففت عنى وصبرتنى على امتحانك .

« اللهم قد وعدت بعد العسر يسراً .

« اللهم فامح أوقات العسر ، واجعلها زيادة فى أوقات اليسر ، واجعل ذلك حظاً من الدنيا وحظوظاً من الآخرة .

« اللهم إن وسيلتى إليك محمد وصفوة أهل بيته . آمين آمين آمين »

قال جابر : قال سيدى لى فى ذلك : إن الله ـ عز وجل أكرم من أن يتوسل إليه إنسان بنبيه فيرده خائباً .

فإذا تممت ذلك ، فتصدق فى أثره بدرهمين واجعله أربعة أقسام . . فأول من يلقاك ممن يقبل الصدقة فأعطه قسماً ، وكذلك الثانى والثالث والرابع ، فإن الله ـ تعالى يحسن لك العاقبة فى سائر أمورك ، ويزجر الشيطان عن وجهك ، واقصد لما أنت تشتهيه ، فإنك ترى فيه الرشد ،

ويرزقك الله قريباً إن شاء الله . . [١٨]

علمه بالكونيات :

إن هذه الرسالة تشير إلى توجيه الصادق لابن حيان ، وشدة تأثر ابن حيان بجعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ

كما تشير أيضاً إلى أن جعفراً كانت لديه معلومات عن العلوم الكونية والفلسفية .

وقد ذكر بعض العلماء أن جابر بن حيان نشر لجعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ خمسمائة رسالة إلا أنه لم ينسبها إليه .

وقد أنكر الشيخ أبوزهرة ذلك ، وقال : إن هذه الرسائل التى نشرها جابر لو كانت لجعفر لنسبها إليه صراحة ، فقد كان جابر فيه تشيع ، وماكان من المعقول أن ينقل كلام أكبر الأئمة العلويين فى عصره من غير أن ينسبها إليه ، ولكن المعقول أن تكون هذه الرسائل بتوجيهه وإيحائه .

ومهما يكن مقدار الصحة فى نسبة هذه الرسائل إلى الإمام جعفر ، فإنه يبدو أنه اشتغل بهذه العلوم ، ولقد كان لديه من الذكاء والقوة النفسية مايجعله يتجه إلى طلب المعرفة من أى نوع مادامت لاتتعارض مع تعاليم الدين الإسلامى السمح .

وهناك أدلة تشير إلى أن الإمام جعفر الصادق كان على علم بالعلوم الكونية ، وأنه كان يتخذ ذلك طريقاً لمعرفة الله ـ تعالى ـ وإثبات وحدانيته ، وهو فى ذلك يتبع منهاج القرآن الكريم الذى دعا إلى التأمل فى الكون

---

(١٨) جابر بن حيان د زكى نجيب محمود صـ٢٦٨

ومافيه . . . . . واقرأ ماجاء فى رسالة التوحيد عن الشمس والليل والنهار والظلمة والنور . .

قال فى ذلك :

« فكر فى طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتى النهار والليل ، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله ، فلم يكن الناس يسعون فى معايشهم ، ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ، ولم يكونوا يتمتعون بالعيش بعد فقدهم لذة النور ، ووجه الحاجة فى طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب فى ذكره . . . .

« فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ، وما فى ذلك من التدبير والمصلحة ، ففى الشتاء تعود الحرارة فى الشجر والنبات ، فتتولد فيهما مواد الثمار ، ويتكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر ، وتشتد أبدان الحيوان وتقوى ، وفى الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء وتصلح ، فيطلع النبات وتنور الأشجار ، وفى الصيف يحتدم الهواء وتنضج الثمار ، وتتحلل فضول الأبدان ، ويجف وجه الأرض فتصبح للبناء والأعمال ، وفى الخريف يصفو الهواء ، وترتفع الأمراض ، وتصلح الأبدان ويمتد الليل ، ويطيب الهواء . وفيه مصالح أخرى . . . . . فكر الآن فى تنقل الشمس فى البروج الاثنى عشر لإقامة دور السنة ، وما فى ذلك من التدبير ، فهو الدور الذى تصح به الأزمنة الأربعة[١٩]

(١٩) دائرة معارف الشعب جـ٢ صـ٤٧٣

ولايبعد أن يصدر مثل هذا التفكير عن الإمام جعفر الصادق ، وقد سبقه جده الإمام على بن أبي طالب ، وهو فى ألصق العصور بالعلوم النقلية ، وأبعدها عن العلوم الفلسفية . . ذلك أن التأمل فى الكون لايجافى الدين ـ بل هو أخص خصائص الدين ، وقد أثر عن الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ مقطوعات تشير إلى تأمله فى الكون ، وتأثره بالقرآن الكريم الذى يدعو إلى التفكير واستعمال العقل فى الاستدلال على قدرة الله .

اقرأ قوله ـ رضى الله عنه ـ فى وصف الخفاش :

« ومن لطائف صنعته ـ تعالى ـ وعجائب حكمته ماأرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفافيش التى يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ، ويبسطها الظلام القابض لكل حى . وكيف عشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدى به فى مذاهبها ، وتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها ، وَرَدعَها تلؤلؤ ضيائها عن المضى فى سُبُحَات إشراقها ، وأكنّها فى مكانها عن الذهاب فى بلج ائتلافها ، فهى مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها وجاعلة الليل سراجاً تستدل به فى التماس أرزاقها ، فلا يردّ أبصارها إسداف ظلمته ، ولاتمتنع من المضى فيه لغسق دجنته . . . »[20]

حكمته :

أما حكمة جعفر فهى أجل من أن تنكر ، وأجدر بأن تشيع وتشهر ، وقد أثرت عنه أقوال رائعة هى من آثار القريحة الصافية وخلاصة التجارب الصادقة ، والإلهامات الصائبة .

---

(٢٠) نهج البلاغة صـ١٧٦ ط دار الشعب

ولعل أصدق مايمكن الاستشهار به فى هذه المناسبة مارواه أبونعيم عنه فى وصيته لابنه . .

قال أبونعيم : حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم ، حدثنى أبوالحسين على ابن الحسن الكاتب ، حدثنى أبى ، حدثنى الهيثم ، حدثنى بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق قال : دخلت على جعفر وموسى بين يديه ، وهو يوصيه بوصية فكان مما حفظت منها أن قال :

« يابنى اقبل وصيتى ، واحفظ مقالتى ، فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً .

« يابنى من رضى بما قسم له استغنى ، ومن مَدَّ عينيه إلى مافى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله فى قضائه ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه .

« يابنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه حفرة سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم .

«يابنى إياك أن تزرى بالرجال فيزرى بك ، وإياك والدخول فيما لايعنيك فتذل لذلك .

«يابنى قل الحق لك أو عليك تستشان[٢١] من بين أقرانك .

« يابنى كن لكتاب الله تاليا وللسلام مفشياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك

---

(٢١) تستشان : يصبح لك شأن

معطياً ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال ، وإياك والتعرض لعيوب الناس ، فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف . .

«يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولاً ، وللأصول فروعاً ، وللفروع ثمراً ، ولايطيب ثمر إلا بأصول ، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب .

« يابنى إن زرت فزر الأخيار ، ولا تزر الفجار ، فإنهم صخرة لاينفجر ماؤها ، وشجرة لايخضر ورقها ، وأرض لايظهر عشبها .

قال على بن موسى : فما ترك الوصية إلى أن توفى .[٢٢]

وقد حدث عنه الأصمعى بتلك الوصية الجامعة . قال :

الصلاة قربان كل تقى ، والحج جهاد كل ضعيف ، وزكاة البدن الصيام ، والداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وما عال من اقتصد ، والتدبير نصف العيش ، والتودد نصف العقل .

ومن أحزن والديه فقد عقهما ، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته فقد حبط أجره ، والصنيعة لاتكون صنيعة إلا عند ذى حسب ودين ، والله منزل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق على قدر المثونة . . .

ومن قدّر معيشته رزقه الله ـ تعالى ـ ومن بذر معيشته حرمه الله ـ تعالى ـ[٢٣] . .

---

(٢٢) الحلية جـ٣ صـ١٩٥

(٢٣) من مقال للأستاذ عادل خفاجة بعنوان : لحظات طيبات مع الإمام جعفر الصادق مجلة الأزهر ـ ذو القعدة ١٤١١ هـ

إنها كلمات من عيون الحكمة الموروثة عن مدينة العلم وبابها ، والمتفجرة من قلوب أصحابها على ألسنة آثرت الصدق على ماعداه ، وعزفت عن الرجس الذى طهرها الله منه تطهيراً . فجعل لها من فوقها نوراً ، ومن تحتها نوراً . ومن حولها نوراً ، وأصحبها التوفيق ، وألزمها السداد فى القول والرشاد فى العمل ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

قصد العلماء له :

ولقد كان جعفر ـ رضى الله عنه ـ يفيض من علمه على كل من يلقاه حتى أفاد منه معاصروه فائدة عظمى . كما استفاد هو من علماء عصره وأجلائهم ، كان يقصده الإمام مالك وسفيان الثورى وكلاهما فقيه جليل ، وعالم فاضل . .

عن محمد بن عبدالرحمن بن غزوان ، حدثنى مالك بن أنس ، عن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين ، قال : لما قال سفيان الثورى : لا أقوم حتى تحدثنى قال له : أنا أحدثك ، وما كثرة الحديث لك بخير ياسفيان :

فانظر إلى إصرار سفيان ـ وهو من هو علماً وحكمة ـ على التزود من علم جعفر الصادق .

وانظر إلى حسن توجيه الصادق له . . وقد حدثه . . ولكن استمع إلى ماحدثه به لتدرك فقه الرجل ومعرفته . .

قال له : ياسفيان ، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها ، فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فإن الله ـ عز وجل ـ قال فى كتابه :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٢٤)

وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله ـ تعالى ـ قال فى كتابه :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٢٥)

● ياسفيان ، إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول ـ لاحول ولا قوة إلا بالله ـ فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة .

فعقد سفيان يده ـ وقال : ثلاث ـ وأى ثلاث ؟

قال جعفر : عقلها والله أبوعبدالله ، ولينفعنه الله بها .

وقد نفعه الله بها فعلاً ، فكان سفيان آية من آيات الله فى خلقه ، نفع الله به الناس ، وَوَزَعَ به السلطان ، ونشر به العلم ، وأحيا به السنة ، وأمات به البدعة . .

قال ابن المبارك عن سفيان الثورى : كتبت عن ألف ومائة شيخ وما فيهم أفضل من سفيان .

ويقول عنه : مارأيت مثل سفيان كأنه خلق لهذا الشأن ـ أى العلم ـ ويقول عنه : كنت إذا أعيانى الشىء أتيت سفيان أسأله ، فكأنما أغترف من بحر .

---

(٢٤) ابراهيم ٧

(٢٥) نوح ١٠ : ١٢

ويتحدث عنه الإمام أحمد بن حنبل فيقول : لم يتقدمه فى قلبى أحد من علماء عصره ـ

ويقول عنه وكيع ـ شيخ الشافعى ـ كان بحراً .

ويقول أبوأسامة فيما يروى ابن الجوزى : من أخبرك أنه رأى بعينيه مثل سفيان فى عصره فلا تصدقه .

وكان سفيان الثورى جريئاً لم يرهب صولة أبى جعفر المنصور ولاتهديده إياه . وكان سفيان يقرعه بنصائحه .

التقى بالمنصور فى منى فقال له سفيان : اتق الله فإنما أُنزلت هذه المنزلة ، وصرت فى هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار ـ وأبناؤهم يموتون جوعاً .

حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً ، وكان ينزل تحت الشجر .

فقال المنصور لسفيان :

أتريد أن أكون مثلك ؟ ـ يعنى فقيراً معدما . .

فقال سفيان : لاتكن مثلى ، ولكن كن دون ماأنت فيه ، وفوق ما أنا فيه . .

واشتد تقريع سفيان للمنصور ، حتى نفد صبر المنصور فعزم على التخلص منه . .

ولكن المنصور مات قبل أن يحقق ماعزم عليه . .

وقد روى فى ذلك أن المنصور خرج إلى مكة ، وكان ينوى التخلص من سفيان . . . فتقدم سفيان إلى أستار الكعبة وتعلق بها ودعا الله تعالى أن

ينقذه .. فمات أبوجعفر قبل أن يدخل مكة ، فأُخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً .[٢٦]

ومثلما فعل سفيان مع المنصور فعل مع ابنه المهدى .. لم يتهاون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

فانظر كيف انتفع سفيان بوصاة جعفر ، فكان عَلَماً من أعلام الهدى ينتفع به الناس ، ويقتدى به العلماء ..

وكما انتفع سفيان بوصاة جعفر انتفع غيره من العلماء الذين كانوا يحرصون على الالتقاء به والاغتراف من علمه ، والتزود بنصائحه ..

لقد أخذ عنه مالك ـ رضى الله عنه ـ واختلف إليه كثيراً فى مجلسه ، وانتفع به فى فقهه وروايته . وروى عنه أبوحنيفة ...

واقرأ كتاب الآثار لأبى يوسف وكتاب الآثار لمحمد فسوف تجد فى كليهما روايات رواها أبوحنيفة عن جعفر بن محمد ..

لقد صحب أبوحنيفة جعفر الصادق سنتين ، ولكنهما كانتا مليئتين بالبركة قال عنهما أبوحنيفة : « لولا السنتان لهلك النعمان »

ولئن كان جعفر قد أوصى ابنه موسى الكاظم بما أوصاه به ورأيناه فى الوصية التى قدمناها ، فإن جعفراً أوصاه أبوه من قبل ، وقد انتفع كلاهما بما أُوصىَ به .

لقد أوصى الباقر ابنه جعفر الصادق بقوله : « لاتصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق : لا تصحبن فاسقاً فإنه بائعك بأكلة فما

---

(٢٦) انظر سفيان الثورى د عبدالحليم محمود صـ٤٢ ـ أعلام العرب ـ

دونها ، يطمع فيها ثم لاينالها ، ولاتصحبن البخيل ، فإنه يقطع بك فى ماله أحوج ماكنت إليه ، ولاتصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ، ولاتصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولاتصحبن قاطع رحم فإنه ملعون فى كتاب الله »(٢٧)

ولقد طبق جعفر هذه الوصاة تطبيقاً حرفيا ، فحرص على انتقاء أصحابه فكان لايلتقى إلا بالعلماء ، ولا يصاحب إلا الفقهاء الذين أفاد منهم واستفادوا منه .

مفهوم الصداقة عنده :

لقد أنارت هذه الكلمات التى أوصاه بها أبوه قلبه إلى إدراك مفهوم الصداقة - وإنه ليقدم لنا هذا المفهوم فى هذه الحكمة الصائبة فيقول :

للصداقة خمسة شروط ، فمن كانت فيه فانسبوه إليها ، ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها .

أن يكون صديقه زينة - أى فى أخلاقه -
وأن تكون سريرته كعلانيته
وألا يغيِّره عليه مال
وأن يراه أهلا لجميع مودته
وألا يسلمه عند النكبات . . (٢٨)

ويقول فى ذلك : صحبة عشرين يوماً قرابة . بمعنى أن الذى يصاحب إنساناً عشرين يوماً استوجب بذلك حقًّا كحق القرابة يجب الوفاء به . .

---

(٢٧) حلية الأولياء جـ٣ صـ١٨٣
(٢٨) نور الأبصار صـ١٤٧

ويقول : إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ماخلا الجلوس فى الصدر .

ومن كلماته المضيئة :

● لايتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله ، وتصغيره ، وستره .

● ماكل من أراد شيئاً قدر عليه ، ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق أصاب له موضعاً ، فإذا اجتمعت النية والمقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة .

● تأخير التوبة اغترار ، وطول التسويف حيرة ، والاعتلال على الله هلكة ، والإصرار على الذنب مكر ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

● أربعة أشياء القليل منها كثير : النار ، والعداوة ، والفقر ، والمرض .

● البنات حسنات ، والبنون نِعَم ، والحسنات يثاب عليها ، والنعم مسئول عنها .

● من لم يستح من العيب ، ويرعوى عند الشيب ، ويخشى الله بظهر الغيب فلا خير فيه .

● إياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يضنون بالمدح ويجودون بالهجاء .

● من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

● منع الجود سوء ظن بالمعبود .

● دعا الله الناس فى الدنيا بآبائهم ليتعارفوا ، ودعاهم فى الآخرة بأعمالهم ليتمايزوا - فقال : يأيها الذين آمنوا، يأيها الذين كفروا .

● عيال المرء أسراؤه ، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه ، فإن لم يفعل يوشك أن تزول النعمة عنه . .

ومن أدعيته :

قال نصر بن كثير : دخلت أنا وسفيان الثورى على جعفر بن محمد ، فقلت : إنى قاصد البيت الحرام فعلمنى شيئاً أدعو به .

فقال : إذا بلغت البيت الحرام فضع يدك على الحائط ثم قل : « ياسابق الفوت ، ياسامع الصوت ياكاسى ، العظام لحماً بعد الموت . . ثم ادع بما شئت .

حسن تعليل وقوة حجة :

وكان رحمه الله ـ قوى الحجة واضح المثل ـ ولله المثل الأعلى ـ التقى به سفيان الثورى بمكة فسأله : يابن رسول الله لم جعل الموقف من وراء الحرم ، ولم يصر فى المشعر الحرام ؟

فقال : الكعبة بيت الله ، والحرم حجابه ، والموقف بابه ، فلما قصده الوافدون أوقفهم بالباب يتضرعون ، فلما أذن لهم فى الدخول أدناهم من الباب الثانى وهو المزدلفة ، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم رحمهم ، فلما رحمهم ، أمرهم بتقريب قربانهم ، فلما قربوا قربانهم ، وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التى كانت حجاباً بينه وبينهم أمرهم بزيارة بيته على طهارة .

قال : فلم كره الصوم أيام التشريق ؟

قال : لأنهم فى ضيافة الله ولايجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه .

وسئل عن علة تحريم الربا فأجاب :
لئلا يتمانع الناس المعروف (٢٩)

الإمام جعفر والسياسة :

كان شغل جعفر الشاغل هو العلم ، قال عنه الشهرستانى فى الملل والنحل : « هو ذو علم غزير فى الدين ، وأدب كامل فى الحكمة ، وزهد بالغ فى الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام فى المدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ثم دخل العراق مدة لم يتعرض فيها للإمامة مطلقاً ، ولم ينازع أحداً الخلافة ، إن من غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط ، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط ، ومن أنس بالله استوحش من الناس ، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس »

لقد رأينا كثيراً من الملوك زهدوا فى الملك ونأوا بجانبهم عنه ، لأنهم رأوا فى الملك حجاباً لهم عن الحقيقة الكبرى وهى معرفة الله ـ تعالى ـ والذين تشغلهم المعانى الروحية ينظرون إلى الدنيا وما فيها نظرة ازدراء . .

لقد قال أحد حكماء الصوفية : نحن فى لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف . .

وإبراهيم بن أدهم ـ كان ابن ملك ينتظره الملك والسلطان ، ولكنه نأى بجانبه عنه ، واكتفى بلقمة جافة ولباس خشن ، وأخذ يكدح فى سبيل لقمة العيش يأكلها بعرق جبينه ، وترك الملك وراءه ظهرياً ، لقد عرف الله فامتلك ناصية كل شىء فى هذه الحياة . . إن معرفة الله تغنى عن كل

(٢٩) من مقال : لحظات طيبة للإمام جعفر الصادق إعداد عادل خفاجة ـ مجلة الأزهر ذو القعدة ١٤١١ هـ

شيء ، ولكن كل شيء لايغنى عن معرفة الله .. يقول ابن عطاء الله السكندرى فى مناجاته : ماذا وجد من فقدك ؟ بل ماذا فقد من وجدك ؟

وقبل ذلك قال المسيح عليه السلام : ماذا يستفيد الإنسان إذا ملك الدنيا وخسر نفسه ؟

لقد نأى الصادق ومن قبله أبوه الباقر عن الخلافة ، ولم تطرف أعينهما إليها .. ومع ذلك فلم يسلما من سوء الظن بهما من جانب الخلفاء ، ولقد كان المنصور يرصد حركاتهما ، ويضيق عليهما ، ويستريب بهما ....

وكأن ذلك التضييق قد أغرى قلوب الناس بالولع بهما فأحبوهما حباً شديداً . إن الحب لايصنعه البشر ، ولكنه من صنع الله ، وقد يستطيع الحاكم أن يحشد الملايين من الناس حوله بالذهب والسيف ، ولكنه لايستطيع بكل كنوزه أن يمتلك قلباً واحداً .

كان الشيعة يجمعون على أنه إمام عصره ، ويحبونه ، وكان أئمة العلماء ينظرون إلى جعفر الصادق نظرة إكبار وإعزاز ، ويعاملونه على اعتبار أنه حفيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى ورث منه خلاصة المثل العليا والأخلاق الفاضلة .

ولقد كان الصادق كذلك فعلا ......

وقد وصل بأخلاقه الحسنة إلى منزلة سامية فى نفوس الناس جميعاً .. والأخلاق هى التى تتوج صاحبها على عرش القلوب ...

يقال : إن الرشيد دخل مدينة الرى فى الوقت الذى دخلها فيه مالك بن دينار ، فاجتمع الناس على مالك ، وتركوا الرشيد ، واطلعت أم ولد للرشيد من نافذة القصر الذى ينزل فيه الرشيد ، فتساءلت : ماللناس ؟

فقالوا لها : إن مالك بن دينار دخل الرى .

فقالت : هذا والله هو السلطان ـ لا ذلك السلطان الذى يُجمع الناس له بالسوط والدرهم . .

أجل ، وما تزال هذه العادة جارية فى كل زمان ومكان يُحشد الناس للمواكب بهذه الوسيلة ـ بالرهبة والرغبة .

ولو أنصف الحكام لبحثوا عن السبب الحقيقى الذى يوطد لهم المنزلة فى القلوب ، ويهيىء لهم المكانة فى النفوس .

هو والشيعة :

وليس معنى نأى جعفر عن الخلافة وعدم تطلبه لها أنه ليس بكفء للخلافة ـ كلا . . . . لقد كان له من ذكائه وحسن تصرفه ، وأخلاقه ، مايؤهله لها ويمكنه من النجاح فى إدارة شئون البلاد ، ولكنه رأى من تجارب أسلافه من أهل البيت ممن تجرعوا الغصص على أيدى شيعتهم أنفسهم . .

فجده الأعلى علىٌّ ذاق الأمرين من شيعته . .

والحسين بن على استدرجه أهل الكوفة ثم تخلوا عنه فى غدر وخسة . .

وقبله الحسن الذى تنازل عن الخلافة زهداً فيها ، وإيثاراً لسلامة المسلمين على كل شىء . . .

وعمه زيد بن على بن الحسين ـ يراه جعفر وقد قتل وقطعت رأسه بين شيعته وأمام أنظارهم ، مع أنهم هم الذين أغروه ، ثم تخلوا عنه كما تخلوا عن جده الحسين من قبل .

لقد تركت هذه الأحداث فى نفس جعفر آثاراً دامية ، مازال يتذكرها

بالأسى والحزن . . . فكيف يثق بعد ذلك بكلام أو وعود ؟ وكيف ينزلق برجله فى مستنقع التمنيات وأوحال المطامع ؟

ولقد رأى أولاد عمومته أبناء الحسن بن على كيف يجرعهم المنصور كأس الموت والسجن والعذاب دون رحمة أو مراعاة لحقوق الرحم والقرابة . . . والنبى الكريم يقول : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى . . .

وكان قمة شماء فى الصفح والعفو عند المقدرة والتغاضى عن الزلات . .

فكيف يفكر الصادق فى السياسة بعد الذى رآه ؟ وكيف يغتر بتأييد المؤيدين أو هتاف الهاتفين أو وفود الوافدين ؟

لقد قالها كلمة خالدة : من طلب الرياسة هلك ، وكانت كلمة صادقة من رجل صادق . .

ومع هذا العزوف والتأبى فقد ابتلى بالدعاة الذين يستغلون اسمه أسوأ استغلال ، والمتشيعين الذى رفضوا عمه قبل ذلك . . ثم بالغوا الرفض حتى تكونت منهم فرق ضالة مضلة تحدث عنها الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل . . . . . ونحن نشير إلى بعضها .

فمن هؤلاء الغلاة : الناووسية

وهم أتباع رجل يقال له ناووس ، أو نسبوا إلى قوم يقيمون فى قرية اسمها : ناووسا . .

وهذه الفرقة قالت : إن الصادق حى ولن يموت حتى يظهر ويظهر أمره ـ وهو القائم المهدى . .

ومنهم الخطابية

وهم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدى الأجدع مولى بني أسد . . . لقد عزا هذا الرجل نفسه إلى الإمام جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ

فلما وقف الصادق على غلو هذا الرجل فى حقه تبرأ منه ولعنه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول فى ذلك ، وبالغ فى التبرى منه واللعن عليه .

فاعتزل أبوالخطاب وادعى الإمامة لنفسه ..

لقد غالى أبوالخطاب هذا فى شأن جعفر واستحل بدعوته المحارم ، وعاث فى الأرض فساداً . . وكان أصحابه كلما ثقل عليهم فرض كلموه فحطه عنهم ، حتى تركوا جميع الفرائض ، وقال لهم : من عرف الإمام فقد حل له كل شيء . .[٣٠]

وكان موقف جعفر الصادق من هذا الدعى الكاذب المشرك المستحل لحرمات الله ـ حاسما . . ولو كان يملك قتله لقتله . . . ولكن قتله كان على يد عيسى بن موسى ولى عهد الخليفة المنصور .

لقد قتله وصلبه بسبخة الكوفة ـ ونعمًا فعل ـ

ولم يكن موقف الصادق سلبياً من هذا الدعِيِّ وأصحابه ، فقد نبههم إلى أخطائهم ، وحذرهم ، وزجرهم ، فلما أبوا لعنهم وتبرأ منهم .

قال أبوحنيفة النعمان فى كتابه « دعائم الإسلام » :

روينا عن أبي عبدالله جعفر بن محمد أنه كتب إلى بعض أوليائه من

---

(٣٠) الملل والنحل صـ٣٨٠

الدعاة ـ وقد كتب إليه بحال قوم قبله ممن انتحلوا الدعوة وتعدوا الحدود ، واستحلوا المحارم واطرحوا الظاهر ـ

فكتب إليه أبوعبدالله جعفر بعد أن وصف حال القوم : « وقد ذكرت لى أنه بلغك أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج والعمرة ، والمسجد الحرام والمشاعر العظام والشهر الحرام إنما هو رجل ، والاغتسال من الجنابة رجل ، وكل فريضة فرضها الله تبارك وتعالى ـ على عباده رجل ، وأنهم ذكروا أنه من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه عن ذلك من غير عمل ، ويكون صلى وأدى الزكاة وصام وحج واعتمر واغتسل من الجنابة وتطهر وعظم حرمات الله والشهر الحرام والمسجد الحرام .

وأنهم زعموا أن من عرف ذلك الرجل وثبت فى قلبه جاز له أن يستريح ، وليس عليه أن يجهد نفسه ، وأن من عرف ذلك فقد قبلت منه هذه الحدود لوقتها وإن هو لم يعملها .

وأنه بلغك أنهم يزعمون أن الفواحش التى نهى الله ـ عز وجل ـ عنها مثل ـ الخمر والميسر ـ أشخاص ، وذكروا أن الله ـ عز وجل ـ لم يحرم نكاح الأمهات والبنات والأخوات . . وأن ماحرم على المؤمنين من النساء هو نكاح نساء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سوى ذلك مباح .

ويلغك أنهم يتشاهدون بعضهم لبعض بالزور ، ويزعمون أن لهذا ظهرا وبطنا يعرفونه ، وأن الباطن هو الذى يطالبون به . ومن قال بذلك فهو عندى مشرك بيِّن الشرك فلا يسع أحد أن يشك فيه »[٣١]

---

(٣١) دائرة معارف الشعب جـ٢ صـ٤٧٩ نقلاً عن دعائم الإسلام

هذا مايملكه الصادق ـ التبرؤ من هؤلاء الغلاة ، ولايملك إلا التغيير باللسان . أما التغيير باليد فهو سلطة ولى الأمر . .

وإنا لنعجب من هؤلاء الشيعة الذين انتحلوا أقوالاً يظنون أنها تعجب أهل البيت حفاظ الشريعة ، مع أنها تهدم الشريعة وتسىء إلى من يزعمون أنهم يحبونهم وأنهم شيعتهم ، وكان أول من استنكر هذه الأقوال هم أهل البيت أنفسهم . . .

وليس من شك فى أن هؤلاء الغلاة من أعداء الإسلام ، وحين يئسوا من أن ينالوا من الإسلام بسيوفهم اتجهوا هذا الاتجاه الخطير ، وهو إذاعة هذه الخرافات والأباطيل والافتراءات ، ووضع الأحاديث الكاذبة ، وتأليه الأئمة حتى يضعفوا من شوكة الإسلام . . . ؟

قال الشيخ أبوزهرة نقلاً عن ابن الأثير فى تاريخه : « لما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا فى وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضعفة العقول فى دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون ، فأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه ، فكان أول من فعل ذلك أبوالخطاب مولى بنى أسد »[٣٢]

وقد كان لموقف الإمام جعفر الصادق أثره الكبير فى إضعاف نفوذ هؤلاء المارقين وسد الطريق أمام أهدافهم ، فلم يعد يعتنق آراءهم إلا من كان على شاكلتهم من أصحاب النيات الفاسدة والأهداف الخبيثة .

وكان الإمام جعفر ينصح المعتدلين من الشيعة ، ويبين لهم أنه وغيره من

---

(٣٢) دائرة معارف الشعب نقلاً عن ابن الأثير جـ ٨ صـ ٩

أهل البيت ناس من البشر ، لايمتازون على غيرهم ـ من أحسن فله إحسانه ، ومن أساء فعليه إساءته .

حدث عبدالجبار بن العباس الهمدانى أن جعفر بن محمد أتاهم ، وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال لهم : إنكم ـ إن شاء الله ـ من صالحى أهل مصركم ، فأبلغوا عنى : من زعم أنى إمام معصوم مفترض الطاعة فأنا منه برىء ، ومن زعم أنى أبرأ من أبى بكر وعمر فأنا منه برىء[٣٣]

جعفر والمنصور :

ومع يقظة الإمام جعفر فى محاربة آراء هؤلاء المارقين وتصحيح مفاهيم المنحرفين إلا أن المنصور كان فى منتهى الضيق به ، والخوف منه ، إلا أنه لم يكن يملك دليلاً واحداً على إدانته ، ولو استوثق من دليل لكان مصير جعفر الصادق هو مصير أولاد عمومته أبناء الحسن بن على بن أبى طالب . . . . لأن الخلافة فى رأى المنصور حرم مقدس لاينبغى لأحد أن يمسه ، أليس هو القائل فى حق أبى مسلم الخراسانى ـ وهو الذى أقام لهم دولتهم ـ وقد قتله المنصور ـ : « إن من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبىء هذا الغمد » ؟

وقد حبس المنصور عمه عبدالله بن على بن عبدالله بن عباس فقد قبض عليه حين حدثته نفسه بالخلافة ، وأودعه السجن ـ فانهار السجن فوق الرجل ودفن تحته[٣٤]

وأخيراً مات المنصور ولم يُخلَّد فى الحكم . فهل يتعظ المتعظون ؟ ؟

---

(٣٣) من مقال مجلة الأزهر : لحظات طيبات مع الإمام جعفر الصادق

(٣٤) مروج الذهب جـ٢ صـ٢٤١

لقد بلغه مرة عن طريق الوشاة أن أباعبدالله الصادق يساعد إبراهيم ومحمداً ابنى عبدالله بن الحسن ، وأنه يجمع الزكاة من شيعته ليمدهما بها .. فاستدعاه إلى بغداد فلما حضر مجلسه قال له :

ياجعفر بن محمد ، ماهذه الأموال التى يجبيها لك المعلى بن خنيس ؟

فأجابه جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ معاذ الله ـ ماكان شيء من ذلك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : ألا تحلف على براءتك من ذلك بالطلاق والعتاق ؟

فقال جعفر : نعم أحلف بالله ماكان شيء من ذلك ؟

فقال المنصور : لا ، بل كان ذلك .

فقال له جعفر الصادق : أما ترضى بيمينى بالله الذى لاإله إلا هو ؟

فقال المنصور : لاتتفقه علىّ .

فقال جعفر الصادق : وأين يذهب الفقه منى ياأمير المؤمنين ؟

قال المنصور : دع عنك هذا ـ فإنى أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذى رفع عليك حتى يواجهك .

فأتوا بالرجل الذى وَشَى به ، وسألوه بحضرة جعفر ، فقال : نعم هذا صحيح ، وهذا جعفر بن محمد ، والذى قلت فيه ماقلت .

فقال له جعفر الصادق : قل أيها الرجل : أبرأ إلى الله من حوله وقوته ، وألجأ إلى حولى وقوتى إنى لصادق فيما أقول .

فقال المنصور للرجل : احلف بما استحلفك به أبوعبدالله .

فحلف الرجل . . . قال الرواة : فما استتم يمينه حتى أُجْذِم وخر ميتاً .

فارتاع المنصور وارتعدت فرائصه . وقال لجعفر : ياأبا عبدالله سر من

غد إلى حرم جدك إن اخترت ذلك ، وإن اخترت المقام عندنا لم نأل فى إكرامك وبرك ، فوالله لاقبلت قول أحد فيك بعدها أبداً(٣٥)

وكان جعفر الصادق يرثى لحال المنصور ، فقد علم أنه ارتكب شططاً كبيراً فى غايته . . . لقد نال الخلافة على أكتاف بنى عمومته ، وبأسياف شيعتهم وأنصارهم ، فلما نال مانال لم يأل فيهم تشريداً وتخويفاً . . كأن الخلافة مغنم ينبغى الحرص عليه . .

إلا أن جعفر الصادق ماكان يهتم بقوة المنصور وشدته . . وكان يرد عليه ردوداً لاذعة تنبهه إلى الصواب لو أراد . . . . .

كان فى مجلسه يوماً وقد حام الذباب حول المنصور حتى أضجره ، فقال المنصور لجعفر : ياأبا عبدالله ، لم خلق الله الذباب ؟

فأجاب جعفر على الفور : ليذل به الجبابرة .

وكأن المنصور قد أحس بجفوة الصادق له ، فأراد أن يستقدمه إليه ليزيل هذه الجفوة ، فكتب إليه قائلاً : لم لاتغشانا كما يغشانا الناس ؟

فرد عليه الصادق قائلاً : ليس لنا مانخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة مانرجوك له ، ولا أنت فى نعمة فنهنيك ، ولا نراها نقمة فنعزيك .

فكتب إليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا .

فأجابه الصادق : من أراد الدنيا لاينصحك ، ومن أراد الآخرة لايصحبك .(٣٦)

---

(٣٥) أبوزهرة دائرة معارف الشعب جـ٢ صـ٤٨١

(٣٦) الكشكول للعاملى جـ١ صـ١٢٩ ط بولاق

لقد استبان للمنصور أن الخلافة لاترفع قدر صاحبها عند من يشغله هم الآخرة عن هم الدنيا . وعرف أن كل المزدحمين ببابه إنما هم طلاب مال ، ورُغَّاب حظ ودنيا . . أما الآخرة فلها أصحابها من أمثال جعفر الصادق وسفيان الثورى وأضرابهما الذين لاينخدعون بهذا البريق الزائف الذى سرعان مايتكشف بهرجه .

إلا أنَّ المنصور لم يكن يحسن مع ذلك فى ردوده على هؤلاء الذين عرف أنهم على الحق ، وأنهم لايرغبون فيما بين يديه .

فإنه حين ظفر المنصور فى حربه لبنى الحسن بن على أحضر جعفر بن محمد فقال له :

قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربى ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يُغَوِّر عيونهم - يطمس عيونهم ويذهب ماءها - ويُحَجِّر نخلهم - يقطع جمارها -

فقال له جعفر : ياأمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتد بأيهم شئت . . . وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون .

فانظر إلى هذا الكلام الجميل المستخرج من معين الحكمة ، المستفاد من معدن النبوة ، وهو نصيحة موجهة يستل بها قائلها السخائم ، ويصلح بها مافسد . .

ولكن المنصور رد عليه فى غلظة وجفاء - فقال له : إن أحداً لايعلمنا الحلم ولا يعرفنا العلم ، وإنما قد هممت ، ولم ترنى فعلت - وإنك لتعلم أن

قلدرق عليهم تمنعنى من الإساءة إليهم . . (٣٧)

لشتان مابين الرجلين .

ومع ذلك فقد حزن المنصور فيما يقول بعض الرواة على وفاة جعفر حين بلغته ، وبكى عليه - وبعض الأخبار تقول : إن الصادق مات بالمدينة . .

فقد قال إسماعيل بن على : دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً ، وقد اخضلت لحيته بالدموع - فقال لى : أما علمت مانزل بأهلك ؟ فقلت : وما ذاك ياأمير المؤمنين ؟

قال : فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفى .

فقلت : ومن هو ياأمير المؤمنين ؟

قال : جعفر بن محمد .

فقلت : أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال بقاءه .

فقال لى : إن جعفراً ممن قال الله فيهم

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣٨)

وكان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات .

---

(٣٧) زهر الآداب جـ١ صـ١٢٣

(٣٨) فاطر ٣٢

شخصية الصادق وأخلاقه :

أما شخصية الصادق ، فيمكن استخلاص أهم ملامحها مما سبق أن عرضناه .

إخلاصه لله وعبادته له :

وما ظنك برجل تجتمع فيه أخص صفات على وأبي بكر الصديق .. لقد كان مجمعاً للفضائل ، وخلاصة نقية للشمائل ، كان مخلصاً تقيا عابداً ورعاً ..

حدث عنه الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ فقال : « كنت آتى جعفر بن محمد وكان كثير التبسم ـ فإذا ذكر عنده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اخضر واصفر ، ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال : إما مصليا ، وإما صائماً ، وإما يقرأ القرآن .... وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا على الطهارة ، ولايتكلم فيما لايعنيه ، وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله ، وما رأيته إلا يخرج الوسادة من تحته ويضعها تحتى »(٣٩)

وإن إجلال الإمام جعفر للإمام مالك ليدل على معرفته لقدر العلماء ، ومن عرف قدر العلماء فقد رزقه الله نفاذ البصيرة وغزارة المعرفة ... وانظر إلى وصيته التى قدمها لسفيان الثورى وذكرناها قبل ذلك ـ فإنك تجد فيها قوة الصلة بالله والحب له ، والاعتزاز به ، واللجوء إليه .. وهذه ميزة اتسم بها جعفر الصادق . فما انتابته شدة إلا أسرع باللجوء إلى الله .

---

(٣٩) أبوزهرة ـ نقلاً عن المدارك ـ مخطوط بدار الكتب الورقة ٢١٠

حدث عبدالله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة . . . قدم المدينة ، فقال للربيع : ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به . . . .

فتغافل عنه الربيع وتناساه ، فأعاد عليه فى اليوم التالى وأغلظ فى القول ، فأرسل إليه الربيع .

فلما حضر قال له الربيع : ياأبا عبدالله ، اذكر الله ـ تعالى ـ فإنه قد أرسل لك من لايدفع شره إلا الله ، وإنى أتخوف عليك .

فقال جعفر : لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم إن الربيع دخل فوجد المنصور يناقشه فى أمر الأموال التى زعم الوشاة أن الصادق يجمعها من شيعته . . . وقد ذكرنا قبل ذلك هذه القصة وماانتهى إليه أمر الواشى .

وبعد انتهاء المقابلة أقبل الربيع على جعفر الصادق فقال له : ياأبا عبدالله رأيتك تحرك شفتيك ، وكلما حركتها سكن غضب المنصور فبأى شىء كنت تحركها ؟

فقال جعفر : كنت أحركهما بدعاء جدى الحسين .

قلت : وماهو ؟

قال : كنت أقول : اللهم ياعدتى عند شدتى ، وياغوثى عند كربتى ، احرسنى بعينيك التى لاتنام ، واكنفنى بركنك الذى لايرام ، وارحمنى بقدرتك علىّ فلا أهلك وأنت رجائى ، فكم من نعمة أنعمت بها علىّ قلّ بها شكرى ، وكم من بلية ابتليتنى بها قلّ لك بها صبرى ـ فيامن قلّ عند نعمته

شكرى فلم يحرمنى ، ويامن قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى ويامن رآنى على الخطايا فلم يفضحنى ، ياذا النعماء التى لاتحصى عدداً ، وياذا المعروف الذى لاينقضى أبداً ـ أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ، وبك أدرأ فى نحور الأعداء والجبارين ..

اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر ، اللهم بك أدرأ فى نحر عدوى واستعيذ بك من شره إنك على كل شىء قدير .

قال الربيع : فما نزلت بى شدة ودعوت إلا فرج الله عنى .(٤٠)

لقد كان جعفر الصادق مستجاب الدعوة ، وماذلك إلا لأنه أخلص لله فأعانه الله وحقق رجاه .

حين بلغ جعفراً الصادق مصرع عمه زيد بن على ، وأن أحد الشعراء وهو الحكم بن عباس الكلبى قال فى صلبه :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

قال جعفر ـ رضى الله عنه ـ اللهم سلط عليه كلباً من كلابك .

فسافر الحكم إلى الكوفة فافترسه الأسد فى الطريق .

فبلغ ذلك جعفراً فخر ساجداً لله ـ تعالى ـ وقال : الحمد لله الذى استجاب دعاءنا .

كرمه

وكان كريماً سخياً ، ومن قوله فى ذلك : إنى لأملق أحياناً فأتاجر مع الله بالصدقة فيربحنى . وهذا له صلة بحسن الثقة بالله والإخلاص له .

---

(٤٠) نور الأبصار صـ١٤٦

وكان يديم المعروف ويقول فى ذلك : ماتوسل إلىَّ أحد بوسيلة هى أقرب إلىَّ من يد سبقت منى إليه أتبعها أختها لتحسن - إصلاحها - وحفظها ، لأن منع الأواخر يقطع لسان الأوائل . .

وكان يأسى للبخيل وينعى عليه بخله .

وكان جعفر فى سخائه يعطى من غير سفه ، فإنه كان يعطى من يستحق العطاء ، ويأمر بعض المتصلين به أن يمنع الخصومات بين الناس إذا كانت بسبب المال - وذلك بإعطاء طالب المال من ماله . . . . .

ومن أقواله المأثورة : لايتم المعروف إلا بتعجيله وتصغيره وستره . فالعطاء فى ستر أفضل من العطاء فى علانية ، وكان هذا دأبه اقتداء بجده زين العابدين فى ذلك .

قال أبونعيم فى الحلية : كان جعفر الصادق يعطى حتى لايبقى لعياله شىء .

شجاعته

وأعظم الشجاعة الشجاعة الأدبية ، وهى كلمة الحق فى وجه السلطان الجائر ، وقد رأينا كيف كانت ردوده على المنصور وهو الأمير الشديد ، الذى كان يخافه الجميع ، ويخشاه الكبير قبل الصغير ، والقوى قبل الضعيف . .

وكان يجابهه أحياناً بالنصيحة . . . . . فممَّا قاله له : عليك بالحلم فإنه ركن العلم ، واملك نفسك عند أسباب القدرة ، فإنك إن تفعل ماتقدر عليه كنت كمن يحب أن يذكر بالصولة ، واعلم أنك إن عاقبت مستحقاً لم

تكن غاية ماتوصف به إلا العدل ، والحال التى توجب الشكر أفضل من الحال التى توجب الصبر .

وقد سمع بعض الولاة ينال من على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - فى خطبته ، فوقف جعفر الصادق يرد عليه قائلاً : « ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة وأبينهم خسراناً ؟ من باع آخرته بدنيا غيره وهو هذا الفاسق »

وإن سكوته عن المطالبة بالخلافة لاينافى شجاعته ، لأن هناك فرقاً بين الشجاعة والتهور . وإن المطالبة بالخلافة تهور واندفاع لاتحمد عاقبته ، والتجربة تصدق ذلك .

صبره :

وكان جعفر الصادق غاية فى الصبر ، وكان يأمر به ويتحلى به والصبر من أخلاق الأنبياء . مات ولد له بين يديه من غصة اعترته . فبكى عليه - وقال : لئن أخذتَ فقد أبقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت . . . ثم حمله إلى النساء ، فصرخن حين رأينه ، فأقسم عليهن ألا يصرخن .

ثم أخرجه إلى الدفن وهو يقول : سبحان من يقبض أولادنا ولا نزداد له إلا حبا ، وقال بعد أن واراه التراب : إنا قوم نسأل الله مانحب فيمن نحب فيعطينا ، فإذا أحب مانكره فيمن نحب رضينا[٤١]

وكان يعزى أصحابه حين تنتابهم المصائب . . . فقد عزّى رجلاً بقوله :

---

(٤١) أبوزهرة عن كتاب الصادق جـ١ صـ٢٦٩

أعظم بنعمة فى مصيبة أوجبت أجراً ، وأفظع بمصيبة فى نعمة أكسبت كفراً .

قال الحصرى تعليقاً على هذه العبارة : هذا كقول الطائى :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ** ويبتلى الله بعض القوم بالنعم[٤٢]

ويتصل بالصبر الحلم والسماحة .. وكان ـ رضى الله عنه ـ سمحاً حليماً ، وكان يوصى أهله وأصحابه بذلك ، ومن ذلك قوله : إذا بلغك عن أخيك شيء يسوءك فلا تغتم ، فإنه إن كان كما يقول فيه القائل كانت عقوبة قد عجلت ، وإن كان على غير مايقول كانت حسنة لم يعملها .

وهذا من روائع الحكم ، ولايمكن التوصل إلى فهمه إلا لمن آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ..

وإن حلمه كان يسع أهله وأصحابه وخدمه . أرسل غلاماً له فى حاجة فابطأ فبحث عنه فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه وأخذ يروح له حتى انتبه ، فقال له : ماذلك لك .. تنام الليل والنهار ؟ . . . لك الليل ولنا النهار . ولم يقل له كلمة تسيء إليه ..

إن ذلك لحلم عظيم ـ ولكن الذى أعظم من ذلك أن يستغفر لمن نال منه وجنى عليه . . . ذكر الرواة أنه كان إذا بلغه أن أحداً نال منه أو أساء إليه فى غيبته قام وتهيأ للصلاة ثم صلى طويلاً . . . ثم دعا ربه ألا يؤاخذ الجانى ، لأن الحق حقه وقد وهبه للجانى ..

(٤٢) زهر الآداب جـ١ صـ١٢٣

أى سماحة تلك ؟ وأى سمو خلقى هذا ؟ إن ذلك لايطيقه إلا من جعله الله من سلالة النبوة ، والله أعلم حيث يجعل رسالته . .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كاد الحليم أن يكون نبياً »

هيبته

وكانت له هيبة وطلعة تأخذ بمجامع القلوب ، وإن هذه الهيبة من عطاء الله له ، لأنه خاف الله فأخاف الله منه كل شيء ، وقد رأينا كيف كان المنصور على الرغم من تهديده إياه ووعيده له ، يفرق ويخاف حين يراه .

ورأينا كيف أن أبا حنيفة ـ رضي الله عنه ـ حين جمع المنصور بينه وبين جعفر ـ قال أبوحنيفة : فداخلتنى لجعفر هيبة لم أرها للمنصور .

وكان لهذه الهيبة أثرها فى هداية كثير من أهل الضلال الذين يحيدون عن جادة الصواب ، فكانوا حين يرونه يلتمسون الكلام فلا يجدونه ـ تخرسهم صولة الحق حين يطالعونها فى وجه الصادق فيخرسون .

التقى الصادق بابن العوجاء فى العراق ، وهو داعية من دعاة الزندقة ، ولكنه لم يستطع أن يتكلم أمام الصادق . فقال له : مامنعك أن تتكلم ؟

فقال : إجلال لك ومهابة ، مايستطيع لسانى أن ينطق بين يديك ، فإنى شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين ، فما تداخلتنى هيبة قط مثلما تداخلتنى من هيبتك . (٤٣)

إنه جلال العلم ، ونور المعرفة . . . إنها قوة الحق التى يتجلى بها الله على

---

(٤٣) أبوزهرة ـ دائرة معارف الشعب جـ٢ صـ٤٨٦

أوليائه ، فيدمغون بها الباطل فلا يقوى على الثبات أمام الحق . .

ومع هذه الهيبة العظيمة نراه فى منتهى التواضع . . . والتواضع هو رداء العلماء وزينة الصالحين ، حتى لقد قيل : إن تمثل العلم رجلاً لكان متواضعاً . . ومن تواضعه أنه كان يجل العلماء ويكرم مجلسهم ويهش للقائهم ، وقد رأينا قول مالك عنه ـ حين قال : كان إذا لقيته ينزع الوسادة من تحته ويجلسنى عليها .

كتاب الجفر المنسوب إليه:

أصل كلمة الجفر مأخوذة من الجفرة ـ والجفرة من أولاد المعز مابلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها ، والذكر منها جفر ـ بدون تاء ويجمع على أجفار وجفار .

وكان جلد الجفر يتخذ للكتابة عليه

قال ابن قتيبة فى كتابه أدب الكاتب :

وكتاب الجفر : جلد جفر يقال : إن الإمام جعفر بن محمد الصادق كتب فيه لآل البيت كل مايحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة . . .

هذا مايقوله الشيعة ، وربما جرى مجراهم من يصدق ذلك ومنهم أبوالعلاء المعرى الذى يقول :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم فى مسك جفر
ومرآة المنجم وهى صغرى أرته كل عامرة وقفر

والمسك هو الجلد .

وهو كلام فيه مغالطة ، لأن مرآة المنجم لايرى فيها شيئاً ، والمنجمون كاذبون ولو صدقوا ، يعنى لو صدقتهم المصادفات فى خبر .

ونحن نجل الإمام الصادق عن هذا القول الذى نسبه إليه القائلون .
لقد وهب الله الإمام الصادق علماً هو ثمرة طلب وجد واجتهاد ، وربما أفاض عليه من مواهبه فيوضات إلهامية ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ونتيجة لمجاهدات نفسية ، وتقوى يلتزم بها صاحبها فيعلمه الله ـ كما يقول ـ سبحانه

« واتقوا الله ويعلمكم الله »

ويقول :

« يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً »

ولكن مثل هذا العلم هو منحة من الله . . . منحة خاصة بصاحبها . .
إنه الإلهام الصادق الذى ورد فى حقه الأثر :

« اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله »

ومثل هذه الفراسة لاتدون . .

ثم أى علم هذا الذى يمكن تدوينه على جلد جفر ، فإنه مهما اتسع هذا الجلد فإنه لايستوعب إلا قدراً قليلاً من المعلومات ؟

وهؤلاء يزعمون أنه دون فيه لأهل البيت كل مايحتاجون إليه إلى يوم القيامة .

بل لقد قال هؤلاء الشيعة : إن الجفر فيه توراة موسى وإنجيل عيسى

وعلوم الأنبياء والأوصياء ومن مضى من علماء بنى إسرائيل ، وعلم الحلال والحرام . . .

إن مثل هذا القول افتراء وكذب ظاهر على الإمام جعفر الصادق ، الذى طالما افترى عليه الشيعة الأقاويل التى لاأصل لها ولا حقيقة . .

ولو كان هذا الجفر حقاً فأين هو الآن ؟ وعند من من الأئمة ؟ . .
إننا نذهب فى هذا الأمر إلى ماذهب إليه الشيخ : أبوزهرة وهو من العلماء المحققين ـ فقد قال : من الحق علينا فى هذا المقام أن نذكر ثلاث ملاحظات :

الأولى ـ أننا ننفى نسبة الكلام الذى قيل إنه فى الجفر ـ إلى الإمام جعفر الصادق ، لأنه يتعلق بعلم الغيب ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد اختص به والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ كما حكى عنه القرآن الكريم

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ (٤٤)

وماكان يعطيه الله ـ تعالى ـ من علم بعض الغيبيات ، فإنما هو من المعجزات التى يؤيده بها ويتحدى بها الكفار .
وَنَفْى الجفر عن الإمام جعفر الصادق لاينقص من قدره ـ فهو الإمام

---

(٤٤) الأعراف ١٨٨

الحجة فى دين الله ، الذى تلقاه عنه كبار الفقهاء ـ كأبى حنيفة ومالك ، وكبار المحدثين كسفيان الثورى وسفيان بن عيينة وغيرهما من أئمة الحديث .

الثانية : أن أكثر الروايات التى تنسب الجفر إلى الإمام جعفر الصادق طريقها « الكلينى » ، والكلينى هو الذى زوّر كلاماً نسبه إلى بعض الأئمة ـ بأن فى القرآن نقصاً ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ

وقد كذَّب الإمام المرتضى وتلميذه الطوسى وغيرهما من كبار الأئمة الاثنا عشرية هذه النسبة إلى الإمام جعفر ـ رضى الله عنه ـ أو غيره من الأئمة . . . فالقرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الذى تعهد بحفظه ، فلا يعتريه النقص أو التحريف أو التغيير أو التبديل .

فهذا الرجل الكاذب الذى تجرأ ونسب إلى الإمام الصادق قولاً كاذباً ـ لايبعد عليه أن يزور كلاماً آخر ، ومثله غير مأمون على أى شىء يقوله .

الثالثة : أن علماء الجعفرية الذين يكتبون الآن فى حياة الإمام جعفر لايتعرضون لهذا الأمر . [٤٥]

ثم إن الذين أدخلوا فكرة الجفر هم الخطابية كما جاء فى الخطط المقريزية :

يزعم الخطابية بأجمعهم أن جعفر بن محمد أودعهم جلداً يقال له جفر . . . فيه كل مايحتاجون إليه من علم الغيب وتفسير القرآن . . [٤٦]

والخطابية غالون كذابون لايؤتمنون .

---

(٤٥) دائرة معارف الشعب ـ جـ٢ صـ٤٧٥

(٤٦) المرجع السابق نقلاً عن الخطط المقريزية جـ٢ صـ٣٥٢ ط بولاق

إن قوماً يزعمون أن الأئمة آلهة لايبعد عليهم أن ينسبوا إليهم علم الغيب، وإيداع ذلك جفراً أو غيره من المستودعات.

لقد ظُلِم أهلُ البيت ظلماً بينا على يد خصومهم وعلى يد شيعتهم الذين غالى بعضهم فيهم مغالاة أوصلت هؤلاء المغالين إلى حد الكفر

وقد صور بعض الشعراء موقف هؤلاء الشيعة الغالية وافترائهم قصة الجفر، فقال:

ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال منكراً
فطائفة قالوا إله ومنهم طوائف سمته النبي المطهرا
فإن كان يرضى مايقولون جعفرٌ فإني إلى ربي أفارق جعفراً
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن تجفَّرا[٤٧]

وحاشا لله أن يرضى جعفر الصادق بما زعمه هؤلاء..

وفاته وأولاده:

جاء في دائرة المعارف الاسلامية.. توفى جعفر عام ١٤٨ هـ... وزعم بعض رواة الشيعة أنه مات مسموماً، وهى روايات بعيدة عن الصحة.... وقد دفن بالبقيع...

وقد ترك أتباعاً متماسكين، وحياة عقلية ناشطة[٤٨]

وقد ترك الصادق ذرية صالحة منهم:

الإمام موسى الكاظم، والسيدة عائشة ـ المدفونة بمصر.

---

(٤٧) عيون الأخبار جـ٢ صـ١٤٥

(٤٨) دائرة المعارف الاسلامية جـ١٠ صـ٥٨

ومنهم ـ محمد المأمون ، والعباسى ، وعبدالله ، وعلى ، وإسحاق المؤتمن وإسماعيل . وأم كلثوم ، وفاطمة الصغرى ، وفاطمة الكبرى ، والقاسم ولبعض هؤلاء عقب طيب ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين .



الإمام موسى الكاظم

- نسبه .
- موقف الخليفة العباسي منه .
- ثورة الحسين بن علي بن الحسن .
- علم الكاظم وأخلاقه .
- كرامات الأولياء .
- من كرامات الكاظم .
- سبب تغير الرشيد على الكاظم .
- كرم موسى الكاظم .
- أولاده .
- الإمام علي الرضا .
- قصة ولايته للعهد .
- هل كان المأمون يميل إلى العلويين ؟
- كيف تمت ولاية العهد ؟
- هيبة الرضا وحب الناس له .
- دعبل الخزاعي «الشاعر» يمدح الرضا .
- أخلاق الرضا .
- وفاته .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام موسى الكاظم

هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ

وهو أحد الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة ، وترتيبهم كالأتى :

على بن أبى طالب ، فالحسن ، فالحسين ، فعلى زين العابدين ، فمحمد الباقر فجعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلى بن موسى الرضا ، فمحمد الجواد بن على الرضا ، فعلى الهادى بن محمد الجواد ، فالحسن بن على الهادى ، فمحمد بن الحسن العسكرى .

وقد ولد الإمام موسى بالأبواء ـ والأبواء مكان على الطريق من مكة إلى المدينة على مسيرة ثلاثة وعشرين ميلا من الجحفة ـ وهناك جبل قائم مسمى بهذا الاسم . وفى هذا المكان توفيت آمنة أم الرسول ـ ﷺ ـ ودفنت

وكانت ولادة الإمام موسى سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة . قبل قيام الدولة العباسية بأربع سنوات .

وكان الخليفة الأموى آنذاك هو مروان بن محمد ـ آخر خلفاء الدولة الأموية وكان قد تولى الخلافة فى صفر سنة سبع وعشرين ومائة . . . قبل مولد الكاظم بسنة . . . . ونشأ الكاظم فى ظل أسرته بين العلم والتقى والفضل ، وورث منها كل علومها وفضائلها حتى أصبح يطلق عليه العبد الصالح .

وكان يكنى بأبى الحسن

أما ألقابه فكثيرة منها الكاظم ، والصابر ، والصالح ، والأمين . . . . وهى ألقاب تشهد بما وصف به من حلم وصفح ، وصبر وصلاح

وأمانة . . . . . وأهل التصوف يعتبرونه رأسا من رءوسهم ، وعلما من أعلامهم ، لما أفاض الله عليه من معرفة روحية ، وفيوضات ربانية ، جاءت ـ كما يقول الصوفية ـ نتيجة مجاهدات وثمرة عبادة وتقوى وزهد وإخلاص . ولما صاحب حياته من خوارق وكرامات .

وكظم الغيظ من صفات المتقين . . . . . وقد ورد فى ذلك قوله ـ تعالى ـ « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (٤٩)

قال بعض أهل العلم فى حقه : الكاظم هو الإمام الكبير القدر ، الحجة الحبر ، الساهر ليله قائما ، القاطع نهاره صائما ، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما ، المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله ، وذلك لنجح قضاء حوائج من يدعو لهم .

وكانت حياة الكاظم سلسلة من المتاعب ، فقد ترصدته أعين الخلفاء ، وتعقب ولاتهم ، فكان لا يكاد يتخلص من مضايقاتهم ، وسجونهم . . . وكانت تهمته عندهم تقدير الناس له ، والتفافهم حوله ، واجتماع الشيعة حوله ورحيلهم إليه .

---

(٤٩) آل عمران ١٣٣ ، ١٣٤

وقد عاصر من الخلفاء فى شبابه ـ المهدى والهادى والرشيد ، وتوفى فى عهد الرشيد ـ وقال بعضهم : توفى فى سجن الرشيد .

شيعته

ويطلق على شيعته اسم : الموسوية والمفضلية .

وقد اعتبروه إماما بعد والده جعفر الصادق ، وقد زعموا أن أباه قد نص على إمامته حيث قال ـ فيما يزعمون ـ : سابعكم قائمكم ، أو صاحبكم قائمكم[٥٠] ، ألا وهو سَمِيٌّ صاحب التوراة . .

أما تسمية هذه الفرقة بالموسوية فنسبة إلى موسى بن جعفر الصادق . أما تسميتها المفضلية فنسبة إلى زعيم هذه الطائفة الشيعية ـ وهو المفضل بن عمر . . وقد روت هذه الطائفة ـ فيما تزعم ـ عن الإمام جعفر الصادق ـ أنه قال لبعض أصحابه : عد الأيام .

فعدها بادئا من الأحد ، حتى بلغ السبت

فقال له : كم عددت ؟

قال : سبعة .

فقال جعفر : سبت السبوت ، وشمس الدهور ، ونور الشهور ، من لا يلهو ولا يلعب ، وهو سابعكم قائمكم ، وأشار إلى ولده الكاظم[٥١]

ولغطت الشيعة بهذه الأقوال حتى أثارت عليه ثائرة العباسيين ، فاعتقلوه .

---

(٥٠) القائم اصطلاح شيعى يعنى القائم بالأمر وهو الإمام

(٥١) الملل والنحل صـ٣٤٣

مع المهدى

كانت سن الكاظم حين تولى المهدى الخلافة العباسية ثلاثين سنة ، ولم يألُ المهدي جهداً فى توطيد أركان الدولة العباسية التى خَلَّفَه عليها والده ، بعد أن انتزع ولاية العهد من ابن عمه عيسي بن موسى ، وأعطاها له . . . وبويع له فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة .

واستراب المهدى كما استراب أبوه من قبل فى تحركات أبناء على . . وربما أبلغه الوشاة تقربا إليه وحسداً لموسى ـ بعض ما أوغر صدره عليه . فأمر باعتقاله ، وإيداعه السجن . قالوا له : إن موسى ينازعك فى سلطانك ، وهو ينافسك فى الجود ويعطى من غير حساب . . . حتى إنه ليبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرَّة فيها ألف دينار ، وإنه ليصر الصرر فيها ثلثمائة دينار وأربعمائة دينار ثم يقسمها بالمدينة . .

ومن قصص كرمه أن عبداً أهدى إليه مرة عصيدة ، فاشتراه واشترى له المزرعة التى هو فيها بألف دينار ، وأعتقه ووهب المزرعة له .[٥٢]

لقد فهم المهدى أن موسى يفعل ذلك تأليفا للقلوب حتى تقوم معه فى انتزاع الخلافة من العباسيين .

قال ابن خلكان : أمر المهدى بإحضار موسى الكاظم من المدينة إلى بغداد ثم حبسه . . فرأى فى النوم على بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ وهو يقول : يا محمد

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾[٥٣]

---

(٥٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ١٠ صـ١٨٣

(٥٣) محمد ٢٢

قال الربيع ـ وهو وزير المهدى ـ : فأرسل المهدى إلىّ ليلا ، فراعنى ذلك ، فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية ، وكان أحسن الناس صوتا ـ ثم قال : عَلَىَّ بموسى بن جعفر .

فجئته به ، فعانقه ، وأجلسه إلى جانبه ، وقال يا أبا الحسن ، إنى رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى النوم يقرأ علىّ كذا ، أفتؤمننى بأنك لن تخرج علىّ أو على أحد من أولادى ؟
فقال موسى : والله لا فعلت ولا هو من شأنى .

قال المهدى : صدقت . . . . والتفت إلى الربيع فقال : أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله بالمدينة .

قال الربيع : فأحكمت أمره ليلا ـ أى أنفذت الأمر فوراً من ليلتى هذه ولم أنتظر الصباح ـ فما أصبح إلا وهو على الطريق خوف العوائق . .(٥٤)

لقد خشى الربيع من تردد المهدى فى أمره ، فربما لو انتظر إلى الصباح رجع المهدى فى كلامه . . .

فى أيام الهادى . .

ومن هذه القصة ندرك فضل موسى الكاظم ومدى صلته القوية بالله ، وأنه كان مظلوما مجنيا عليه حين زج به المهدى ظلما إلى السجن بتهمة لا دليل عليها . .

وربما كان المهدى معذوراً فى الاحتياط لأمره ، وقد وصله ما وصله على ألسنة بعض الناس . . وصاحب السلطان فى خوف دائم على سلطانه .

---

(٥٤) وفيات الأعيان جـ٢ صـ١٤

والثورات كانت ما تزال تشتعل بين حين وآخر تؤرق الحاكم ، وتزيده وسواسا على وسواس .

حقا إن موسى لم يكن له شأن فى مثل ذلك ، ولكن من يضمن ؟ إن سوء الظن عصمة ، كما أن حسن الظن ورطة ـ كما تقول الحكمة المشهورة ـ فلماذا لا يعتصم الحاكم بسوء الظن لينجو؟

وبالفعل لم تصف الخلافة للعباسيين بسهولة فلم يلبث المهدى أن مات وجاء الهادى وثار ضده أبناء الحسن الذين طالما ثاروا قبل ذلك .

ثورة الحسين بن على بن الحسن

علمنا فيما سبق أن المنصور أخمد حركة أبناء عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن على حين ثاروا عليه ، وأودع أباهم عبدالله بن الحسن السجن حتى مات فيه ، ومات معه بعض أولاده . . . وقد قتل محمد النفس الزكية بالمدينة وأخوه إبراهيم بالبصرة . . ومضت الأيام بعد ذلك حتى جاء الخليفة الهادى ، فثار الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فى بلدة فخ على بعد أميال من مكة . .

وفشلت ثورته كما فشلت ثورات من قبله ، وقتل معه كثير ممن كان معه ، وكان على رأس الجيش الذى تجرد للقضاء على هذه الثورة موسى بن عيسى . . . وقد احتز رأس الحسين بن على بن الحسن وذهب بها إلى بغداد للهادى وهو مستبشر فرح .

قال المسعودى : فغضب الهادى على موسى ، وقال له : أتيتمونى مستبشرين كأنكم أتيتمونى برأس رجل من الترك أو الديلم ، إنه رجل من

عترة رسول الله - ﷺ - ألا إن أقل جزائكم عندى ألا أثيبكم شيئا .(٥٥)

ولا تعليل لذلك - إلا أن الخليفة متردد بين أمرين أحلاهما مر . . فهو بين أن يسكت على الثورة فيسلب الحكم ، وبين أن يقضى على الثورة فيقضى على الرحم . . وإن الرحم لغالية عزيزة ، ولكنها على الرغم من ذلك فهى دون السلطان عند كثير من الحكام . . فإذا ضحى بها الحاكم فداء لسلطانه عز عليه فقدها بعد ذلك . وهذا نوع من الابتلاء الشاق ابتلى به العباسيون ، لقد قُلِّدوا الخلافة حقا ، ولكنهم قُلِّدوا معها هذه الأوتار التى نغصت عليهم لذة الاستمتاع بها ، وجرعتهم غصص قطيعة الرحم ، والشقاق بين الأقرباء . .

وهكذا نرى لذة الدنيا لا تصفو لأحد ، حتى ولو كان خليفة . . وإن كدرها لأقرب من صفوها ، وغمها أكثر من فرحها ، وشقاؤها يغلب سعادتها

وكانت مصارع الثائرين من أهل البيت تثير مشاعر الناس ، وتؤرق ضمائرهم ، فلا يجدون ملاذا إلا الشعر ينفسون به عما يعتمل بين جوانحهم ، فحين قَتَلَ الحسين بن على صاحب فخ - أنشد أحد الشعراء قائلا :

فلأبكين على الحسين ... بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى ... أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ غدوة ... فى غير منزلة الوطن

(٥٥) مروج الذهب جـ٢ صـ٢٥٨ ط دار التحرير

كانـــوا كرامـــاً قُتِّــلوا   لا طـائشـــــين ولا جبـــن
غســـلوا المـــذلة عنـــهم   غسـل الثيـاب مـن الـدرن
هــــدى العبـــاد بجــــدهم   فلهـم على النـاس المنـن[٥٦]

وكان موقف موسى الكاظم من هذه الثورة سلبيا ، لم يشارك فيها ولم يؤيدها ، كما أن جعفر الصادق أباه لم يؤيد ثورة النفس الزكية وأخيه إبراهيم من قبل .

ولقد نصحا لبنى عمومتهما بالتروى وعدم التهور ، ولكنه القضاء النافذ . .

إقامته فى المدينة

وأقام موسى فى المدينة المنورة غالب أيامه لم يبارحها إلا إلى حج أو عمرة ، وقد شغل نفسه بالعبادة والعلم ، ولم يفكر فيما كان يفكر فيه أولاد عمه الحسن بن على ـ رضى الله عنهما .

وحين تولى هارون الرشيد الخلافة ، سنة سبعين ومائة . .

كان موسى فى الثانية والأربعين من عمره . .

وفى عام تسع وسبعين ومائة حج الرشيد ، وذهب إلى المدينة زائراً . . وقد رأى إقبال الناس على موسى بن جعفر وحبهم له ، وثناءهم عليه . . وفى الواقع أن موسى لايملك أحدٌ إلا أن يحبه ، لقد مكنه الله من قلوب الناس ، بعلم نافع ، وسخاء واسع ، وبسط فى الوجه ، ونقاء فى القلب . . . . كل مؤهلات الحب والإقبال اجتمعت لديه . . لم يعد ينقصه

---

(٥٦) مروج الذهب جـ٢ صـ٢٥٩

إلا الخلافة وهو عازف عنها تماماً ، غير راغب فيها على الإطلاق . ورأى هارون الرشيد فى المدينة كل الناس مقبلين على موسى بن جعفر ، وتلقى موسى هارون بما يليق به من جلال الخلافة وسلطان القرابة وكرم الضيافة . .

ولاشك أن هارون سُرَّ من هذا اللقاء ، ووقف هارون ومعه موسى تجاه القبر الشريف . .

وألقى هارون تحيته على المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلاً على سبيل الافتخار على من حوله : السلام عليك يارسول الله ، يابن عمى . .

وكان حوله رجال من قريش وأفناء القبائل وحشم السلطان . .

وتقدم موسى فألقى تحيته على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلاً : السلام عليك ياأبتاه . .

وهنا تغير وجه هارون الرشيد ، وانقبض قلبه ، وتكدر خاطره . لقد عرف الناس حوله أن هناك من هو أدنى منه قرابة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وماكان يَعُدُّه على الناس فخراً وخصوصية يكتشف أنه لاشىء بعد أن سمع هذه التحية من موسى لجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأين تكون العمومة من البنوة ؟

والتفت هارون إلى موسى وهو يغالب ضيقاً شديداً فى نفسه يقول له : هذا هو الفخر ياأبا الحسن . .

ولم يكن موسى يقصد فخراً بكلمته تلك ، ولا أن يثير شجوناً لدى الرشيد ، ولكنها الكلمة التى تعود لسانه أن ينطق بها . . فما كان يخاطب جده ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا بياأبتاه . .

ولكن الرشيد اعتبرها كلمة مقصودة لإحراجه أمام الناس ، وللإدلال بنفسه بينهم حتى يوازنوا بينه وبين الرشيد .. فأسرها هارون فى نفسه ولم يبدها لهم ..

حتى إذا حان موعد رحيله من المدينة إلى بغداد عرض على موسى أن يصحبه ..

واصطحبه معه ، حتى إذا ماوصل إلى بغداد أودعه السجن .. ونحن نستبعد أن يكون هذا الكلام المتقدم سبباً لاعتقاله وسجنه ـ وستأتى قصة أخرى فى سبب اعتقاله .

واختلف الرواة حول مصيره فى السجن . فبعضهم قال : إنه ظل فى السجن حتى مات فيه سنة ثلاث وثمانين ومائة

وبعضهم يقول : بل أطلق من السجن .. ولإطلاقه قصة ..

قصة إطلاقه من السجن :

ذكر عبدالله بن مالك الخزاعى ـ وكان قائماً على دار الرشيد وشرطته ـ قال : أتانى رسول الرشيد فى وقت ماجاءنى فيه قط ، فانتزعنى من موضعى ، ومنعنى من تغيير ثيابى ، فراعنى ذلك منه .

فلما صرت إلى الدار سبقنى الخادم ، فَعَرَّف الرشيد خبرى ، فأذن لى فى الدخول عليه ، فدخلت ، فوجدته قاعداً فى فراشه ، فسلمت ، فسكت ساعة ، فطار عقلى وتضاعف الجزع علىَّ ، ثم قال لى : أتدرى لم طلبتك فى هذا الوقت ؟

قلت : لا والله ياأمير المؤمنين .

قال : إنى رأيت الساعة فى منامى كأن حبشياً قد أتانى ومعه حربة ، فقال

لى : إن لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة .

فاذهب فَخَلِّ عنه .

فقلت : ياأمير المؤمنين ، أطلِق موسى بن جعفر ؟ ـ قلتها ثلاثاً ـ

قال : نعم ، امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر ، وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له : إن أحببت المقام قِبَلَنا فلك عندنا ما تحب ، وإن أحببت المضى إلى المدينة فالإذن فى ذلك إليك .

قال عبدالله بن مالك : فمضيت إلى الحبس لأخرجه . فلما رآنى وثب إلىَّ قائماً ، وظن أنى أمرت فيه بمكروه ، فقلت : لاتخف ـ قد أمرنى أمير المؤمنين بإطلاقك ، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم ، وهو يقول لك : إن أحببت المقام قبلنا فلك ماتحب ، وان أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر فى ذلك معلق إليك .

وأعطيته الثلاثين ألف درهم ، وخليت سبيله .

ثم قلت : لقد رأيت من أمرك عجباً . .

قال موسى بن جعفر : فإنى أخبرك ـ بينما أنا نائم إذ أتانى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ياموسى ، حبست مظلوماً ، فقل هذه الكلمات فإنك لاتبيت هذه الليلة فى الحبس .

فقلت : بأبى وأمى ماأقول ؟

فقال : قل : « ياسامع كل صوت ، وياسابق الفوت ، وياكاسى العظام لحما ، وناشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى ، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون ، الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، ياحليماً ذا

أناة ، ياذا المعروف الذى لاينقطع أبداً ، ولايحصى عدداً ـ فرج عنى » فكان ماترى[٥٧]

ويسمى هذا الدعاء دعاء الفرج ، وهو دعاء ينفع الإنسان عند الشدائد . .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فهذه قصة تشير إلى انفراج الشدة بعد اليأس ، وظهور الفرج بعد الكرب ـ عند الصالحين . .

حكى الدميرى مارواه الخطيب البغدادى فى تاريخه من أن المهدى حبس يعقوب بن داود ـ وكان وزيراً له ـ فى بئر وبنى عليها قبة ، فمكث فيها خمس عشرة سنة ، وكان يدلى له كل يوم رغيف خبز وكوز ماء ، ويؤذن بأوقات الصلاة .

قال يعقوب : فلما كان فى رأس ثلاث عشرة سنة أتانى آت فى منامى فقال :

حنا على يوسف ربٌ فأخرجه ... من قعر جُبٍّ وبيت حوله غنم

قال : فحمدت الله ـ تعالى ـ وقلت : أتانى الفرج ، فمكثت حولاً لا أرى شيئاً ... فلما كان رأس الحول أتانى ذلك الآتى فأنشدنى :

عسى فرج يأتى به الله إنه ... له كل يوم فى خليقته أمر

قال : ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً ، ثم أتانى ذلك الآتى فى رأس الحول الثالث فأنشدنى .

---

(٥٧) مروج الذهب جـ٢ صـ٢٧٤

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عانٍ ويأتى أهله النائى الغريب

قال : فلما أصبحت نوديت ، فظننت أنى أؤذن بالصلاة ، فأُدْلِيَ لى حبل فربطت نفسى به ، وخرجت من الحفرة التى كنت فيها ..

فانطُلق بى فأدخلت على الرشيد فقلت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ـ المهدى ..

فقال لى : لستُ به .

فقلت : السلام عليك ياأمير المؤمنين الهادى

فقال لى : لست به

فقلت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ..

فقال : الرشيد .

فقلت : الرشيد .

ثم قال : يايعقوب ، ماشفع فيك أحد ، غير أنى حملت الليلة صبية لى على عنقى ، فذكرت حملك إياى على عنقك ، فرثيت لك وأخرجتك .

وكان يعقوب يحمل الرشيد على عنقه وهو صغير يلاعبه .

ثم أمر الرشيد له بجائزة وصرفه .(٥٨)

وكان سبب اعتقاله أنه كان يميل إلى العلويين ويعطف عليهم ، وكان وزير المهدى .

علم الكاظم وأخلاقه

كان موسى الكاظم عالماً جليلاً ، ولا عجب فى ذلك ، فهو قد نشأ فى

---

(٥٨) حياة الحيوان للدميرى جـ١ صـ٢١٦

كنف والده العالم الجليل جعفر الصادق ، وفى المدينة المنورة التى كانت مهد العلم ومركز الثقافة الإسلامية .

ونشأ موسى مجدًّا مجتهداً فى تحصيل العلم ، وحصَّن نفسه بالتقوى ، وأخذها بالاجتهاد فى العبادة ، وذلك طريق آخر لميراث العلم .

فمن عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم .

يحكى أن هارون الرشيد سأله يوماً :

كيف قلتم نحن ذرية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنتم بنو على ، وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه ؟

فقال الكاظم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٥٩)

وليس لعيسى أب ، وإنما أُلحق بذرية الأنبياء من قبل أمه ، ونحن ألحقنا بذرية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قبل أمنا فاطمة ـ رضى الله عنها ـ

وزيادة أخرى ياأمير المؤمنين : قال الله ـ عز وجل ـ

---

(٥٩) الأنعام ٨٤ / ٨٥

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٦٠)

ولم يدع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين ـ رضى الله عنهم ـ وهم الأبناء . .

ولقد روى موسى الكاظم عن آبائه ـ وله سلسلة أحاديث رواها ورويت عنه . . . . منها : قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « نظر الولد إلى والديه عبادة »

وقد روى عنه أخوه إسحاق بن جعفر قال : قلت لأخى موسى بن جعفر : أصلحك الله ، أيكون المؤمن بخيلاً ؟

قال : نعم .

فقلت : أيكون خائناً ؟ قال : لا ـ ولايكون كذاباً . ثم قال : حدثنى أبى ـ جعفر الصادق عن آبائه ـ رضى الله عنهم ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة »(٦١)

ولابد أن يكون موسى قد وصلت شهرته فى العلم حداً كبيراً ، حتى لقد أراد أبويوسف ومحمد ـ تلميذا أبى حنيفة رضى الله عنه ـ أن يسألاه عن

---

(٦٠) آل عمران ٦١

(٦١) نور الابصار صـ١٤٩

بعض مسائل العلم .

ولم يمنعها وجوده فى السجن عن ذلك .

روى إسحاق بن عمار قال : لما حبس هارون الرشيد ـ موسى الكاظم ، دخل أبويوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة ، السجن ليلاً ـ فسلما عليه وجلسا عنده ، وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم .

فبينما هما كذلك إذ جاء بعض الموكلين به ، فقال له : إن نوبتى قد فرغت ، وأريد الانصراف ، فإن كان لك حاجة تأمرنى أن آتيك بها غداً إذا جئت .

فقال له : ليس لى حاجة .

فانصرف الرجل ، فقال موسى الكاظم لأبى يوسف ومحمد بن الحسن : هذا الرجل يسألنى إن كان لى حاجة يأتينى بها غداً إذا جاء ، وقد يموت فى هذه الليلة .

فأمسكا عن سؤاله . وقاما دون أن يسألاه عن شيء .

وقالا : أردنا أن نسأله عن الفرض والسنة ، فأخذ يتكلم معنا فى الغيب . والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره ، وينظر ما يكون من أمره ، فأرسلا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل ، فلما كان فى أثناء الليل سمع الصراخ وصوت الناعية .

وسأل ما الخبر؟ فقالوا : مات صاحب البيت .

فعاد الرجل إلى الصاحبين بالخبر فتعجبا من ذلك غاية العجب[٦٢] .

---

(٦٢) المرجع السابق نقلاً عن كتاب الفصول المهمة .

وهذه القصة ـ إن صحت ـ ليس فيها ما يستغرب من رجل نَوَّر الله بصيرته ورزقه إلهاماً وفراسة يرى فيها بنور الله ـ تعالى ـ وهى كرامة أراد الله أن يكرمه بها فى حضور رجلين جاءا ليختبراه فى مسائل من العلم الظاهرى ، فإذا به يفجؤهما بمسألة تتحير فيها الألباب . .

والكرامة فى حق الصالحين أمر واقع لا جدال فيه ، ونستطرد فى هذا المكان إلى الحديث عنها بما يكشف الشك عن قلوب بعض المنكرين لها ، مستشهدين فى ذلك بما كتبه فضيلة الشيخ إبراهيم جلهوم والشيخ عبد السلام حماد فى كتابهما عن السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ

كرامات الأولياء رضى الله عنهم

الكرامة هى الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله على يد ولى من أوليائه إكراماً له . وإظهاراً لمكانته عند ربه .

والفرق بينها وبين المعجزة أن المعجزة إنما تظهر على يد نبى ، ليثبت للناس صدقه فيما جاء به وهو يظهرها ويتحدى بها . والولى عندما تظهر الكرامة على يده لا يدعيها ولا يفخر بها ، ولا يقول للناس إنى ولى من أولياء الله ـ تواضعاً وهضماً للنفس وتسليما لله عز وجل .

وقد ثبتت كرامات الأولياء بنص الكتاب والسنة . .

فمن كرامات السابقين التى نص عليها كتاب الله ـ ما ظهر على يد الوزير الصالح « آصف بن برخيا » وزير سليمان عليه السلام

فإن سليمان عندما أرسل إلى ملكة سبأ بلقيس ومن معها من الجند والأعوان بأن يأتوا إليه مسلمين وإلا أخرجهم من مملكتهم صاغرين ـ قال

لمن حوله « أيكم يأتينى بعرشها » أى بعرش ملكة سبأ .

« قبل أن يأتونى مسلمين » « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . . . أى قبل أن يأتى وقت انفضاض الجلسة .

وإنما يفعل الجن ذلك بطاقته الطبيعية التى أودعها الله فيه ، لكن آصف بن برخيا ـ وقد وصفه الله بأن عنده علماً من الكتاب عمل به حتى صار ولياً من أولياء الله قال :

إنه يأتى بعرش بلقيس فى أقل من طرفة عين « قال تعالى ـ

قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)

فلما رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) حمد الله وأثنى عليه (قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم) .

فالذى فعله آصف كان أمراً خارقاً للعادة ، فهو كرامة أكرمه الله بها ، وكذلك يكرم الله عباده الصالحين .

ومما نص القرآن عليه من الكرامات ما أخبرنا الله به فى شأن السيدة مريم عليها السلام ـ حيث كانت توجد عندها الفاكهة فى غير أوانها إكراماً من الله لها ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم .

« فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » . ٣٧ سورة آل عمران . .

وأما كرامات السابقين التى نصت عليها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فمنها . . . ما حدث للثلاثة الذين انحطت عليهم الصخرة وهم فى داخل مغارة . . وقد روى ذلك البخارى ومسلم

ففى صحيحيهما أن النبى صلى الله عليه وسلم حدث عن انطلاق ثلاثة نفر إلى مكان فلما اشتد عليهم المطر آووا إلى مغارة يحتمون فيها من سقوط الأمطار عليهم ، فجرف السيل صخرة غطت فم الغار فلم يستطيعوا أن يزحزحوها ليخرجوا ، فأخذ كل واحد منهم يدعو ربه ، ويذكر عملاً من أعماله أخلص فيه لله عز وجل - ويقول يارب : إن كنت تعلم أنى فعلت هذا ابتغاء مرضاتك أو خوفاً منك ففرج عنا ما نحن فيه ، فأخذت الصخرة تنزاح من تلقاء نفسها دون أن يزحزحها أحد حتى بعدت عن المغارة وخرج الثلاثة يمشون .

فتزحزح الصخرة على تلك الصورة أمر خارق للعادة أكرم الله به هؤلاء الثلاثة لأنهم ارتقوا بإخلاصهم فى العمل لله إلى مرتبة الأولياء .

ومما نصت عليه الأحاديث أيضاً خبر الغلام الذى عرف ضلال الساحر وهداية الراهب - إذ كان الساحر يعلمه السحر ، ليخلفه فى مكانه عند الملك الذى ادعى الألوهية . واستعان بالسحر وبالسحرة على إيهام الناس أنه إلهم الذى يجب أن يعبدوه - فقد مر ذلك الغلام يوماً فوجد سبعاً ، أخاف الناس وجعلهم يفرون خشية أن يفترسهم ، فأخذ الغلام بحصاة وقال يارب إن كان ما عليه الراهب أحب إليك مما عليه الساحر فاجعلنى أقتل هذه الدابة بهذه الحصاة ورمى بحصاته ، فأصابت الدابة وقتلتها ، وسلم الناس من شرها .

ثم ارتقى هذا الغلام فى رتب الولاية ، إلى حد أنه كان : يدعو الله بشفاء المريض ، وعودة البصر إلى فاقد البصر فيستجيب الله دعاءه . . . . . فجاء جليس للملك قد فقد بصره ، وقال له رد إلىَّ بصرى فقال لا أستطيع أن أرد إليك بصرك ، وإنما أدعو الله لك إذا آمنت بالله وحده ، فلما آمن دعا الله له فارتد إليه بصره .

وحاول الملك عدة محاولات أن يقتل هذا الغلام ويتخلص منه فلم يستطع ، فقال له الغلام إذا أردت أن تقتلنى ، فخذ سهماً من كنانتى ، وأطلقه علىَّ وأنت تقول : بسم الله رب الغلام ، فجمع الملك الناس وأخذ سهماً من كنانته هو ورمى به الغلام ، فلم يصب بسوء ، فأخذ سهما من كنانة الغلام ورماه به قائلاً : بسم الله رب الغلام ، فأصاب السهم الغلام وقتله فقال الناس جميعاً حين رأوا ذلك آمنا بالله رب الغلام .

هذه كلها كرامات ظهرت على يد غلام مؤمن صدق إيمانه ورضى عنه ربه .

ونصت الأحاديث كذلك على خبر جريج الراهب الذى أراد بعض الفجار أن يكيدوا له ، ويظهروه بمظهر المرتكب للخطيئة تشنيعاً عليه بين الناس ، فاستأجروا بغياً لتفتنه . فلم تستطع البغى أن تنال منه ، فمكنت راعياً من نفسها فحملت وولدت صبياً ، وأخذت تشيع بين الناس أن هذا الصبى ابن جريج الراهب ، فاندفع الناس إلى صومعة جريج فهدموها ، فقال لهم : سلوا الصبى من أبوه فقالوا كيف نسأل صبياً فى مهده . . . فمضى إليه جريج وقال له : أيها الصبى من أبوك .

فقال : أبى فلان الراعى .

فلما عرف الناس ذلك اعتذروا إلى جريج وعرضوا عليه أن يبنوا له صومعته من الذهب فقال : بل ابنوها من الطوب اللبن كما كانت .

فلاشك أن نطق الصبى لتبرئة جريج الرجل الصالح كان أمراً خارقاً للعادة ـ فهو كرامة أكرم الله بها ذلك الرجل الذى أخلص لله فى عبادته ، وأقام على طاعته .

هذا قليل من كثير يثبت كرامات الأولياء الذين عاشوا فى الأمم السابقة ، وأمتنا المحمدية قد ظهر فيها ما لا يحصى من الصالحين ، الذين ظهرت على أيديهم خوارق العادات فكانت كرامات أظهر الله بها للناس منزلتهم عنده ، ليزدادوا إيماناً ويمضوا قدماً فى طاعة ربهم ، والإخلاص له .

ومن الكرامات التى أثبتتها كتب السيرة الشريفة أن عبد الله ـ أبا جابر ـ رضى الله عنهما ـ بعد موته شهيداً بتسعة أشهر أراد جابر نقله ليدفنه فى قبر وحده ، فلما كشف عنه وجده صحيح الجسم لم يغب منه شىء إلا أذنه التى كانت قطعت أثناء المعركة التى نال فيها الشهادة .

وأبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه كان يركب البحر مع كتيبة مجاهدة فوافاه أجله ، وهو فى السفينة ، وكانت بعيدة عن الشاطىء بعداً لا يسمح بتسييرها إلى البر لدفن أبي طلحة . وأبى رفاقه أن يلقوا به فى البحر لعظم كرامته فظلوا تسعة أيام فى البحر . فلما جاءوا إلى الشاطىء . وشرعوا فى تغسيله وجدوا جسمه كما هو تفوح منه رائحة جميلة . . فتلك كرامة أكرم الله بها أبا طلحة ـ وكذلك ثبت أن طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ، بعد أن بقى فى مدفنه ثلاثين سنة ، أرادت ابنته أن تنقله إلى مكان مناسب ـ فعندما أتوا به وجدوا جسمه طرياً لم يصبه شىء من البلى ، برغم

السنين الطويلة التى مرت عليه ، فتلك بلا ريب كرامة من كرامات الصالحين التى هى حقيقة من الحقائق التى لا ينكرها إلا أهل المراء والمكابرة ، الذين لا يتورعون عن إنكار الشمس وقت ضحاها ، ولكن أولياء الله عليه كرماء وعنده أعزاء .

وقد أكرم الله الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم بكرامات كبيرة لا يتسع المجال لذكرها كلها ، فلنذكر طرفاً يسيراً منها ..... فمن كرامات الصديق أبى بكر رضى الله عنه ـ ما رواه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قحط الناس فى زمان أبى بكر أى اشتدت بهم المجاعة ـ فقال أبو بكر : لا تُمسُون حتى يفرج الله عنكم . فلما كان من الغد جاء البشير وقال : قدمت لعثمان ألف راحلة بُراً وطعاماً . قال : فغدا التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب . فخرج إليهم . وعليه عباءة قد خالف بين طرفيها على عاتقه ، فقال لهم ما تريدون ، قالوا قد بلغنا أنه قدم لك ألف راحلة براً وطعاماً ، بعنا حتى نوسع به على فقراء المدينة

فقال لهم عثمان ادخلوا : فدخلوا فإذا ألف وقر قد صب فى دار عثمان ، فقال لهم كم تربحوننى على شرائى من الشام

قالوا : العشرة ـ اثنى عشر ـ قال : قد زادونى ـ قالوا العشرة أربعة عشر ـ قال : زادونى ـ قالوا : العشرة خمسة عشر ـ قال : قد زادونى ـ قالوا : من زادك ونحن تجار المدينة ـ قال : زادونى بكل درهم عشرة ـ عندكم زيادة ـ قالوا لا ، قال : فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة ـ قال : عبد الله بن عباس ـ فبت ليلتى فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى منامى وهو على برذون أشهب يستعجل وعليه حلة من نور ، وبيده قضيب

من نور ، وله نعلان شراكهما من نور .

فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد طال شوقي إليك ـ فقال صلى الله عليه وسلم ـ إني مبادر لأن عثمان تصدق بألف راحلة ، وإن الله تعالى قد قبلها منه ، وزوجه بها عروساً في الجنة ، وأنا ذاهب إلى عرس عثمان .

وقد فاز عثمان بما كافأه به ربه ، وكان ما صنع أمراً تنبأ به الصديق رضوان الله عليه . فتلك إحدى كراماته .

وأما الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ فقد عرف الجميع كيف قام خطيباً على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ـ جمعة ، فسمعه الحاضرون في المسجد ينادي بأعلى صوته يا سارية الجبل ثم عاد إلى خطبته ، فتعجب الناس لما سمعوا ولم يجدوا ما يفسرونه به ، وبعد زمان جاء إلى المدينة رسول من عند القائد سارية ـ ببلاد الفرس يخبر بأنهم وهم يواجهون العدو سمعوا صوت أمير المؤمنين ، وهو يحذرهم من أن يُؤْتَوا من قبل الجبل ، فعملوا بنصيحته ، وتحرزوا بالجبل ، وقاتلوا العدو فنصرهم الله عليه . وكسبوا تلك الموقعة بفضل ما سمعوا من نصيحة أمير المؤمنين وهو بالمدينة ، فتلك إحدى كرامات سيدنا عمر وما أكثر كراماته رضي الله عنه .

وأما سيدنا عثمان رضي الله عنه ـ فقد حدث رجل أنه كان يوماً ذاهباً إليه أيام خلافته لحاجة يطلبها منه ـ فمرت بهذا الرجل امرأة فنظر إليها نظرة غير جائزة ، فلما دخل على الخليفة نظر إليه عثمان وهو يقول : مالكم تدخلون عليَّ وفي أعينكم الزنا ، فقال الرجل متعجباً : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لا : ولكن ـ أما سمعت

قول الرسول الكريم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . . . فذلك كشف عظيم كشف الله عنه لذى النورين رضى الله عنه .

وأما سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ فإنه فى يوم خيبر بعد أن أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية وأمره أن يمضى لمقاتلة اليهود وفتح حصونهم ، مضى رضى الله عنه ـ حتى أتى باب الحصن الذى تحصن فيه اليهود واشتد قتالهم منه للمسلمين . فاقتلع سيدنا على باب الحصن واحتمله وأخذ يقاتل اليهود مترساً به حتى فتح الله عليه فهزم اليهود وجعلهم يولون مدبرين ، وسقطت بذلك خيبر فى أيدى المسلمين ، وبعد انتهاء المعركة اجتمع عدة رجال يحاولون احتمال الباب الذى كان يحمله سيدنا على بمفرده فلم يستطيعوا أن يرفعوه من مكانه ، فهذه بلا ريب إحدى كرامات أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وما أكثر أولياء الله الذين ظهرت الكرامات على أيديهم فى كل عصر من عصور الإسلام ، وفى كل بلد من بلاده مما عرفه الجميع ، واعترف به أولو الألباب ، ورحم الله من قال :

واثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

وكيف ينفى الكرامات من يعلم أن الله عز وجل قال فى الحديث القدسى « لايزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » .

ولقد كان أحب شيء إلى الأولياء أن يرزقهم الله الاستقامة . . . . . ومن

كلامهم « الاستقامة خير من ألف كرامة » ذلك أن الله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٤ ﴾ (٦٣)

من كرامات موسى الكاظم

والرواة يخبرون عن موسى الكاظم أن الله ـ تعالى ـ أكرمه بكرامات كثيرة ، منها مايقصه شقيق البلخى ـ وقد ذكره صاحب كتاب أحاسن المحاسن نقلاً عن صفة الصفوة لابن الجوزى قال : خرجت حاجاً ، فنزلت القادسية ، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة نحيف ، فوق ثيابه ثوب صوف ، مشتمل بشملة ، وفى رجليه نعلان ، وقد جلس منفرداً ـ فقلت فى نفسى : هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس ، فيكون كلًّا عليهم فى طريقهم ، والله لأمضين إليه ولأوبخنه . قال : فدنوت منه ، فلما رآنى مقبلاً نحوه قال : ياشقيق ، « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » ثم تركنى وولّى .

فقلت فى نفسى : إن هذا الأمر عجيب ، تكلم هذا الشاب بما فى خاطرى ، ونطق باسمى ، هذا عبد صالح ، لألحقنه ولأسألنه الدعاء وأطلب منه أن يعفو عنى ـ مما ظننا فيه .

قال : فغاب عنى ولم أره ، فلما نزلنا « واقصة » إذا هو قائم يصلى فقلت : هذا صاحبى فمضيت إليه ، وصبرت حتى فرغ من صلاته ،

---

(٦٣) الأحقاف ١٣ ، ١٤

راجع كتاب السيدة زينب للشيخين ابراهيم جلهوم ، وعبدالسلام حماد صـ١١٥ ـ ١٢١

فالتفت إليَّ وقال : ياشقيق : اتل قول الله تعالى :

« وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى »

ثم قام ومضى وتركنى .

فقلت : هذا فتى من الأبدال ، قد تكلم على سرى مرتين .

فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على بئر ، وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء فسقطت من يده فى البئر ، فرمق السماء بطرفه وسمعته يقول :

أنت شربى إذا ظمئت إلى الما ء وقوتى إذا إردت الطعاما . .

ثم قال : إلهى وسيدى مالى سواك . . . فلا تعد فى هذه الركوة .

قال شقيق : فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع الى رأس البئر والركوة طافية فوقه .

فمد يده فأخذها ، فتوضأ منها ، وصلى أربع ركعات ، ثم مال إلى كثيب رمل وأخذ يشرب من الركوة . .

فأقبلت نحوه ، وسلمت عليه ، فرد عليَّ السلام .

فقلت : أطعمنى من فضل ماأنعم الله به عليك .

فقال : ياشقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة ، فأحسن ظنك بربك

ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا طعم الماء كأنه العسل فوالله ماشربت قط أطيب ولا ألذ منه . فشربت ورويت حتى شبعت ، فأقمت أياماً لا أشتهى طعاماً ولا شراباً ، ثم لم أره حتى نزلنا بمكة ، فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب فى نصف الليل وهو قائم يصلى بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر .

ثم قام فركع ركعتى الفجر ثم صلى مع الناس ، ثم دخل المطاف فطاف إلى مابعد شروق الشمس ، ثم صلى خلف المقام ، ثم خرج يريد الذهاب فخرجت خلفه أريد السلام عليه ، وإذا بجماعة أحاطوا به يميناً وشمالاً ومن خلفه ومن أمامه ، وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه .

فقلت لأحدهم : من هذا الفتى ؟

فقال : هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين(٦٤)

وقد ذكر هذا الخبر النبهانى فى كتابه جامع كرامات الأولياء(٦٥) . . . وقال : ذكر ذلك اليافعى ـ صاحب مرآة الجنان ـ والشيخ عبدالله الشبراوى فى كتابه « الإتحاف بحب الأشراف » هذا بالإضافة إلى ذكره فى صفة الصفوة لابن الجوزى والحلية لأبى نعيم . .

الكرامات فى حياة الكاظم

كانت الكرامات فى حياة الكاظم ظاهرة من ظواهره ، وكأن الله ـ تعالى ـ أراد أن يكرمه بها لكثرة خصومه ، ولشدة ماكانوا يضيقون عليه ، وقد رأينا أنه لم يسلم من الاعتقال والحبس تخوفاً منه ومن ثورة يقوم بها ، مع أنه كان أشغل الناس عن ذلك .

ومما يرويه صاحب نور الأبصار من كراماته ـماينقله عن كتاب الدلائل للحميرى قال :

روى أحمد بن محمد عن أبى قتادة عن أبى خالد الزُّبالى قال :

---

(٦٤) أحاسن المحاسن صـ١٨٦ ـ نور الأبصار صـ١٤٩

(٦٥) جـ٢ صـ٤٩٥ ط الحلبى

قدم علينا أبوالحسن موسى الكاظم ، ومعه جماعة من أصحاب المهدى . بعثهم فى إحضاره إلى العراق من المدينة ، وذلك فى مسكنه الأول .

فأتيته فسلمت عليه ، فسر برؤيتى ، وأوصانى بشراء بعض الحوائج وطلب إبقاءها عندى لحين عودته .

فرآنى غير منبسط ـ فقال : مالى أراك منقبضاً ؟

فقلت : كيف لاأنقبض ، وأنت سائر مع هؤلاء ولا آمن عليك ؟

فقال : ياأبا خالد ، ليس علىَّ بأس ، فإذا كان شهر كذا فى اليوم الفلانى منه فانتظرنى فى آخر النهار مع دخول الليل ، فإنى أوافيك ـ إن شاء الله تعالى ـ

قال أبوخالد : فما كان لى هم إلا إحصاء الأيام ، حتى جاء ذلك اليوم الذى سماه ووعدنى بالمجىء فيه ، فخرجت مع غروب الشمس أنتظر ، فلم أر أحداً ، فلما كان دخول الليل إذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق ، فقصدته فإذا هو على بغلة أمام القطار(٦٦) . . . . فسلمت عليه ، وسررت بمقدمه .

فقال لى : ياأبا خالد ، أداخلك الشك ؟

فقلت : الحمد لله الذى أعادك سالماً . .

فقال : ياأبا خالد ، إن لنا مرة لانرجع منها إلى الدنيا . . وهو يقصد الموت قطعاً . .

ولعله يشير بذلك إلى المرة التى أخذ فيها على عهد الرشيد ، وظل سجيناً

---

(٦٦) القطار : القافلة حيث تتقاطر الإبل ، ومن ذلك أخذت كلمة القطار الحديثة

حتى مات فى سجنه ـ فى بعض الأقوال .

سبب تغير الرشيد عليه

وقد سبق أن تحدثنا عن أن الرشيد قبض عليه وساقه إلى السجن . . . ولهذا أسباب أهمها ـ التوجس من ثورة يقوم بها . . . . . . وقد كان يثير هذه الوساوس فى نفس الرشيد الوشاة والمنافقون .

وكان النور الإلهى الذى يرزق الكاظم الإلهام كثيراً ماينقذه من المآزق التى يتعرض لها . .

حدث عبدالله بن إدريس عن ابن سنام قال : أرسل الرشيد فى بعض الأيام إلى على بن يقطين ثياباً فاخرة أراد أن يكرمه بها ، ومن جملتها درّاعة منسوجة بالذهب . . . .

فأنفذها على بن يقطين إلى موسى الكاظم ـ وكان يحبه ـ

فردها موسى الكاظم إليه ، وقال له : تحفَّظ عليها ولاتخرجها من يديك فسيكون لك شأن تحتاج معه إليها .

فارتاب على بن يقطين لردها عليه ، ولم يدر ماسبب كلامه ذلك . إلا أنه احتفظ بالدرّاعة ، وجعلها فى سفط وختم عليه .

فلما كان بعد مدة تغير عَلِيٌّ بن يقطين على بعض غلمانة ممن كان يختص بأمورة ويطلع عليها ، فصرفه عن خدمته وطرده لأمر أوجب ذلك .

فسعى هذا الغلام إلى الرشيد ، وقال له : إن على بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم ، وإنه يحمل إليه فى كل سنة مالا كثيراً ، كما يحمل إليه هدايا وتحفاً ، وقد أعطاه الدراعة التى أكرمته بها ياأمير المؤمنين .

فاستشاط الرشيد غضباً ، وقال : لأكشفن عن ذلك ، فإن كان الأمر على ماذكرت أزهقت روحه .

وأنفذ من وقته إلى عليٍّ بن يقطين يستدعيه .

فلما مثل بين يديه قال له : مافعلت بالدراعة التى بعثتها إليك واختصصتك بها من بين سائر خواصى ؟

قال : هى عندى ياأمير المؤمنين ، فى سفط طيب مختوم عليه .

قال الرشيد : فأحضرها الساعة .

قال على بن يقطين : سمعاً وطاعة ياأمير المؤمنين ، واستدعى بعض خدمه ، وقال له : امض وخذ مفتاح البيت الفلانى من دارى ، وافتح الصندوق الفلانى وائتنى بالسفط الذى فيه على حاله .

فمضى الغلام وعاد ومعه السفط بختمه .

فوضع بين يدى الرشيد ، فأمر بفك ختمه ففك ، وفتح السفط وإذا بالدراعة فيه مطوية على حالها لم تلبس .

فقال لعلى بن يقطين : ردها إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً ، ولن أصدق بعدها عليك ساعياً ، وأتبعه بجائزة عظيمة .

وأمر الرشيد أن يضرب هذا الساعى مائة سوط(٦٧)

هل كان كرم الكاظم من أسباب القبض عليه ؟

كان موسى الكاظم آية فى الكرم والسخاء ، فقد كان يتفقد فقراء المدينة ، ويتكفل بنفقاتهم ، وكان يحمل إليهم الدراهم والدنانير ليلاً فى

---

(٦٧) نور الأبصار صـ١٥٠

ستر لايحس به أحد ، وكان كثير منهم لايعلمون من أين تأتيهم نفقاتهم . ولم يعلموا بذلك إلا بعد أن فقدوه من بينهم .

كان يقتدى فى ذلك بجده ـ على زين العابدين ـ الذى كان يقول : صدقة السر تطفىء غضب الرب .

وكان هذا الكرم هو الذى أثار حقد بعض الناس ضده ـ فوشوا به إلى الرشيد يقولون : إن الأموال تحمل إليه من جميع الجهات ، كما أن الزكاة والأخماس تجبى إليه ، وقد اشترى ضيعة بثلاثة آلاف دينار .

فخرج الرشيد فى هذه السنة إلى الحج ، وبدأ بالمدينة ، فاستقبله موسى مع جماعة من الأشراف استقبالاً حسناً .

واستقر الرشيد فى المدينة أياماً ، وكان موسى يلازم المسجد كعادته ، وجاء الرشيد ليلاً إلى قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : يارسول الله إنى أعتذر إليك من أمر أريد فعله ، وهو أن أقبض على موسى الكاظم فإنه يريد التشغيب بين أمتك ليتقاتلوا وأنا أريد حقن دمائهم .

ثم خرج فأمر به فأخذ من المسجد ، وأدخل عليه ، فقيده فى تلك الساعة . . . وأمر بإحضار قبتين ، فجعل كل واحدة منها على بغل وسترهما وجعل مع كل واحدة خيلاً يحرسها .

وَوُضِعَ موسى فى إحدى القبتين وسيَّرها إلى البصرة وسيَّر الأخرى إلى الكوفة . فعل الرشيد ذلك ليعمى على الناس أمره .

وأوصى القوم المصاحبين لموسى بتسليمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور وكان واليا على البصرة . . . فحبسه عيسى سنة . فلم ير منه مايريب . .

ولكن الرشيد كتب إليه أن يبقيه فى حبسه . .

فاستشار عيسى بعض خواصه وثقاته ـ فأشاروا عليه بأن يستعفى الرشيد من هذا الأمر .

فكتب عيسى إلى الرشيد يقول له : ياأمير المؤمنين كتبت إلىَّ فى شأن هذا الرجل ، وقد اختبرته طول مقامه فى الحبس فلم يكن منه سوء قط ، ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ، ولم أر منه تطلعاً للولاية ولا خروجاً على الخليفة ، ولا رغبة فى شىء من أمور الدنيا . ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس ، بل كان يدعو للجميع بالمغفرة والرحمة ، كما رأيته ملازماً للصوم والصلاة والعبادة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفينى من أمره ويأمر بتسلمه منى ، وإلا أطلقت سراحه ، فإنى فى غاية الحرج .

فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندى بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم . فتسلمه .

كتابه إلى الرشيد

وفى أثناء سجنه الذى طال ـ كتب إلى الرشيد يقول له : أما بعد ياأمير المؤمنين ، إنه لم ينقض عنى يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء ، حتى يفضى بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون[٦٨]

وربما كان هذا الكتاب سبباً فى حنق الرشيد عليه . . . فأبقاه فى حبسه حتى مات

ويقال : إنه توعك ثلاثة أيام .

---

(٦٨) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٨٣

ثم توفى . . . . . . وكان ذلك فى الخامس من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة . . . ولما مات أدخل السندى عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد لينظروا إليه ، ويشهدوا بأنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق ، وأنه مات ميتة عادية . .

وحين أحس الكاظم بالموت طلب مولى له كان ينزل عند دار العباس بن محمد ، ليتولى غسله وتكفينه ودفنه .

فقال له السندى : أنا أقوم لك بذلك على أحسن وجه وأتمة . ولكن الكاظم قال له : إنا أهل بيت مهور نسائنا ، ونفقات حجنا ، وكفن موتانا من خالص أموالنا ، وأريد أن يتولى ذلك مولاى .

فأرسل فى طلب هذا المولى ، فحضر ـ فقام بما طلب منه خير قيام .

ودفن موسى ببغداد وقبره فيها مشهور

قال ابن خلكان : وقبره هناك مشهور يزار ، وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع والفرش .(٦٩)

قال الدميرى : وكان الشافعى يقول : قبر موسى الكاظم الترياق المجرب .(٧٠)

يعنى بذلك أن الدعاء عنده مستجاب .

وكان بعض الشيعة يزعمون أن موسى الكاظم هو القائم المنتظر ، وأن سجنه هو الغيبة المذكورة للقائم . . . . ويعد أن مات أمر الرشيد يحيى بن خالد أن ينادى فى الناس ـ هذا موسى بن جعفر الذى تزعم

---

(٦٩) وفيات الأعيان جـ٣ صـ١٤

(٧٠) حياة الحيوان جـ١ صـ٢١٦ مادة بعوضة

الرافضة أنه لايموت ، فانظروا إليه ميتاً . ففعل يحيى ذلك .

هذا ونلاحظ أن هناك تبايناً بين تلك الرواية التى تذكر أنه مات فى السجن ، والرواية التى ذكرناها سابقاً من أن الرشيد أطلق سراحه ، وهذا مما يلقى بظلال من الشك على تلك الروايات . . . .

وربما يحل هذا التعارض ـ أنه أطلق سراحه ، ثم أعيد القبض عليه ـ ومات فى السجن بعد ذلك .

أولاده

أما أولاده فهم كثير . . . ذكر البعض أنه أنجب سبعة وثلاثين ولداً مابين ذكر وأنثى ، وأشهر أولاده على الرضا الذى نتحدث عنه فيما يلى :

الإمام على الرضا

للحديث عن على الرضا أهمية خاصة ، ذلك أنه كان نقطة تحول فى مفاهيم العباسيين حول الخلافة . وقد اختاره المأمون وليا لعهده ، بعد أن رفض الرضا رفضاً باتاً أن يتنازل له المأمون عن الخلافة . .

وقد كثرت أحاديث الرواة عن هذه الأحداث . . . . . فمنهم من اعتبر تصرف المأمون هذا من الضربات السياسية البارعة ، ومنهم من اعتبرها عن حب وإخلاص . . . وسنتحدث عن ذلك إن شاء الله ـ تعالى

نسب على الرضا ونشأته

هو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ .

وكنيته أبوالحسن ، وله عدة ألقاب منها ـ الرضا ، والصابر ، والزكى ، والولى ـ ولكن أشهرها الرضا .

كان أسمر اللون معتدل القامة ، ذا هيبة . .

ومن الطرائف فى ذلك أنه دخل يوماً حماماً ، فبينما هو فى مكان فيه إذ دخل جندى فأزاله من موضعه ، وقال له : صُبَّ على رأسى ياأسود ، فأخذ الرضا يصب على رأسه ، حتى دخل الحمام من يعرفه ، فصاح : ياجندى هلكت ، أتستخدم ابن بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

فأقبل الجندى ـ بعد أن عرفه ـ يقبل رجلى الرضا ، ويقول له : هلا عصيتنى إذ أمرتك ؟

فقال له الرضا : إنها لمثوبة ، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه ، ثم أنشأ يقول :

ليس لى ذنب ولا ذنب لمن   قال لى : ياعبد أو ياأسود

وقد قال البعض بعد هذا البيت مجيزاً له :

ذاك ثوب قد كسانيه الذى   شانه فى الخلق دوماً يُحمَدُ

ونشأ على الرضا على درج من سبقه من آبائه وأجداده ، ديدنه طلب العلم والتقوى والأخلاق الفاضلة وكثرة العبادة .

وقد بلغ فى ذلك شهرة فائقة حتى اعتبره الناس إماما من الأئمة الكبار . .

ولد الرضا سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة ، وقيل سنة ثلاث وأربعين ومائة . . . بالمدينة المنورة .

وحين تولى المأمون الخلافة كانت سنه خمسين سنة على اعتبار أنه ولد سنة

ثمان وأربعين ومائة ، أو خمس وخمسين سنة ـ على اعتبار أنه ولد سنة ثلاث وأربعين ومائة .

قصة ولايته للعهد

لما تولى المأمون الخلافة بعد أن أقصى أخاه الأمين عنها بعد خطوب تحدث عنها الرواة . . وكان المأمون مقيماً بخراسان حين قتل الأمين ، ثم بدا له أن يذهب إلى بغداد قصبة الخلافة ، فقصدها .

وفى سنة إحدى ومائتين وهو فى طريقه إلى بغداد ، استقدم على بن موسى الرضا ، واختاره ولياً للعهد من بعده .

وكان المأمون قد أخذ يفكر فى أمر الخلافة وكثرة الثورات التى يقوم بها أهل البيت والتفاف الناس حولهم ، فاستقر رأيه على أن ذلك مصدره الحب والأحقية ، فأراد أن يستل ضغائن الناس ويتألف قلوبهم ، فعرض على الرضا أن يتنازل له عن الخلافة فأبى علىٌّ ذلك إباء شديداً .

فقال : لاأقل إلا أن تكون ولياً للعهد من بعدى . .

ولما رأى الرضا إصراره على ذلك قبل بشرط أن يكون ذلك الأمر صوريا لافعليا .

قال ابن خلكان : كان السبب فى اختيار على الرضا وليا للعهد أن المأمون استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء ، وهو بمدينة مرو ، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ، مابين الكبار والصغار .

واستدعى عليا الرضا ، فأنزله أحسن منزلة ، وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر فى أولاد العباس وأولاد على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ فلم يجد فى وقته أفضل ولا أحق بالأمر من علىٍّ الرضا . فبايعه ،

وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ..

ولكن الخبر نما إلى مَنْ بالعراق من العباسيين فعلموا أن فى ذلك خروج الأمر عنهم ، فخلعوا المأمون ، وبايعوا إبراهيم المهدى ـ وهم عم المأمون ـ وذلك فى سنة ثلاث ومائتين .. (٧١)

وقد استقبل الناس نبأ ولاية العهد للرضا بالقبول ، ولكن العباسيين نقموا ذلك ، وشغبوا على المأمون ، وأوشكوا أن يخلعوه ، حتى تمكن المأمون من دخول بغداد وفر إبراهيم بن المهدى ، واستقر الأمر للمأمون .

ولكن بعد أن كان الرضا قد توفى ـ رحمه الله ـ

وكان المأمون قد أراد أن يوطد صلته بعلى الرضا ... لأنه كما يقول ابن كثير : لم ير أفضل منه فى أهل البيت ، ولم ير فى بنى العباس مثله فى عمله ودينه(٧٢)

فزوج علياً ابنته أم حبيب بنت المأمون ..

وهذا يشير إلى أن اختياره لعلى الرضا ولياً للعهد كان عن اقتناع تام بما فعله ..

إلا أن بعض الرواة يشكك فى سلامة تصرف المأمون فى هذا العمل .. ولنعرض آراء الرواة فى ذلك :

دور الفرس فى هذه القضية :

يقول بعض الرواة : إن مسألة تولية الرضا ولاية العهد كانت بتدبير من

---

(٧١) وفيات الأعيان جـ١ صـ٥٧٧

(٧٢) البداية والنهاية جـ١٠ صـ٢٤٧

الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل ، وهما وزيرا المأمون المتتابعين . وهما فارسيان أصلاً ، ولهما ميول شيعية خالصة . . .

حتى ولو كان المأمون نفسه يميل إلى العلويين ، فقد كان ذلك بفضل سياسة الفرس وتربيتهم له التى حببت إليه آل على بن أبى طالب . . . . فقد نشأ المأمون فى حجر جعفر البرمكى الذى كان وزير الرشيد

ميل المأمون للعلويين

ويقول بعض الرواة : إن المأمون حقاً كان يميل للعلويين ، وكان يحبهم طبعاً لاتكلفاً ، والدليل على ذلك أنه كان يحضر جنائزهم . . . . . فحين مات يحيى بن الحسين بن زيد ـ صلى عليه بنفسه ، ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ماتعجبوا منه ، فى حين أنه أرسل أخاه صالحاً لينوب عنه فى جنازة أحد العباسيين الأقرباء وقد مات بعد يحيى بقليل .

فلما عزى صالح أم الفقيد ـ وهى زينب بنت سليمان بن على بن عبدالله بن عباس ـ وكانت ذات هيبة عند العباسيين ـ أظهرت غضبها على المأمون وقالت لحفيدها : تقدم فصل على أبيك ، وتمثلت بقول الشاعر :

سبكناه ونحسبه لجيناً فأبدى الكير عن خبث الحديد

ثم قالت لصالح : قل له ـ تقصد المأمون ـ : يابن مراجل ـ اسم أمه ـ وكانت جارية فى قصر الرشيد ـ أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لوضعت ذيلك فى فيك وعدوت خلف جنازته .

ودليل آخر على ميله للعلويين . . أنه حين مات محمد بن جعفر ـ دخل المأمون بين عمودى السرير فحمله حتى وضعه فى لحده ، وقال : هذه رحم

مجفوة منذ مائتى سنة ، وقضى دينه وكان ثلاثين ألف دينار .

ودليل آخر : أنه حين حضرت المأمون الوفاة أوصى أخاه المعتصم الذى تولى بعده فقال له : هؤلاء بنو عمك ـ أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم ، وأقبل من محسنهم ، ولا تغفل صِلاَتِهم فلا تغفلها فى كل سنة عند محلها ، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى .

وتفسير هذا الميل يظهر فى رده على زينب بنت سليمان التى أشرنا إليها ، حين سألته عن نقل الخلافة إلى الرضا . . فقد قال لها : ياعمة إنى عرفت أن علياً حين ولى الخلافة أحسن إلى بنى العباس ، وما رأيت أحداً من أهل بيتى حين أفضى الأمر إليهم كافئوه على فعله ـ فى ولده ، فأحببت أن أكافئه على إحسانه .(٧٣)

هل هى براعة سياسية ؟

وقال بعض الرواة : إن تولية الرضا ولاية العهد لعبة سياسية بارعة من المأمون ، وقد كان فى منتهى الحكمة فى ذلك . .

والدليل على أنه كان لايعنى مايقول حين فضَّل أبناء علىٍّ ـ مناقشته لعلى الرضا فى بعض المناسبات .

فقد قال لعلى الرضا : بم تدَّعون هذا الأمر ؟ . . يقصد الخلافة . . فقال على الرضا : بقرابة علىٍّ من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبقرابة فاطمة .

---

(٧٣) راجع المأمون الخليفة العالم ـ د محمد مصطفى هدارة صـ٧٠ ومابعدها ـ أعلام العرب

فأجابه المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ، ففى أهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل بيته من هو أقرب إليه من علىٍّ ، ومن هو فى القرابة مثله . - يقصد بالأقرب العم - وهو العباس - ويقصد بمن هو مثله أولاد عمه - من أمثال سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب - وهو ابن عم النبى - صلى الله عليه وسلم - كعلى - مثلاً -

وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين ، وليس لعلى فى هذا الأمر حق وهما حيان

فإذا كان هذا هو رأى المأمون فإن ميله للعلويين كان مناورة سياسية بارعة . .

لقد رأى آل على مختفين خوفاً من بطش المنصور ومن جاء بعده ، وقد خفيت أحوالهم على الناس ، فظنوا بهم مايظنونه بالأنبياء ، وارتفع الغالون من الشيعة بهم إلى مرتبة تكاد تخرجهم عن كونهم من البشر ، ففكر فى معاقبة الغالية منهم فوجد أن ذلك يزيد الناس إغراء بأهل البيت ، فنظر نظراً دقيقاً - فقال : إن هؤلاء لو ظهروا للناس ، وخالطوهم ورأوهم على طبيعتهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم لوجدوا أنهم ناس من الناس لايزيدون على غيرهم شيئاً . .

ثم نظر ، فقال : إنا إذا أمرناهم بالظهور خافوا فاستتروا وظنوا بنا سوءاً ، وإذن فالرأى أن نقدم واحداً منهم ونجعله إماماً ، فإنهم إذا رأوا ذلك أنسوا وظهروا وأظهروا ماخفى بالاختفاء[٧٤]

---

(٧٤) المرجع السابق

عدم اغترار الرضا بهذا المنصب

وعلى كل فلسنا نسيء الظن بالمأمون ، ولانعتقد أنه من البراعة فى التمثيل إلى هذا الحد ، وقد أثر عنه أنه كان عالماً صالحاً ، وإن كان قد انخدع بالمعتزلة وآرائهم حتى آذى ـ بسبب حمل الناس على القول بخلق القرآن ـ علماء أجلاء . .

وكانت له مجالس علمية يناظر فيها العلماء ويناظرونه مما يدل على رغبة جادة فى الوصول إلى الحقيقة .

وقد حكى عنه ابن عبدربه فى العقد الفريد مايشير إلى اعتقاده الراسخ بأحقية على بن أبى طالب وأولاده فى الخلافة

وقد جمع لذلك وجوه العلماء وناظرهم وحاجهم حتى حملهم على قبول رأيه بالدليل والحجة والبرهان . ولولا الإطالة لذكرنا هذه المناظرة بتمامها ولكنا نحيل القارىء إليها فى مصدرها .(٧٥)

والذى يعنينا هنا هو أن الإمام الرضا لم يغتر بأمر ولاية العهد بل كان يعتقد أنها سرعان ماتزول .

ذكر المدائنى قال : لما جلس الرضا مجلس البيعة لولاية العهد ، وأقبل المهنئون والشعراء بين يديه ، وقد أخذت الألوية تخفق فوق رأسه ، نظر الرضا إلى بعض مواليه ممن يختص به ـ وقد داخل هذا المولى من السرور مايفوق الوصف ـ فأشار إليه الرضا ، فدنا منه ، فقال له فى أذنه سراً :

---

(٧٥) العقد الفريد جـ٣ صـ٣٣ باب فضائل على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ط المطبعة الشرفية ١٣٠٥ هـ

لاتشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ولاتستبشر فإنه لايتم .[٧٦]

كيف تمت ولاية العهد ؟

جمع المأمون خواصه وأمراء دولته ووزراءه وحجابه ، وذلك فى يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، فلما اجتمعوا قال للفضل بن سهل : أخبر الحاضرين برأى أمير المؤمنين فى الرضا ـ على بن موسى ـ وأنه ولّاه عهده ـ وأمرهم بلبس الخضرة والعودة لبيعته فى الخميس الثانى .

فحضروا فى الخميس الثانى ، وجلس كل فى موضعه ، وجلس المأمون .... ثم جىء بعلى الرضا ، فجلس بين وسادتين عظيمتين ، وهو لابس الخضرة، وعلى رأسه عمامة ، وهو متقلد سيفاً .

فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام إليه ومبايعته أول الناس .

فرفع الرضا يده وجعلها من فوق .

فقال له المأمون : ابسط يدك .

فقال الرضا : هكذا كان يبايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده فوق أيديهم ، فقال : افعل ماترى ..

وتقدم الخطباء والشعراء ، فخطبوا ، وألقوا القصائد .

ثم إن المأمون قال للرضا قم فاخطب الناس . فقام على بن موسى ... فحمد الله وأثنى عليه ، وثنى بذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلى عليه ـ ثم قال : أيها الناس ، إن لنا عليكم حقا برسول الله ـ صلى الله

---

(٧٦) نور الأبصار صـ١٥٦

عليه وسلم ـ ولكم علينا حق به ، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب لكم علينا حقكم ، والسلام .. ولم يقل غير ذلك .

وأصبح بمقتضى هذا العهد يُخْطَب له على المنابر مع أمير المؤمنين المأمون وقد كتب المأمون عهد الولاية وأشهد عليه ، وجاء فى أوله : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب كتبه عبدالله بن هارون الرشيد لعلى بن موسى ابن جعفر ولى عهده ـ أما بعد ، فإن الله اختار الإسلام ديناً ، واختار له محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبياً ورسولاً ـ انتهت إليه النبوة والرسالة ....

فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرسالة ، جعل قوام الدين ونظام المسلمين فى الخلافة .....

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة مطيلاً لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة .. فاختار لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه فى دينه وورعه وعلمه ، وأرجاهم للقيام فى أمر الله وحقه ....

وكانت خيرته بعد استخارة الله ـ تعالى ـ على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الذائع ، وورعه الظاهر الشائع ، وزهده الخالص النافع .... الخ ...

وقد كتب المأمون هذا العهد بخطه ووضع ختمه عليه . وكتب على الرضا على ظهره بخطه مايأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الفعال لما يشاء لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ، وصلاته على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين . . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر ـ إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ماجهله غيره ، فوصل أرحاماً قطعت ، وأمن نفوساً فزعت ... وإنه جعلنى إلى عهده وجعل لى الإمرة الكبرى إن بقيت بعده . . جعلت لله ـ تعالى ـ على نفسي عهداً أن أعمل فيهم بطاعة الله وطاعة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . . وإن أحدثت أو غيرت كنت للعزل مستحقاً . .

وقد شهد على هذا العهد خواصُّ الدولة من أمثال ـ الفضل بن سهل والقاضي يحيى بن أكثم ، وعبدالله بن طاهر ، وثمامة بن الأشرس وغيرهم . .

كم دامت ولاية العهد هذه؟

قلنا إن هذه الولاية تمت فى مرو وكانت فى سنة إحدى ومائتين ـ وكان المأمون فى طريقه إلى بغداد قادما من خراسان . . . . وكان المأمون يتلكأ فى طريقه ، كان يتوقف فى كل مدينة يصل إليها ، يتفقد أحوال الناس من جهة ، ويوطد لنفسه من جهة أخرى ـ وقد استغرقت رحلته من مرو مثلاً إلى بغداد عامين تقريباً وقد مات الرضا فى الطريق . مات فى طوس سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣ على اختلاف بين الرواة . . فكأن ولاية العهد لم تستمر سوى فترة قصيرة . .

لقد بدأت رحلة المأمون إلى بغداد من خراسان ، وتوقفت فى مرو ، وبعد

مرو ، توقف فى سرخس ، ثم طوس . .

وكان فى صحبته فى رحلته على الرضا بن موسى .

وحانت صلاة العيد ، ووجد المأمون فى صحته انحرافاً وثقلاً عن الخروج إلى الصلاة ، فقال لأبى الحسن على الرضا : قم ياأبا الحسن ، فاركب وصل بالناس العيد .

فامتنع الرضا ، وقال : قد علمت ماكان بينى وبينك من الشروط حين جعلتنى على ولاية العهد ـ وكان من هذه الشروط أنه يقبل ـ بشرط ألا يأمر ولاينهى ، ولا يولى ولايعزل ، ولا يتكلم بين اثنين فى حكومة ، ولايغير شيئاً مما هو قائم على أصله ـ فأعفنى ياأمير المؤمنين من الصلاة بالناس .

فقال المأمون : إنما أريد أن أنوه بذكرك ، وأشهر أمرك . فيعرف الجميع أنك ولى عهدى وأنك الخليفة من بعدى ، ومازال المأمون يلح عليه فى ذلك حتى قال الرضا : إن أعفيتنى من ذلك كان أحب إلىَّ ، وإن أبيت إلا أن أخرج للصلاة فإنما أخرج إليها على الصفة التى كان يخرج عليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فقال المأمون : افعل كيفما أردت .

فأمر المأمون القواد والجند وأعيان دولته بالركوب وخدمة ولى عهده إلى المصلى .

فركب الناس إلى بيته ، وحضر القراء والمؤذنون والمكبرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج .

فخرج الرضا ، وقد اغتسل ، ولبس أفخر ثيابه ، وتعمم بعمامة ، وألقى طرفاً منها على عاتقه ، ومسَّ طيباً ، وأخذ عكازاً فى يده ، وخرج ماشياً ولم

يركب ، وقال لمواليه وأتباعه : افعلوا مثلما فعلت ، ففعلوا كفعله ، وساروا بين يديه عند شروق الشمس رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير .

فلما رآه القواد والجنود على هذه الحالة لم يسعهم إلا أن ينزلوا عن خيولهم ومراكبهم ، وساروا بين يديه وتركوا الدواب مع غلمانهم خلف الناس ، وكلما كبر الرضا كبر الناس بتكبيره ، وكلما هلل هللوا بتهليله وهم سائرون ـ حتى خيل للناس أن الحيطان والجدر تتجاوب معهم بالتكبير والتهليل ، وارتفع البكاء والصراخ .

وبلغ المأمون ذلك ، فقال له الفضل : إن بلغ الرضا المصلى افتتن به الناس ، وخفنا على دمائنا وأرواحنا ، فابعث إليه ورده . فبعث إليه المأمون يقول له : قد كلفناك ياأبا الحسن ، ولا نحب أن نلحقك مشقة ، ارجع الى بيتك ويصلى بالناس من كان يصلى بهم من قبل .

فرجع على الرضا إلى بيته ، وركب المأمون فصلى بالناس .[٧٧]

وربما تشير هذه القصة إلى ماكان يعتمل فى نفس المأمون ، وأنه فعل مافعل مع على الرضا بدافع السياسة التى أشار إليها بعض الرواة ، وأن توليته الأمر من بعده لم يكن من واقع حب حقيقى لآل علىٍّ ومعرفة بحقوقهم ـ كما ذكر البعض ـ

ويقال إنه كان يريد أن يظهرهم فى صورة أنهم كغيرهم لايتميزون ، فلما ظهر له أن الله رزق هذا الرجل هيبة ورفعة فى أعين الناس خشى نتيجة ذلك .

---

(٧٧) نور الأبصار صـ١٥٨

هيبة الرضا وحب الناس له

حدث صاحب تاريخ نيسابور قال : إن علياً الرضا بن موسى الكاظم لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورة على بغلة شهباء ، وقد شق بها السوق ، فعرض له الإمامان الحافظان ـ أبوزرعة ، وأبو مسلم الطوسى ـ ومعهما من أهل العلم والحديث خلق كثير .

فقالا : يأيها السيد الجليل ، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك ـ صلى الله عليه وسلم ـ نذكرك به .

فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة فرآه الناس ، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه ، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون إليه مابين باك وسعيد ، وعلا الضجيج فصاح الإمامان : معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ماينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم .

فقال على ـ رضى الله عنه ـ : حدثنى أبِى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه على زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء ، عن أبيه على ـ كرم الله وجهه ـ قال : حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : حدثنى جبريل ـ عليه السلام ـ قال : حدثنى رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ قال : « كلمة لا إله إلا الله حصنى ، فمن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى » . . . . . ثم أرخى الستر على المظلة ، وسار .

قال أحمد ـ رضى الله عنه ـ : لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لأفاق .

وقال أبوالقاسم القشيرى ـ رضى الله عنه ـ : اتصل هذا الحديث بهذا

السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب ، وأوصى أن يدفن معه فى قبره ، فرؤى فى المنام بعد موته فقيل له : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى بتلطفى بلا إله الا الله ، وتصديقى أن محمداً رسول الله ـ

أورده المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير .

من مروياته

ولعلى بن موسى مرويات كثيرة بهذه السلسلة التى ذكرناها ، وتسمى السلسلة الذهبية .

من ذلك : عن على بن موسى عن آبائه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « من لم يؤمن بحوضى فلا أورده الله ـ تعالى ـ حوضى ، ومن لم يؤمن بشفاعتى فلا أناله الله شفاعتى ، ثم قال : إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل »

ومنها ـ عن على الرضا بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لايكون إلى يوم القيامة مؤمن إلا وله جار يؤذيه »

بصره بالشعر

وكان لعلى بن موسى بصر بالشعر يقوله ويستمع إليه ويرويه . وكان له شعراء يمدحونه ويثيبهم على مدحهم .

نظر الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس إلى على الرضا وقد خرج من عند المأمون يوماً وهو على بغلة ، فقال له : يابن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت فيك أبياتاً أحب أن تسمعها منى . فقال له : قل ، فأنشأ

أبونواس يقول :

مطهرون نقيات ثيابهم تجرى الصلاة عليهم كلما ذكروا
الله لما برى خلقاً فأتقنه صفاكم فاصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور

فنظر الرضا إلى غلامه وقال : ياغلام مامعك من فاضل نفقتنا ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال : ادفعها إليه ، ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال لغلامه : لعله يستقلها ، سق ياغلام إليه هذه البغلة .

قال ابن خلكان : وكان سبب مدح أبى نواس للرضا . أن بعض أصحاب أبى نواس قال له : مارأيت أوقح منك ، ماتركت خمراً ولا طرداً ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً ، وهذا على بن موسى الرضا فى عصرك لم تقل فيه شيئاً .

فقال أبونواس : والله ماتركت ذلك إلا إعظاماً له ، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله ، ثم أنشد بعد ساعة فيه الأبيات الآتية :

قيل لى : أنت أحسن الناس طراً فى فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح يثمر الدر فى يدَىْ مجتنيه
فعلى ماتركت مدح ابن موسى والخصال التى تجمعن فيه ؟
قلت : لاأستطيع مدح إمام كان جبريل قائماً لأبيه

ثم أنشد بعد ذلك الأبيات التى سبق أن ذكرناها(٧٨)

---

(٧٨) وفيات الأعيان جـ١ صـ٥٥٧

هو ودعبل الخزاعى

وكان الشاعر دعبل بن على الخزاعى من الشعراء الموهوبين الذين اختصوا الإمام على الرضا بمدحهم ، وكان قد أنشأ قصيدته التالية المشهورة :

ذكرت محل الربع من عرفات — فأجريت دمع العين بالعبرات
وفلَّ عُرَى صبرى وهاجت صبابتى — رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة — ومنزل وحى مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى — وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار على والحسين وجعفر — وحمزة والسجاد ذى الثفنات
ديار لعبدالله والفضل صنوه — نجى رسول الله فى الخلوات
منازل كانت للصلاة وللتقى — وللصوم والتطهير والحسنات
منازل جبريل الأمين يحلها — من الله بالتنزيل والرحمات
منازل وحى الله معدن علمه — سبيل رشاد واضح الطرقات
قفا نسأل الدار التى خف أهلها — متى عهدها بالصوم والصلوات ؟
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى — فأمسين فى الأقطار مفترقات ؟
أحب فضاء الدار من أجل حبهم — وأهجر فيهم أسرتى وثقاتى
وهم أهل ميراث النبى إذا انتموا — وهم خير سادات وخير حماة
مطاعيم فى الإعسار فى كل مشهد — لقد شرفوا بالفضل والبركات
أئمة عدل يقتدى بفعالهم — وتؤمن منهم زلة العثرات
فيارب زد قلبى هدى وبصيرة — وزد حبهم يارب فى حسناتى
لقد أمنت نفسى بهم فى حياتها — وإنى لأرجو الأمن بعد وفاتى

ألم تر أني من ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات ؟
أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وُتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفا عن الأوتار منقبضات
وآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد غُلَّظُ القصرات
سأبكيهم ما ذرَّ في الأفق شارق ونادى منادي الخير بالصلوات
وماطلعت شمس وحان غروبها وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعا وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أوغد لقطع نفسي إثرهم حسراق
خروج إمام لامحالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي عن النعماء والنقمات
فيانفس طيبي ثم يانفس فاصبري فغير بعيد كل ماهو آت

وقصد دعبل بهذه القصيدة - وهي طويلة اكتفينا منها بما قدمناه - أبا الحسن علي بن موسى الرضا ، بخراسان ، وكان المأمون قد أخذ بيعة الناس له بولاية العهد وأنه الخليفة من بعده ، وأمر بنزع السواد ولبس الخضرة .

قال دعبل : فلما دخلت على علي بن موسى قال لي : أنشدني شيئاً مما أحدثت بعدنا . . فأنشدته هذه القصيدة .

فلما بلغت قولي :

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفا من الأوتار منقبضات

بكى حتى أغمي عليه ، وأومأ إليَّ الخادم على رأسه أن اسكت . فسكت ، فمكث ساعة ، ثم قال لي : أعد - فأعدت حتى بلغت هذا

الموضع ، فأصابه مثلما أصابه فى المرة الأولى ، فسكت .

ثم مكث ساعة أخرى ، فقال لى : أعد فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها . فقال لى : أحسنت . ثلاث مرات .

ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ، ولم تكن وقعت إلى أحد بعد ، وأمر لى بحلى كثير حمله إلىّ الخادم .

قال دعبل : فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم اشترتها منى الشيعة ، فحصل لى مائة ألف درهم . . . .

قال ذلك أبوالفرج فى أغانيه ـ وذكر أن دعبلاً استوهب علياً ثوباً قد لبسه ليجعله فى أكفانه ، فخلع جبة كانت عليه وأعطاه إياها . . . وبلغ أهل « قُمّ » خبر هذه الجبة فسألوا دعبلاً أن يبيعها لهم بثلاثين ألف درهم فأبى . . فخرجوا عليه فى الطريق فأخذوها غصباً ، وقالوا : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم .

فقال : إنى والله لاأعطيكم إياها طوعاً ، ولاتنفعكم غصباً ، وأشكوكم إلى الرضا ، فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف درهم وفرد كُمٍّ من بطانتها فرضى بذلك ، فكانت فى أكفانه .

وكتب القصيدة المذكورة فى ثوب وأحرم فيه لما حج ، وأمر بأن يكون فى أكفانه(٧٩)

وكان دعبل قد أقسم ألا ينشد قصيدته تلك إلا بين يدى الرضا ، فكان الرضا أول من سمعها .

---

(٧٩) تجريد الأغانى ـ لابن واصل الحموى جـ٥ صـ٢٠٢٢ ط دار التحرير

وفى رواية أن دعبلاً بعد أن أخذ الجبة خرج قاصداً العراق ضمن قافلة متجهة إليها فخرج عليهم اللصوص فى الطريق ونهبوا القافلة عن آخرها ، وأمسكوا جماعة من جملتهم دعبل فأوثقوهم ، وأخذوا مامعهم وساروا بهم غير بعيد ، ثم جلسوا يقتسمون أموالهم ، فتمثل مقدم اللصوص بقول دعبل :

أرى فيئهم فى غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه ، فقال له : أتعرف هذا البيت لمن ؟

فقال : وكيف لاأعرفه ؟ هو لشاعر من خزاعة اسمه دعبل ، شاعر أهل البيت .

فقال دعبل : أنا والله دعبل ، وقائل هذه القصيدة التى منها هذا البيت .

فقال له الرجل : ويلك ، انظر ماتقول ؟

فقال دعبل : والله الأمر أشهر من ذلك ، واسأل أهل القافلة . فسألوهم فأخبروا أنه دعبل بعينه .

فقال اللصوص : قد وجب حقك علينا ، قد أطلقنا القافلة من أجلك ، وسنرد جميع ماأخذناه منها كرامة لك .(٨٠)

وعن أبى الصلت الهروى ، قال : قال دعبل لما أنشدت الرضا هذه القصيدة ووصلت إلى قولى :

خروج إمام لامحالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

---

(٨٠) نور الأبصار صـ١٥٤

يمـيز فينـا كـل حـق وباطـل ويجـزى على النعمـاء والنفحـات

قال : ياخزاعى لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين .

وكان للرضا شعر يرويه ، قال له المأمون : أنشدنا أحسن مارويت فى السكوت عن الجاهل وعتاب الصديق ، فقال :

إنى ليهجـرنى الصـديق تجنبـاً فـأرى بـأن لهجـره أسـبابـاً
وأراه إن عاتبتـه أغريتـه فـأرى لـه تـرك العتـاب عتـابـاً
فـإذا بليت بجـاهل متحكـم يجـد الأمـور من المحـال صـوابـاً
أوليتـه منـى السـكوت وربمـا كـان السـكوت عن الجـواب جوابـاً[81]

ومن شعره الذى رواه له ابن كثير :

كلنـا يأمـل مـداً فى الأجـل والمنـايا هـن آفـات الأمـل
لاتغرنـك أباطيـل المنـى والـزم القصـد ودع عنـك العلـل
إنمـا الدنيـا كظـل زائـل حل فيـه راكـب ثـم ارتحـل[82]

وعن أبى الحسن القرظى عن أبيه قال : حضرنا مجلس أبى الحسن الرضى فجاء رجل فشكا إليه أخاه ، فأنشد الرضا يقول :

اعـذر أخـاك علـى ذنوبـه واصـبر وغـطّ علـى عيـوبه
واصـبر على سـفه السـفيه وللزمـان علـى خطـوبه
ودع الجـواب تفضـلاً وكـلِ الظُّـلوم إلى حسـيبه[83]

---

(٨١) المرجع السابق
(٨٢) البداية والنهاية جـ١٠ صـ٢٥٠
(٨٣) نور الأبصار صـ١٥٥

أخلاق علي الرضا

وكان الرضا لبقا متأدباً بأدب جده ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأله المأمون يوماً : مايقول بنو أبيك في جدنا العباس بن عبدالمطلب ؟ فقال الرضا : مايقولون في رجل فرض الله طاعة نبيه على خلقه، وفرض طاعته على نبيه، فأمر له بألف ألف درهم.

وكان أخو الرضا ـ وهو زيد بن موسى قد خرج بالبصرة على المأمون، فأرسل إليه المأمون أخاه علياً الرضا يرده عن ذلك.

فجاء عليٌّ البصرة، وقال لأخيه : ويلك يازيد، فعلت بالمسلمين بالبصرة مافعلت، وتزعم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

والله لأشد الناس عليك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يازيد، ينبغي لمن أخذ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعطى به.

فبلغ كلامه المأمون فبكى، وقال : هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٨٤]

وهذا الكلام مأخوذ من كلام زين العابدين الذي قال : ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطى به. ويعني ـ كما أكرمك الناس لقرابتك من رسول الله يجب أن تكرمهم من أجله.

---

(٨٤) وفيات الأعيان جـ١ صـ٥٧٨

الوفاة

وفى صفر سنة ثلاث ومائتين توفى على بن موسى الملقب بالرضا ـ فى طوس . . . قال ابن كثير : وقد روى الرضا الحديث عن أبيه وغيره ، وروى عنه جماعة منهم المأمون وأبوالسلط الهروى وأبوعثمان المازنى النحوى . . . . ومن أقواله المشهورة : « الله أعدل من أن يكلف العباد مالايطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا مايريدون » .

وفى وفاته أقوال .

قال ابن خلكان : توفى فى آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين ، وقيل : بل توفى خامس ذى الحجة ، وقيل : ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث ومائتين بطوس ، وكان سبب موته أنه أكل عنباً ، فأكثر منه ، وقيل : بل كان العنب مسموماً فاعتل منه(٨٥)

وإذا كان قد مات مسموماً ، فمن سمه ؟

يقول بعض الرواة : إن الذى سمه رجل من خصومه ـ اسمه على بن هشام . . .

قال ابن طباطبا : دَسَّ إلى على بن موسى الرضا سما فى عنب ـ وكان يحب العنب ـ فأكل منه واستكثر فمات من ساعته . . . . ثم كتب ـ المأمون ـ إلى بنى العباس ببغداد يقول لهم : إن الذى أنكرتموه من أمر على ابن موسى قد زال ، وإن الرجل قد مات .

وذكر اليعقوبى فى تاريخه أن على بن هشام أطعم الرضا رمانا فيه سم .

---

(٨٥) الوفيات ١ /٥٧٧

ولكنه لم يذكر من هو على بن هشام . . .

ويذكر اليعقوبى أن المأمون حزن حزناً شديداً على موت على الرضا . . . . وقد سار فى جنازته حاسراً وهو بين قائمتى النعش يقول : إلى من أروح بعدك ياأبا الحسن ؟ وأقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى فى كل يوم برغيف وملح فيأكله ، ثم انصرف فى اليوم الرابع .

وإذا كان بعض الرواة يزعمون أن للمأموم ضلعاً فى موت الرضا ـ فهم مخطئون فى ذلك ـ إذ لايعقل أن يُرَمِّلَ المأمون ابنته ، فهو قد زوجها من الرضا قبل وفاته بشهور . .

وروى أبوالفرج فى أغانيه : أن المأمون دخل على الرضا فى علته يعوده ، فوجده يجود بنفسه ، فبكى وقال : أعزز علىَّ ياأخى بأن أعيش بعدك ، وقد كان فى بقائك أمل ، وأغلظ علىَّ من ذلك وأشد أن الناس يقولون : إنى من أسباب مرضك ، وأنا والله من ذلك برىء . فقال له الرضا : صدقت ياأمير المؤمنين ـ أنت والله برىء[٨٦]

وإذا ثبت وضع السم فى طعام الرضا فهو إما أن يكون بيد الحاشية دون علم المأمون ليخلص الأمر للعباسيين ، أو بيد الحسن بن سهل وزير المأمون انتقاماً لمقتل الفضل بن سهل .

ولعلهم قد فهموا أن علياً الرضا كان له تأثير كبير فى تبصير المأمون بما يلعبه الفارسيون فى البلاد ـ حتى كان لذلك أثره فى تخلص المأمون من الفضل بن سهل ، أما أخوه الحسن فقد استأنسه المأمون بتزوجه من ابنته

---

(٨٦) المأمون د هدارة صـ٨١

بوران ، وقد تقلمت أظفاره فعلا بقتل أخيه الفضل .

ولكن الشيعة يؤمنون تماماً بأن الرضا قد مات مقتولاً . .

ودفن الرضا بجوار هارون الرشيد فى طوس .

عن حمزة بن جعفر الأرجانى قال : خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب ، وخرج على بن موسى الرضا من باب ـ فقال الرضا : وهو يعنى هارون ـ : يابعد الدار وقرب الملتقى ياطوس ستجمعينى وإياه . وقال : أنا وهارون كهاتين ، وضم إصبعه السبابة والوسطى . .

قال مسافر ـ الذى روى هذه الكلمة ـ : ماعرفت معنى حديثه فى هارون إلا بعد موت الرضا ، ودفنه إلى جانب هارون فى طوس . . .[87]

وحاولوا أن يحفروا قبراً وراء قبر الرشيد ليدفنوا فيه الرضا فوجدوا الأرض صلبة ، فشقوا قبر الرشيد ودفنوا الرضا معه . . .

ولم ينس دعبل الخزاعى شيعيته وتعصبه للرضا فقال فى ذلك :

أربع بطوس على قبر الزكى بها ... إن كنت تربع من دين على وطر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت ... له يداه فخذ من ذاك أو فذر
قبران فى طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهم هذا من العبر[88]

وهذه مبالغة شاعر شيعى متعصب ، ولم يكن الرشيد بهذه الصورة التى صوره فيها ، ويبدو أن الشاعر كان متأثراً بما فعله الرشيد مع موسى الكاظم والد الرضا الذى مات فى سجن الرشيد ، ولكن الرشيد ـ كما يقول الرواة ـ

---

(٨٧) نور الأبصار صـ١٥٩

(٨٨) زهر الآداب جـ١ صـ١٣٣

كانت له حسنات كثيرات لعلها تغفر له ماقدمه من الزلات . .

أولاد الرضا

كان للرضا يوم مات خمس وخمسون سنة على قول من يقول إنه توفى سنة ثلاث ومائتين ، أو أربع وخمسون سنة على قول من يقول إنه توفى سنة اثنتين ومائتين . .

وترك من الأولاد خمسة ذكور هم محمد القانع ، والحسن ، وجعفر وإبراهيم ، والحسين ، وبنتاً واحدة اسمها عائشة .

وقال بعضهم : بل ترك ستة ذكور هم المذكورون ـ يضاف إليهم موسى ، وثلاث إناث هن فاطمة ورقية وعائشة .

رضى الله عنهم أجمعين .

الإمام محمّد الجواد

- نسبه .
- زواجه من ابنة المأمون .
- حياته العلمية .
- من كلماته المضيئة .
- منزلته العالية .
- كراماته .
- وفاته وأولاده .

الإمام محمد الجواد

هو محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ

ولقبه الجواد وكنيته أبوجعفر

وله ألقاب أخرى غير الجواد منها : القانع ، والمرتضى ، ولكن لقب الجواد هو الذى غلب عليه ، لشدة كرمه وكثرة جوده .

ولد محمد الجواد بالمدينة المنورة فى التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة هجرية ، فى خلافة الأمين بن هارون الرشيد .

وتلقى الجواد علوم عصره الذائعة ، وورث علم آبائه ، وروى الحديث وبلغ فى ذلك غاية عظيمة . .

وكان أبوه ـ كما قدمنا ـ ولىَّ عهد المأمون لفترة ، حتى توفى بطوس . . . . وقدم محمد الجواد إلى بغداد بعد رجوع المأمون إليها ، فقربه وأحلَّه مكانا مرموقاً .

ويروى بعض الرواة فى تقريب المأمون لمحمد الجواد قصة فيها طرافة .

قالوا : بعد رجوع المأمون إلى بغداد ، وكان قد غاب عنها فى أول أمره بالخلافة عدة سنوات ، ثم قدم إليها من خراسان حتى استقر به المقام فيها سنة أربع ومائتين .

وفى أثناء تجواله يوماً مر بصبيان يلعبون ، فلما رأوا موكب المأمون قادماً فروا جميعاً ، ماعدا محمداً الجواد ـ فقد بقى واقفاً مكانه .

كانت سنه إذ ذاك تسع سنوات . . . . فنظر إليه المأمون ، فملأ الله قلبه بحب هذا الصبى ، فقربه إليه وقال له : مامنعك أيها الغلام من الفرار كما فر الآخرون ؟

فقال له الغلام : لم يكن الطريق ضيقاً فأوسعه ، ولم يكن لى جرم فأخاف ، والظن بك حسن أنك لاتضر من لاذنب له .

فأعجب المأمون بردِّ الغلام ورباطه جأشه وشجاعته وحسن هيئته .

فقال له : ماأسمك ياغلام ؟

فقال : محمد بن على الرضا .

فلما عرفه المأمون قربه ، وآنسه ، وضمه إليه ، وبالغ فى إكرامه .

زواجه من ابنة المأمون

واستمر الجواد فى صحبة المأمون يزداد له كل يوم حباً لما يرى فيه من مخايل النجابة والذكاء وكمال العقل والعلم ، حتى إذا شب .... عزم المأمون على تزويجه من ابنته أم الفضل ..

وحاول بنو العباس منع المأمون من ذلك خشية أن يوليه العهد ، كما ولَّى أباه من قبل . ولكنه أعلمهم أنه لم يختره صهراً إلا لما عرفه من كماله وعقله وتميزه على غيره فى الفهم والمعرفة على الرغم من صغر سنه ..

فنازعوه فى ذلك ، وأرادوا أن يختبروا مايقوله المأمون فى محمد الجواد .

فأرسلوا إلى يحيى بن أكثم قاضى المأمون ، وكان أثيراً لدى المأمون معروفاً بالعلم والذكاء ، ووعدوه بشىء كثير من المال والهدايا إن استطاع أن يثبت عجز محمد الجواد فى العلم ..

فأعد يحيى كثيراً من المسائل ، وعُقِد مجلس مهيب حضره المأمون ووجوه الدولة ، وجاء محمد الجواد فى هذا المجلس .

وأخذ يحيى يلقى على محمد الجواد من مسائله العويصة التى أعدها وأخذ محمد يجيب على هذه الأسئلة فى بداهة وسرعة إجابة سديدة متقنة .

فأعجب الحاضرون به ، وانقطع يحيى وهو الذي كان قد أعد نفسه ليقطع محمد الجواد . واستحيا من نفسه ومن الحاضرين .

وقال الخليفة لمحمد : أحسنت يامحمد ، والآن ننتظر منك أن تلقى سؤالا على يحيى لنعرف كيف يكون جوابه عليه .

فقال يحيى : فليسأل ، فإن كان عندى جواب أجبت وإلا استفدت الجواب منه . .

وكان هذا تواضعاً كريماً من يحيى .

فقال محمد : أنت القاضي ، ونطلب منك أن تذكر لنا الحكم في رجل نظر إلى امرأة أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً ، فلما ارتفع النهار حلت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلت له ، فلما انتصف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلت له .

فبماذا حلت هذه المرأة لهذا الرجل وحرمت عليه فى هذه الأوقات ؟

وبهت القاضى كما بهت الحاضرون .

إنها مسألة محيرة حقاً ، كيف يتعاور الحل والحرمة هكذا فى خلال يوم واحد بهذه الصورة ؟

ولم يجد القاضي يحيى بدًّا من الاستسلام ، والنظر فى رجاء إلى ـ محمد الجواد أن يكشف اللثام عن وجه هذه المسألة المعقدة . .

فقال محمد الجواد ـ وكنيته أبوجعفر ـ : هذه أمة رجل نظر إليها شخص فى أول النهار بشهوة ، وذلك حرام عليه .

فلما ارتفع النهار اشتراها من سيدها فحلت له .

فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه .

فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له .

فلما كان نصف الليل طلقها طلقة واحدة فحرمت عليه .

فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له . .

فأعجب الحاضرون بهذا الجواب ، والتفت المأمون إلى من حوله وقال لهم : هل فيكم من أحد يستطيع أن يستحضر الإجابة عن هذه المسألة بهذه الصورة ؟

فقالوا جميعاً : هذا ذكاء وموهبة من الله . .

ثم قال لهم : الآن وقد عرفتم فضله ، فهل تلومونى أن اخترت لابنتى مثله ؟

وظهر فى وجه القاضى من التغير والكآبة ماعرفه الحاضرون جميعاً .

ثم قال المأمون : الحمد لله على مامنَّ به علىّ من السداد فى الرأى والتوفيق فى الأمر .

وأقبل عَلَى أبى جعفر وقال له : إنى مزوجك ابنتى وإن رغمت أنوف قوم ، فاخطب لنفسك .

فقال أبوجعفر محمد الجواد : الحمد لله ـ إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله إخلاصاً بوحدانيته ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته ، وعلى الأصفياء من أمته . . أما بعد ، فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ

﴿ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٨٩)

ثم إن محمد بن على بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين ـ عبدالله المأمون ابنته أم الفضل ، وقد بذل لها من الصداق خمسمائة درهم جياد ، فهل زوجتنى ياأمير المؤمنين إياها على هذا الصداق ؟

فقال المأمون : زوجتك ابنتى ـ أم الفضل ـ على هذا الصداق المذكور .

فقال أبوجعفر : قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق المذكور .

وأقبلت الهدايا من قصر المأمون توزع على الحاضرين ، تتقدمها أنواع الطيب ، ووضعت الموائد عليها مالذ وطاب ، ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين ، ولم يُرَ يومٌ أكثر بهجة منه .

وأقام محمد الجواد ببغداد ماشاء الله له أن يقيم ، حتى توفى سنة مائتين وتسع عشرة ، وقيل سنة مائتين وعشرين عن عمر قصير لايجاوز ثلاثين عاماً .

حياة علمية حافلة

وعلى الرغم من قصر حياة محمد الجواد إلا أنها كانت عامرة بالتقوى والصلاح والعلم .

قال ابن خلكان : كان يَرْوِى مسنداً عن آبائه إلى على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ومن رواياته التى يرويها عن جده الأعلى ـ عَلىٍّ . قال : بعثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى اليمن فقال لى وهو يوصينى : « ياعلى ماخاب من استخار ولا ندم من استشار ، ياعلى عليك بالدلجة فإن

---

(٨٩) النور ٣٢

الأرض تطوى بالليل ما لاتطوى بالنهار ، ياعلى اغد باسم الله فإن الله بارك لأمتى فى بكورها »[٩٠]

وله كلام رائق يدل على ذوق ومعرفة وإلهام ، ونحن نورد فقرات من هذا الكلام للانتفاع به فمن ذلك قوله ·

● من استفاد أخاً فى الله فقد استفاد قصراً فى الجنة . .

وهى عبارة تشهد بفضل الأخوة وعلو درجتها ، وأن الفوز بها يعدل الفوز بالجنة .

● ومن أقواله : إن لله عباداً يخصهم بدوام النعم ، فلا تزال فيهم مابذلوها ، فإن منعوها نزعها الله منهم وحولها إلى غيرهم .

وهى كلمة تحض على شكر النعمة ببذلها بين المحتاجين والمستحقين وعدم منعهم إياها ، وهى تسير فى ضوء قوله تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[٩١]

ولايقتصر بذل النعمة على المال ، بل يشمل كل ماينعم الله به من علم وجاه ـ مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ

« ومما رزقناهم ينفقون »

فالرزق أمر عام يشمل المال وغيره . .

---

(٩٠) وفيات الأعيان جـ٢ صـ٢٢٢

(٩١) آل عمران ١٣٤

ومن أقواله يضاً : ماعظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس ، فمن لم يتحمل تلك المئونة عرض تلك النعمة للزوال .

وهذه عبارة تتفق مع عبارة عبدالله بن جعفر ـ رضي الله عنهما ـ حيث يقول : اعلموا أن حوائج الخلق إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوها فتملوا نعم الله .

ومن أقواله : أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه ، لأن لهم أجره وفخره وذكره ، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدىء فيه بنفسه .

ويشير معنى هذه العبارة إلى أن لصاحب الحاجة يداً عند باذل الخير له ، لأنه سبب فى إثابته ، والثواب أجر باق أما العطاء فهو أمر نافد ـ وشتان بين ماقدمه المعطى من شىء يسير فانٍ وبين ماحصله عليه من ثواب باق خالد . .

ومن أجل ذلك فسر بعض العلماء قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » بأن اليد العليا هى يد الفقير الآخذ . . . . لا يد المحسن المتفضل . لأن المعطى وإن بذل مالا فقد حصَّل ثواباً مضاعفاً بينه الله ـ تعالى ـ بقوله :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

 (٩٢)

---

(٩٢) البقرة ٢٦١

فأين مابذل مما أخذ ؟

ومن أقواله ـ رضى الله عنه ـ التى تعد من عيون الحكمة : ـ

● من أَجَلَّ إنساناً هابه ، ومن جهل شيئاً عابه . .

وهى حكمة تتفق مع قول القائل : الناس أعداء ماجهلوا .

● ومن أقواله : « من كثر همه سقم جسمه » .

وهى حكمة تبين أثر الهم فى تضييع الصحة وإضعاف الجسد

● عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه ، وفى موضع آخر عنوان صحيفة المسلم السعيد ـ حسن الثناء عليه . .

وهما حكمتان يتصل بعضهما ببعض ، فما استوجب إنسان ثناءً إلا بحسن خلقه .

● من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، ومن اتقى الله أحبه الناس .

لكل شيء زينة

ومن كلماته المضيئة : ـ

● العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة البلاء ، والتواضع زينة الحسب ، والفصاحة زينة الكلام ، والحفظ زينة الرواية ، وخفض الجناح زينة العلم ، وحسن الأدب زينة الورع ، وبسط الوجه زينة القناعة . .

كمال المروءة

وقال ـ رضى الله عنه ـ : حَسْب المرء من كمال المروءة أن لايلقى أحداً بما يكره ، ومن حسن خلق الرجل كف أذاه عن الناس ، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه ، ومن كرمه إيثاره على نفسه ، ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان ، ومن نصحه نهيه عما لايرضاه لنفسه ، ومن حفظه لجاره تركه توبيخه

عند ذنب أصابه منه مع علمه بعيوبه .

شركاء فى الظلم

يقول ـ رضى الله عنه ـ : العامل بالظلم والمعين عليه والراضى به شركاء .

وقال : الناس أشكال ، وَكُلٌّ يعمل على شاكلته ، والناس إخوان فمن كانت أُخُوته فى غير ذات الله فإنها تعود عداوة ، وذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٩٣)

الشرف الحقيقى

يقول ـ رضى الله عنه ـ : الشريف كل الشريف من شَرَّفَه علمه ، والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه . .

ومن وصاياه : لاتعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ، ولا يطولن عليكم الأمل فتفسد قلوبكم ، وارحموا ضعفاءكم ، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم .

الذنوب موت ، والطاعة حياة

ويقول : موت الإنسان بالذنوب ، أكبر من موته بالأجل ، وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر .

ويقول : لو كانت السموات والأرض رتقاً على عَبْد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً(٩٤)

---

(٩٣) الزخرف ٦٧

(٩٤) نور الأبصار صـ١٦٣

حسن فهمه لما يروى

قال جعفر بن محمد بن مزيد : كنت ببغداد فقال لى محمد بن منده بن مهربزد : هل لك أن أدخلك على محمد بن على الرضا ؟

فقلت : نعم .

قال : فأدخلنى عليه ، فسلمنا وجلسنا . فقال ـ أى محمد بن منده ـ : حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ حرم الله ذريتها على النار »

لقد أراد ابن منده أن يتحقق من معنى هذا الحديث من ـ محمد الجواد .

فقال محمد الجواد ـ رضى الله عنه ـ : ذلك خاص بالحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ

إنه لم يفهم قرابته من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا على أنها التزام بالمسئولية ، وتحمل للتبعة ، وهى ليست عصمةً كما يزعم الشيعة ، فإن كان هناك من وعد بالنجاة من النار فهما السبطان اللذان ورد فى حقهما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . . . . وهذه بشرى من الصادق المصدوق ـ بالنسبة لهما ـ أما من جاء بعدهما من ذريتهما فعليه أن يسير على نهجهما ويقتفى أثرهما لينتفع بما انتفعا به من فضل ويدرك ماأدركاه من خير .

منزلة عالية

إن ماقدمناه من بعض كلامه وحكمه ، يشهد بمدى فضل هذا الإمام الكريم ، ويشير إلى منزلته العالية ومعرفته الواسعة ، وهذا يدل على أن تلك المنزلة الرفيعة التى احتلها أهل البيت ، إنما استحقوها بجدارة ، ووصلوا

إليها بجهاد عظيم للنفس ، وتمسك كبير بآداب هذه العترة الطاهرة التى أعزها الله ورفعها درجات . .

من كراماته

وقد روى له الرواة كثيراً من الكرامات . . نذكر منها هذه الكرامة التى حكاها الشبلنجى ضمن كثير من الكرامات :

قال : لما توجه أبوجعفر محمد الجواد إلى المدينة المشرفة ، خرج معه الناس يشيعونه للوداع ، فساروا إلى أن وصلوا إلى باب الكوفة عند دار المسيب ، فنزل هناك مع غروب الشمس ، ودخل إلى مسجد قديم مؤسس فى ذلك الموضع ، ليصلى فيه المغرب .

وكان فى صحن المسجد شجرة نبق لم تثمر قط ، فدعا بكوز ماء فتوضأ فى أصل الشجرة ، وقام يصلى فصلى معه الناس المغرب ، ثم تنفل بعدها بأربع ركعات ، وسجد بعدهن للشكر .

ثم قام فودع الناس وانصرف ، فأصبحت النبقة وقد أثمرت ، فرآها الناس وقد تعجبوا منها غاية العجب .

لقد دل ذلك على أن الله يحيى بالصالحين الأرض الموات ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

تحيا بكم كل أرض تخطرون بها كأنكم فى بقاع الأرض أمطار

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

وفاته وأولاده

توفى الإمام محمد الجواد ـ رضى الله عنه ـ كما قلنا فى يوم الثلاثاء لخمس

خلون من ذى الحجة سنة عشرين ومائتين ، وقيل : تسع عشرة ومائتين - ببغداد ودفن عند جده موسى بن جعفر الكاظم - رضى الله عنهم - فى مقابر قريش ، وصلى عليه الواثق بن المعتصم(٩٥)

وكانت زوجته - أم الفضل - بنت أمير المؤمنين المأمون ، وقد أعقب منها ولدين وبنتين .

أما الولدان فهما على وموسى ، وأما البنتان فهما فاطمة وأمامة .

وكانت وفاة الجواد فى عهد المعتصم فى السنة التى أُمِر فيها بضرب أحمد ابن حنبل ليقول بخلق القرآن - فضرب ثمانية وثلاثين سوطاً ، ومع ذلك رفض النطق بهذا القول .

وذكر المسعودى أن بعض الرواة يذكرون أن أبا جعفر محمد بن على الملقب بالجواد - توفى فى خلافة الواثق لا المعتصم .

قال : وقيل : إنه كتب إلى الواثق ، ياأمير المؤمنين ، ليس من أحد وإن ساعدته المقادير يستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه ، ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الأشياء سلبته الأيام فرصته ، فإن شرط الزمان الآفات ، وحكم الدهر السلب .(٩٦)

وهى كلمات تشير إلى رأى صائب وحكمة عميقة وتجربة صادقة ، وما أصدق قول الشاعر فى مطابقة هذه الحكمة :

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب فى الماء جذوة نار

---

(٩٥) مروج الذهب للمسعودى جـ٢ صـ٣٦٥

(٩٦) مروج الذهب جـ٢ صـ٣٨٣

على الهادى

عرفنا أن محمداً الجواد كان متزوجاً من أم الفضل بنت المأمون وأعقب منها ولدين وبنتين . . . وأحد الولدين هو على الهادى . .

فعلى هذا أمه - أم الفضل بنت المأمون .

وقيل : بل أمه أم ولد يقال لها سمانة المغربية . .

وكانت له ألقاب أخرى غير الهادى . . . . منها المتوكل والناصح والتقى والمرتضى والفقيه والأمين والطيب .

وأشهر هذه الألقاب - الهادى ، وكان ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لأنه لقب الخليفة العباسى .

وكان يكنى بأبى الحسن

ولد سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة ، وورث من أبيه علمه وصلاحه ، وكان زاهداً حكيماً ورعاً .

طلب المتوكل له

حكى ابن كثير والمسعودى قالا :

سُعِى بأبى الحسن على بن محمد إلى المتوكل ، وقيل له : إن فى منزله سلاحاً وكتباً وكثيراً من الشيعة ، فوجه إليه ليلاً جنوداً من الأتراك وغيرهم هجموا عليه فى منزله ، على غفلة ممن فى داره ، فوجدوه فى بيت مغلق وحده وعليه مدرعة شعر ولا بساط فى البيت إلا الرمل والحصى ، وعلى رأسه ملحفة من الصوف . . وكان متوجهاً إلى ربه يقرأ آيات من القرآن الكريم فيها وعد ووعيد ، فأُخذ على ماوجد عليه ، وحمل إلى المتوكل فى جوف الليل .

فمثل بين يديه فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه إلى جنبه . . . . وأعلمه

الذين أتوا به أنهم لم يجدوا فى بيته مازعم الوشاة عنه.

فقال له المتوكل : أنشدنى شعراً استحسنته .

فقال الهادى : إنى لقليل الرواية للشعر .

فأصر المتوكل على أن ينشده .

فأنشده الهادى الأبيات الآتية . .

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعدما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل ؟
أين الوجوه التى كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا ... فخلفوها على الأعداد وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فأشفق كل الحاضرين على علىّ الهادى وظنوا أنه سيكون حتفه على يد المتوكل ، فقد نغَّصَ عليه لذته بما أنشده من هذا الشعر الحزين . . ولكن المتوكل بكى بكاء طويلاً ، وكذلك بكى من كان حاضراً .

ثم قال له : ياأبا الحسن ، أعليك دين ؟

قال : نعم ، أربعة آلاف دينار

فأمر بدفعها إليه ، ورده إلى منزله من ساعته مكرماً .(٩٧)

---

(٩٧) مروج الذهب صـ٢ صـ٢٩٧ ـ البداية والنهاية ١١ / ١٥

إقامته بـ « سر من رأى »

كان الهادى مقيماً بالمدينة فى أول أمره ، وحين كثرت السعاية ضده استقدمه المتوكل إلى مدينة « سر من رأى » وأقامه فيها « وسر من رأى » مدينة عظيمة كانت شرقى دجلة بين تكريت وبغداد ـ بناها المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وكانت تسمى العسكر لأن جنوده كانوا يقيمون بها ، وهى التى يطلق عليها اليوم « سامراء » ويحكى الشبلنجى أن سبب شخوص أبى الحسن على بن محمد من المدينة إلى ـ سر من رأى ـ « أن نائباً للخليفة اسمه عبدالله بن محمد كان ينوب عن الخليفة فى الحرب والصلاة بالمدينة ، وكان مبغضاً لأبى الحسن على بن محمد ، وهو الذى سعى به إلى الخليفة . .

ويلغ أبا الحسن سعاية هذا النائب ضده فكتب إلى الخليفة يذكر تحامل النائب ضده وإيذاءه له .

فكتب المتوكل إليه كتاباً يعتذر إليه فيه ويدعوه إلى الحضور إليه .

فأجاب أبوالحسن على بن محمد ، وخرج إلى « سر من رأى » وخرج معه يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين وبعض الجند ، فلما وصل إلى « سر من رأى » نزل فى خان يعرف بخان الصعاليك ، فأقام فيه يومه .

ثم إن المتوكل أعد له داراً حسنه وأنزله فيها ، فأقام أبوالحسن مدته بهذه المدينة مكرماً ، ويبدو أن القصة التى أنشد فيها الشعر كانت بعد استقدامه إلى ـ سر من رأى ـ وإقامته فيها .

وتوفى الهادى سنة أربع وخمسين ومائتين ، وقد وصفه ابن كثير بأنه كان

عابداً زاهداً أقام بمدينة « سر من رأى » عشرين سنة وأشهرا[٩٨]

وترك من بعده أولاداً منهم محمد والحسن . . . . ومحمد هو الملقب بأبى جعفر ـ وترك ابنة ـ اسمها عائشة . . ودفن فى داره التى كان يقيم بها فى « سر من رأى »

الحسن بن على الهادى

وهو ابن الإمام على الهادى المتقدم ذكره

وكان يكنى بأبى محمد ، وله ألقاب منها ـ الخالص والسراج والعسكرى .

وكان ابن الرومى يمتدحه ـ ومن شعره فيه :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... فى الحادثات إذا دَجَوْن نجوم
فيها معالم للهدى ومصابيح ... تجلوا الدجى والأخريات رجوم

وقد آتاه الله علماً وفقهاً وهو صغير ،ومما يروى عنه فى ذلك أن البهلول ـ وهو أحد الصالحين فى عصره ـ رآه وهو صبى يبكى ، والصبيان حوله يلعبون ، فظن البهلول أنه يبكى تحسراً على أنه ليس فى يده مايلعب به مثل غيره من الصبيان ، فقال له : أشترى لك ماتلعب به ؟

فقال له : ياقليل العقل ، ماللعب خلقنا .

فقال : فلماذا خلقنا ؟

قال : خلقنا للعلم والعبادة .

فقال البهلول : من أين لك ذلك ؟

---

(٩٨) البداية والنهاية جـ١١ صـ١٥

قال الحسن : من قوله ـ تعالى ـ

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٩٩)

فسأله البهلول ـ على الرغم من كبره وصلاحه ـ أن يعظه ـ فوعظه الصبى بأبيات ، ثم خر الحسن مغشياً عليه ـ فلما أفاق سأله البهلول : مانزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك ؟

فقال : إليك عنى يابهلول ، إنى رأيت الناس توقد النار بالحطب الكبار ، فلا تَتَّقِد الكبار إلا بالصغار ، وإنى أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم . (١٠٠)

ولد أبومحمد الحسن بن على ـ يوم الخميس فى بعض شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وقيل : سادس ربيع الأول ، وقيل : ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فى خلافة الواثق بالله . .

محنته

وتعرض أبو محمد الحسن للمحن التى تعرض لها آباؤه من قبله ، وهى محنة سوء الظن به ، والخوف من خروجه وثورته على الحكام ـ فقبض عليه وأودع السجن ومكث فيه فترة .

وحَدَثَ أن أقحط الناس ، وأمسكت السماء عن الإمطار ، فأمر الخليفة المعتمد على الله ـ ابن المتوكل ـ بخروج الناس يستسقون ، فخرجوا دون جدوى . فشق ذلك على الناس ، فأشار بعض الناس على الخليفة أن

(٩٩) المؤمنون ١١٥

(١٠٠) نور الأبصار صـ١٦٦

يستَحضر أبامحمد من السجن ليستسقى بالناس ، فأخرج من السجن ، واستسقى فكشف الله الغمة عن الناس ، وأمطرت السماء .

وتوفى الحسن بن على الهادى فى سنة ستين ومائتين ـ بسر من رأى ـ ودفن بجوار والده .

وترك من بعده ابنه محمداً العسكرى .

الإمام محمد العسكرى

هو أبوالقاسم محمد بن الحسن العسكرى .

وكان يلقب بالحجة ، والمهدى ، والقائم ، والمنتظر ، وأشهرها المهدى وكنيته أبوالقاسم .

أما لقبه ـ المنتظر ـ فيرجع إلى اعتقاد الشيعة فيه بأنه دخل سرداباً وسيخرج منه ، وهم ينتظرون خروجه فى آخر الزمان من هذا السرداب « بسر من رأى »[١٠١]

توفى أبوه ولمحمد من العمر خمس سنين ، فقد ولد سنة خمس وخمسين ومائتين فى يوم الجمعة منتصف شعبان .

وحين دخل السرداب المشار إليه كانت سنة عشر سنين وذلك فى سنة خمس وستين ومائتين .

وذكر ابن خلكان أقوالاً فى ذلك .. قال :

ـ أما دخوله السرداب فأمر ممكن ، وأما انتظاره وخروجه فى آخر الزمان فهو من مغالاة الشيعة وتخريفاتهم التى لاتقوم على أساس ..

---

(١٠١) وفيات الأعيان جـ٢ صـ٢٢٢

وأقل مايمكن أن يقال فيها : إن ذلك طعن على أهل البيت أنفسهم ، لأن ذلك يعنى أنهم عقموا عن الإنجاب والنبوغ ، وعجزت ذريتهم عن أن يأتى واحد فيها مثل ذلك المنتظر الذى دخل السرداب وسنه عشر سنوات عند بعضهم ، أو تسع عند بعضهم ، أو سبع عشرة سنة عند آخرين ، مع أن التاريخ يشهد بأنه ظهر فى سلسلة أهل البيت بعد هذا التاريخ رجالٌ عظماء أجلاء - كان الناس يحبونهم ويعظمونهم . . . . . وسنذكر أمثلة من هؤلاء الذين ظهروا عبر العصور مما يدل على فساد رأى أولئك الشيعة المغالين . .

ولئن كانوا قد قالوا عن أبى محمد العسكرى ماقالوه ، وانتظروه وما زالوا ينتظرونه ، فإنهم قد قالوا مثل ذلك عن محمد بن الحنفية الذى تحدثنا عنه . . . فقد قالوا : إنه اختفى بجبل رضوى ليظهر بعد حين ، حتى قال فيه السيد الحميرى وكان من شيعته :

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما . .

وسنتحدث الآن عن بعض أهل البيت الذين شرفت مصر بهم - بزيارتهم أو إقامتهم - ليتعرف القارىء الكريم عليهم وليعلم شيئاً عن أخبارهم وأحوالهم . .

السيدة سكينة بنت الحسين

- نسبها .
- متى تزوجت ؟
- شخصيتها . أدبية .
- نقدها للشعر .
- شجاعتها .
- كرمها .
- وفاتها .
- المشهد الموجود باسمها فى القاهرة .

فاطمة بنت الحسين

- زواجها .
- موقفها فى معركة كربلاء .
- أخلاقها .
- كتابها لعمر بن عبد العزيز .
- ثناء عمر عليها .

السيدة رقية بنت على

- نسبها . • هل هى بنت على الرضا ؟
- الخلاف حول مشهدها الموجود بالقاهرة .

من السلالة الطاهرة

السيدة سكينة بنت الحسين

أبوها الحسين بن علي ـ سبط النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحبيبه الذى قال فيه «حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً»

وأما أمها فهى الرباب بنت امرىء القيس الكلبى

ويذكر الرواة فى قصة زواج الحسين بالرباب قصة طريفة . . . قالوا : قدم امرؤ القيس بن عدى بن أوس ـ سيد بنى كلب بن وائل ـ على رأس وفد من قومه إلى عمر بن الخطاب ـ رضىَ الله عنه ـ فى أثناء خلافته ، وأعلن إسلامه هو وقومه ، وعقد له عمر لواء على من أسلم من قومه . قال عوف بن خارجة المرى : والله مارأيت رجلاً أُمّر على جماعة من المسلمين قبل أن يصلى ركعة قط ـ إلا امرىء القيس .[١٠٢]

وما كاد امرؤ القيس ينصرف حتى لحق به على بن أبى طالب فاستوقفه ، وقال له : أنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصهره ، وهذان ابناى من ابنته فاطمة الزهراء ـ وأشار إلى الحسن والحسين ـ وقد رغبنا فى مصاهرتك . .

فلم يتردد امرؤ القيس أن قال :

مرحباً بكم آل بيت النبى . . . ونظر إلى الحسن وقال له : قد أنكحتك ياحسن ابنتى سلمى بنت امرىء القيس .

والتفت إلى الحسين وقال : وأنكحتك ياحسين ابنتى الرباب بنت امرىء القيس .

---

(١٠٢) الأغانى ١٤ /١٥٧

وأنجبت الرباب للحسين ابنته سكينة - رضى الله عنها - بعد أن أنجبت له قبلها عبدالله .

ونشأت سكينة فى حضن والديها ، وكان أبوها يحبها حبا شديداً حتى لقد أثر عنه أنه قال فيها وفى أمها شعراً :

لعمرك إننى لأحب دارا تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل كل مالى وليس بلائمى فيها عتاب[١٠٣]
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياتى أو يغيبنى التراب

ويبدو أن الحسين قد عوتب فى شدة إقباله على زوجته وابنته فرد بذلك على من يعتب عليه .

كانت ولادة سكينة حوالى سنة ٤٧ هـ - وقد توفى عمها الحسن سنة ٥٠ هـ ولها من العمر ثلاث سنوات ، وشهدت مع أبيها معركة كربلاء ولها من العمر أربع عشرة سنة[١٠٤]

سكينة فى بحر الأحداث

وشهدت سكينة الأحداث الدامية التى أودت بمصرع أبيها - رضى الله عنه - فى المأساة المعروفة بمأساة كربلاء ، كانت فى صحبته مع عمتها زينب وبقية أولاد الحسين وإخوته وأولاد عمومته وبعض أنصاره وشيعته .

ورأت مصارع إخوتها - عبدالله وعلى الأكبر مع أبيها ، فانطبع هذا المشهد فى وجدانها ، ولم تنسه ، فحاولت أن تتصبر عليه بالشعر والأدب .

---

(١٠٣) زهر الآداب جـ١ صـ١٠٠

(١٠٤) سكينة بنت الحسين د بنت الشاطىء صـ٢٢

متى تزوجت ؟

لقد عرفت سكينة بالجمال والأدب منذ صغرها ، ولذلك كان مطمح أولى الفضل من شباب قريش أن يخطبها ، وقد تقدم الحسن بن الحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ يوما إلى عمه الحسين ليخطب إليه ـ وكان يطمع فى سكينة ، ولكنه لم يصرح لعمه بمن يريد .

فقال له عمه ـ رضى الله عنه ـ :

اخترت لك ابنتى فاطمة فهى أشبه النساء بأمى فاطمة الزهراء ، أما سكينة فيغلب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل .

ويدل هذا على أن نشأتها كانت متصلة بالدين اتصالاً وثيقاً . .

واستشهد الحسين فى موقعة كربلاء ولم تتزوج سكينة بعد . . .

وانطوت أيام من الحزن ، فتقدم مصعب بن الزبير فخطبها .

وقد كان ينافسه فى سبيل الظفر بها أخوه عروة بن الزبير ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالملك بن مروان .

لقد كان هذا الزواج بعد مصرع أبيها ، وعودتها من رحلتها التى صاحبت فيها عمتها السيدة زينب إلى مصر . .

لقد عادت واستقر بها المقام مع أخيها السجاد ـ زين العابدين ـ ـ رضى الله عنه ـ وقد كانت عازفة عن الزواج ، بعد هذا الجرح الغائر فى أعماقها ـ بمصرع أبيها ووفاة أمها بعده بقليل . .

ولكن قومها أحاطوا بها وألحوا عليها فى الزواج إبقاء على سلالة الحسين ـ رضى الله عنه ـ فقبلت بعد إباء شديد .

وبعض الرواة يقول : إنها تزوجت قبل مصعب بن الزبير وأن الذى

تزوجها هو ابن عمها عبدالله بن الحسن .. ولكنه قتل عنها مع أبيها ، وكان لم يدخل بها . ولكنها رواية لاتنبعث الدلائل على رجحانها ..

ولكن أغلب الروايات تشير إلى أن حياة السيدة سكينة الزوجية بدأت بمصعب بن الزبير(١٠٥)

جاء في عيون الأخبار(١٠٦) : اجتمع أربعة رجال بفناء الكعبة وهم عبدالله بن عمر ، ومصعب بن الزبير ، وعبدالملك بن مروان ، وعروة بن الزبير .

وقال لهم مصعب : تمنوا .

فقالوا له : ابدأ أنت .

فقال : أتمنى ولاية العراق ، والتزوج من سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة .

وتمنى عروة الفقه وأن يُحمل عنه الحديث .

وتمنى عبدالملك الخلافة

وتمنى عبدالله بن عمر الجنة

ومن الغريب أن كل واحد من هؤلاء تحققت له أمنيته .

لقد قدم مصعب مهراً لسكينة قدره ألف ألف درهم ، وأعطى أخاها عليا حين حملها إليه أربعين ألف دينار .

وكانت سنها حين زفت إلى مصعب عشرين عاماً .. وكان مصعب أمير العراق من قبل أخيه عبدالله بن الزبير .

---

(١٠٥) وفيات الأعيان ١ /٢٩٨

(١٠٦) عيون الأخبار ٢ /٢٥٨ دار الكتب

وظلت سكينة فى بيت زوجها ، تغالب أحزانها القديمة التى كانت تعاودها . . إن مصرع أبيها وإخوتها وأبناء عمومتها يؤرقها ويملأ حياتها حزنا ، ولكن الزوجية لها حقوق وواجبات ، وهى ذات دين وصلاح ، رباها أبوها وأهل بيتها على وجوب معرفة حقوق الزوجية ، فأصبحت تبدو وكأنها قد نسيت أحزانها ، وما نسيت ، ولكنها تتكلف النسيان وكم كلفها ذلك الكثير من الجهد والمشقة .

حتى إذا استقامت الحياة لها قليلاً روعت بمصرع زوجها التى أنست إلى ظله واستراحت فى كنفه فترة من الدهر .

لقد تجددت أحزان سكينة بوفاة زوجها فى صراعه مع عبدالملك بن مروان ، وغاظها أن وفد عليها الكوفيون يعزونها . .

وقد كانت تستشعر حزناً قاسياً ، فقالت لهم : الله يعلم أنى أبغضكم ، قتلتم جدى علياً ، وقتلتم أبى الحسين وقتلتم زوجى مصعباً ـ فبأى وجه تلقوننى ؟ تيتمت صغيرة وترملت كبيرة[١٠٧] على أيديكم .

وقد أعقبت من مصعب فتاة جميلة أسمتها الرباب ـ على اسم أمها ، زوجها عمها عروة بن الزبير من ابنه عثمان بن عروة ، وماتت وهى صغيرة .

كانت هذه الفتاة الجميلة تفوق الدر جمالاً وحسناً ، وكانت أمها تحليها بالجواهر ، لالتزيد من حسنها بل لتفضح هى الجواهر بحسنها .

ومكثت سكينة حيناً من الزمن دون زواج ، تعانى الحزن والألم ومرارة الذكريات ، وتستعين على ذلك بالصبر والصلاة ـ كما أمر القرآن الكريم .

---

(١٠٧) سكينة بنت الحسين صـ٨٩

ثم تقدم لخطبتها إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى ـ خطبها من أخيها على زين العابدين ، ولكنها خطبة لم تتم .

وقيل إن الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان خطبها ، وكان حينئذ والياً على مصر فقبلت بعد تردد . .

ولكن هذا الزواج لم يتم أيضاً ، لأن عبدالملك بن مروان أرسل لابن أخيه يُخَيِّره بين البقاء فى ولاية مصر ، أو الزواج من سكينة بنت الحسين .

فاختار طبعاً الولاية على الزواج منها . . وأرسل إلى سكينة بذلك . فحمدت الله على ذلك .

وبقيت سكينة فى المدينة ، وبقى الأصبغ فى مصر محزوناً

وتزوجت سكينة من عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام ـ وهو رجل فاضل ماجد ، وتم الزواج الذى باركه أبو دهبل الجمحى الشاعر بقوله :

قضت وطراً من أهل مكة ناقتى ... سوى أملى فى الماجد ابن حزام
تمطت به بيضاء ، فرع ، نجيبة ... هجان ، وبعض الوالدات عزام
جميل المحيا من قريش كأنه ... هلال بدا من سدفة وظلام
فأكرم بنسل منك بين محمد ... وبين على ، فاسمعن كلامى
وبين حكيم والزبير فلن ترى ... لهم شبها فى منجد وتهام[١٠٨]

وأعقبت سكينة من هذا الزوج عدة أولاد

وما كادت سكينة تنسى فى ظل هذا الزواج أحزانها القديمة التى كانت

---

(١٠٨) سكينة بنت الحسين صـ١٠٣

تراودها بين الحين والحين ، حتى روعت مرة أخرى بوفاة زوجها . . فعادت صفحة الحزن تغزو حياتها من جديد . .

وتعرضت بعد ذلك سكينة لزيجة فاشلة من زيد بن عمرو العثماني . . . والذى عرض هذا الزواج للفشل هو بخل زيد الشديد الذى كان مثلاً يضرب فى المدينة ، وعليه كان يتندر الناس لشدة بخله .

قال أشعب فيما يرويه أبوالفرج فى أغانيه :

خرج زيد حاجاً وخرجت معه سكينة ، ومعها خمسة أجمال محملة بأصناف الطعام ، فكلما بلغ الركب منزلاً أمرت السيدة سكينة بالطعام وأعدت الأطباق ، فجاء بعض القوم يسلمون على زيد فتعلل بوجع خاصرته فرفع الطعام .

قال أشعب : ولبثنا حتى انصرفوا ودخلنا ، وقد هلكت جوعاً ، فلم آكل مما اشتريته من السوق بمائة دينار أعطتنى إياها السيدة سكينة ، فلما كان الغد أصبحت وبى من الجوع ما الله به عليم ، ودعا زيد بالطعام فأمر بإسخانه ، وجاءته مشيخة قريش يسلمون عليه ، فلما رآهم اعتل بخاصرته ، ودعا بالترياق والماء الحار ، ورفع الطعام ، فلما ذهبوا أمر بإعادته فجىء به وقد برد ، فقال لى : ياأشعب هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل ؟

فقلت له : أخبرنى عن دجاجك هذا ، أهو من آل فرعون ، فهو يعرض على النار غدوا وعشياً ؟(١٠٩)

كان من الطبيعى أن يفشل زواج كهذا ، فهو غير متكافىء ـ

---

(١٠٩) الأغانى جـ١٤ صـ١٦٥

بين سليلة الكرم والجود والعطاء التى لاتنظر إلى الدنيا بأسرها إلا على أنها أحقر من جناح بعوضة ، وبين ذلك الرجل الذى يأبى أن يشاركه فى طعام وشراب ضيوف هو غير متكلف لهم ـ

ولقد كانت تعمل حساب ذلك قبل الزواج ، فاشترطت عليه أن يطلق يدها فى ماله وإلا كانت منه خليَّة فقبل ذلك . .

ولكن نفسه لم تسمح بالمال وظل فى تضييق حتى تحولت الحياة معه إلى جحيم ، وكان الطلاق . . ففارقته وهى غير آسفةٌ . .

سكينة الأديبة :

حين نقرأ الأغانى وغيره من كتب الأدب نعثر على صفحات متعددة تتحدث عن شخصية سكينة الأدبية ، فهى شاعرة ناقدة ، وهى قد تستقبل الشعراء لتحكم بينهم وتفاضل بين شعرهم .

وقد كانت سكينة عاقلة لبيبة تعرف مواقع الكلام والردود عليها .

يروى أبوالفرج فى أغانيه أن عائشة بنت طلحة حجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل ، وحجت فى ذلك العام أيضاً سكينة بنت الحسين ـ وكانت ضرة عائشة ـ ولم يكن معها ذلك القدر من البغال والرحال . وأخذ حادى عائشة يحدو ويقول :

عائـش يـاذات البغـال السـتين   لازلـت ماعشـت كـذا تحجـين

وشق ذلك على سكينة فأمرت حاديها أن يرد قائلاً : ـ

عائش هذه ضرة تشكوكِ   لولا أبوها ماأهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف فكف[110]

قال الإمام السبكى معلقاً على هذا الخبر : ـ

فلله در عائشة حيث كفت فى موضع الإكفاف أدباً مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان الأمر والمفاخرة فى الدنيا ـ هزلاً ، فقابلته سكينة بذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جَدًّا فأفحمت خصمها وأقامت عليها الحجة ، فلله درها من مناظرة عرفت مواقع الجدل ، ودر عائشة من مذعنة للحق منقادة إلى الصدق .[111]

وشهدت سكينة يوماً مأتماً ـ فيه بنت لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد ـ قالت ذلك على سبيل الفخر وهى توجه كلامها إلى سكينة . على حين أمسكت سكينة صامتة ، إلى أن أذن المؤذن من مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للصلاة ، فلما بلغ قوله : « أشهد أن محمداً رسول الله » التفتت سكينة إلى بنت عثمان وسألتها :

أهذا أبى أم أبوك ؟

فأجابت بنت عثمان فى تواضع وحياء : لاأفخر عليكم أبداً[112]

نقدها للشعر :

حكت صاحبة الدر المنثور قالت :

---

(١١٠) الأغانى ١١ /١٨٨

(١١١) د بنت الشاطىء ـ فى سكينة بنت الحسين صـ١٢٢ نقلاً عن طبقات الشافعية للسبكى صـ١٦٦

(١١٢) المرجع السابق نقلاً عن الأغانى جـ١٤ صـ١٥٩

كانت السيدة سكينة سيدة نساء عصرها ، ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً ، ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء ، من ذلك أنها وقفت على عروة بن أذينة ، وكان من أعيان العلماء وأكابر الصالحين فقالت له : أنت القائل :

قالت وأبثثتها سري وبحت به   قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها :   غطى هواك وما ألقى على بصري ؟

قال : نعم .

قالت : لم يخرج هذا من قلب سليم .(١١٣)

وكانت عفيفة أريبة ، ولم يكن لقاؤها بالشعراء إلا بهدف تزجية وقتها ، والتسرية عن نفسها مما لقيته من آلام ومحن ، فإن حياتها كانت سلسلة من النكبات ، فجعت بمصارع أحبتها فى كربلاء ، وروعت بالترمل ، ولم تَصْفُ حياتها من منغصات ، فحاولت أن تتناسى كل ذلك فى ظل الأدب والشعر . .

لقد اتهمها بعض الرواة بالتبذل ، ومجالسة الشعراء والمغنيين وذلك كله مكذوب عليها . . فما كان لمثلها التى تناوبت الأحداث عليها ، واصطلحت النكبات على غزو حياتها أن يكون لديها الفراغ للتبذل الذى حاول هؤلاء الرواة إلصاقه بها . . .

وقد ناقشت الدكتورة بنت الشاطىء ماورد فى سيرتها من أنها كانت مزاحة تجالس الشعراء والمغنيين ـ وذلك فى كتابها موسوعة أهل البيت ـ

---

(١١٣) الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور صـ٢٤٤

قالت : إن كثيراً من الروايات التى تظهرها فى مظهر التبذل مختلقة مفتعلة ، فقد كانت عن ذلك فى شغل بمصرع والدها وإخوتها وذويها فى كربلاء ، وكانت قد شهدت هذه الموقعة الرهيبة . . . . هذا ولا يخفى أنه كان لأبيها خصوم يحاولون التنقيص من قدر أهل البيت وذرية على والحسين خاصة ، حتى يغضوا من منزلتهم فى نفوس الناس .

فلا يبعد أن يكون مانسب إليها من ذلك من بعض أنصار هؤلاء الخصوم .

ويدل على ذلك أن ماورد من شعر فى الأغانى مما يتصل بالحوار الدائر بينها وبين الشعراء مضطرب النسب إلى أصحابه ـ كما يقول صاحب نور الأبصار .

ويدل على ذلك أيضاً قول الحصرى فى زهر الآداب : « وفى سكينة يقول عمر بن عبدالله بن ربيعة ـ كاذبا عليها »(١١٤) ثم يورد أبياتاً

فقد وصفه الحصرى بالكذب والادعاء ، ولا نبرىء ابن ربيعة الشاعر المفتون بنفسه وشبابه من الكذب والافتراء ، وقد عرف النقاد عنه رقة دينه وكثرة عبثه وغلبة مجونه .

وقد انساق مع رواية هؤلاء المدعين الدكتور زكى مبارك ـ غفر الله له ـ فذكر أن عمر بن ربيعة قد تغزل فى سكينة بنت الحسين . .

وهو كلام مردود بما قلناه ، يضاف إليه أن الفترة التى شهدت شبيبة عمر ابن أبى ربيعة ـ كانت فيها سكينة لم تزل طفلة ، وقد انشغل الحجاز بعدها

---

(١١٤) زهر الآداب جـ١ صـ١٠١

بالأحداث الدامية التى لم تترك فرصة لغزل متغزل ، فلما ترملت سكينة من زوجها مصعب ، وكانت معه فى العراق بعيداً عن الحجاز ـ ثم عادت بعد ذلك إلى المدينة ، كان عمر بن أبى ربيعة قد جاوز الأربعين ، وأقلع عن العبث وأقسم ألا يقول شعراً فى الغزل .

وإذن فما ورد من شعر على لسانه يتحدث فيه عن سكينة لا أصل له ـ وربما حول بفعل بعض الرواة من سكينة أخرى ـ إلى سكينة بنت الحسين ـ والدليل على ذلك عدم اتفاق الرواة فى هذه الأشعار واختلافهم اختلافاً شديداً فيما روى منها .

أما مانسب إليها من أنها كانت تعقد مجالس الغناء فهو محل شك أيضاً وماذلك بمستساغ لتلك السيدة التى مرت بها كل تلك الفواجع العنيفة التى اعتصرت قلبها وأرقت ليلها ونغصت حياتها . .

شجاعتها :

يحدثنا الرواة على أن السيدة سكينة كانت مثالاً للشجاعة والصبر .

كان ابن مطير ـ خالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكم المروانى ـ يذكر جدها ـ على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فكانت تتصدى له وترد عليه ، فلا يملك أن يرد عليها

وذكر صاحب الأغانى فى شجاعتها وصبرها هذه القصة العجيبة ـ قال : ظهرت لها سَلْعَة فى أسفل عينها مازالت تكبر حتى أخذت جانب وجهها وعينها ، وكان « درافيس » العالم بالطب فى خدمتها ، فقالت له : أما ترى ماوَقَعْتُ فيه ؟

فقال لها : أتصبرين على مايمسُّك من الألم حتى أعالجك ؟

قالت : نعم .

فشق جلد وجهها ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروقها ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنها ، حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها ، فأخرجها أجمع ، ورد العين موضعها ، وسكينة لاتتحرك ولاتئن حتى فرغ مما أراد

وزال ذلك عنها وبرئت منه ، وبقى أثر الحزازة فى مؤخر عينها ، فكان أحسن فى وجهها من كل حلى وزينة ، ولم يؤثر ذلك فى نظرها ولا عينها(١١٥)

وإن من شجاعتها الأدبية أنها كانت تتحلى بالصبر على ماانتابها من أحزان وآلام ، وأن تتحكم فى مشاعرها ، وتقوى على ضبط نفسها واستطاعت أن تحتفظ برباطة جأشها على الرغم مما يعتمل فى نفسها من أسى ولوعة .

كرمها :

وكانت كريمة سخية ، تنفق مالديها فى سماح ، وكم قصدها أصحاب الحاجات فما ضاقت بأحد منهم ذرعاً .

وقد عرفنا أنها ضاقت ذرعاً ببخل زوجها زيد بن عمر العثمانى حتى أدى هذا الضيق إلى الفراق .

ظرفها وأدبها :

كانت السيدة سكينة فى نقدها للشعر ذواقة للأدب ، وفى الوقت نفسه متصوفة عفيفة ......

---

(١١٥) الأغانى صـ١٤ صـ١٧٢

وكانت تجيد قول الشعر ـ إلا أن مايؤثر عنها قليل . فمن ذلك قولها ترثى أباها ـ رضى الله عنه ـ

إن الحسين غداة الطف يرشقه ... ريب المنون فما أن يخطىء الحدقة
ألأمة السوء هاتوا مااحتجاجكمو ... غداً وجلُّكُمُ بالسيف قد صفقه ؟
الويل حل بكم إلا بمن لحقه ... صبرتموه لأرماح العدا درقه
ياعين فاحتفلى طول الحياة دماً ... لاتبك وُلْداً ولا أهلاً ولا رفقة
لكن على ابن رسول الله فانسكبى ... دماً وقيحاً وفى إثريهما العلقة(١١٦)

وهو شعر يتفق مع طبيعة المرأة وأسلوبها . .

أما فى نقدها للشعر فنذكر من أمثلته مارواه صاحب الأغانى قال : اجتمع جرير ، والفرزدق ، وكثير ، وجميل ، ونصيب ـ فى ضيافة سكينة بنت الحسين ـ رضى الله عنه ـ فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم .

ثم أخرجت وصيفة لها قد روت الأشعار والأحاديث فقالت : أيكم الفرزدق ؟

فقال : هاأنذا .

قالت : أنت القائل :

هما دلياني من ثمانين قامة ... لما انحط باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا ... أحى يُرَجَّى أم قتيل نحاذره
فقلت : ارفعوا الأمراس لايشعروا بنا ... وأقبلت فى إعجاز ليل أبادره
أبادر بوابين قد وكلا بها ... وأحمر من ساج تبص مسامره

(١١٦) أمالى الزجاج صـ١٠٩

قال : نعم .

قالت : فماذا دعاك إلى إفشاء سرها وسرك ، هلا سترت عليك وعليها ، خذ هذه الألف والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت برسالتها فقالت : أيكم جرير ؟

قال : هاأنذا

قالت : أنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذى حدثتنا لرصدت ذاك وكان غير لمام
إنى أواصل من أردت وصاله بحبال لا صلِفٍ ولا لوام ؟

قال : نعم .

قالت : أولاً : أخذت بيدها وقلت لها مايقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف ، خذ هذه الألف والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم كثير ؟

قال : هاأنذا .

قالت : أنت القائل :

وأعجبنى ياعز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوُك حتى يدفع الجاهل الصبا ودفعك أسباب المنى حين يطمع
فوالله مايدرى كريم مماطل أينساك إذ باعدت أو يتصدع ؟

قال : نعم

قالت : ملحتم وشكلت ، خذ هذه الثلاثة آلاف والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت : أيكم نصيب ؟

قال : هأنذا .

قالت : أنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النَّشَأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار ؟

قال : نعم .

قالت : ربيتنا صغاراً ومدحتنا كباراً ، خذ هذه الألف والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت : ياجميل ، مولاتي تقرئك السلام وتقول لك : مازلت مشتاقة لسماع شعرك منذ سمعت قولك :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى إني إذن لسعيد
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء ، خذ هذه الألف والحق بأهلك .(١١٧)

وقد علقت الدكتورة بنت الشاطىء على هذه القصة قائلة :

وليس يفوتنا ما للنص من دلالات :

منها أن أمراء الشعر في عصرها كانوا يجتمعون في دارها فتأذن لهم وتجلس حيث تراهم ولايرونها ، وقد اتخذت وصيفة لها تنقل مااختارته من شعر وتعليقها عليه .

وقد أنكرت على الفرزدق إفشاءه سره وسر صاحبته .

---

(١١٧) الأغاني جـ١٤ صـ١٦٦

وأثنت على جرير لعفة شعره وإن أنكرت ضعفه وأسلوبه فى مخاطبة زائريه . . . . .

وأعجبتها أبيات كُثَيِّر فى وصف صاحبته لما لمحت فيها من دقة التعبير عن عزة الأنثى وطبيعة حواء[118]

ولعلّ هذا الإعجاب هو الذى دفعها إلى مضاعفة عطائه . . ونضيف إلى ماقالته الدكتورة بنت الشاطىء ـ أن هذه القصة تدل إلى جانب براعتها فى النقد على أريحيتها وسخائها ، فهى لم تعط على مدح ولم تثب على قول قيل فيها ، ولكنها أعطت براً ومعروفاً وسخاءً . .

وفاتها :

توفيت السيدة سكينة بالمدينة المنورة سنة سبع عشرة ومائة . . . . ويروى أبوالفرج فى أغانيه :

أنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبدالملك ، فأرسلوا إليه فآذنوه بالجنازة وذلك فى أول النهار فى حر شديد فأرسل إليهم : لاتحدثوا حدثاً حتى أجىء فأصلى عليها .

فوضع النعش فى موضع المصلى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرون حتى صار الظهر فأرسلوا إليه ، فقال : لاتحدثوا شيئاً حتى أجىء .

فجاءت صلاة العصر ، ثم لم يزالوا ينتظرونه ، كل ذلك يرسلون إليه ، فلا يأذن لهم حتى صليت العتمة ولم يجىء ، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس ، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعا جمعاً وينصرفون .

---

(١١٨) سكينة بنت الحسين صـ١٧٧

فلما صُلِّيت الصبح أرسل إليهم خالد : صلوا عليها وادفنوها ، فصلى عليها شيبة بن النطاح .

المشهد الموجود بالقاهرة

يقول الشعرانى : إن السيدة سكينة بنت الحسين هى التى بمصر وقبرها بالمراغة بالقرب من السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ ولكنا قد علمنا أن السيدة سكينة توفيت بالمدينة المنورة ودفنت بها ، وقد اتفق الرواة فى ذلك ماعدا قولاً يقول : إنها توفيت بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائة .

وإذن فمن هى سكينة التى يوجد مشهدها بالقاهرة ؟

لقد أزال الإمام السخاوى فى كتابه ، تحفة الأحباب ـ هذا الإيهام ، وحل هذا الإشكال فقال : إن السيدة سكينة التى بمصر هى السيدة سكينة بنت الإمام على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب .

وكان سبب قدومها إلى مصر أن الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان خطبها وبعث بمهرها إلى المدينة . فحملها أخوها إلى مصر فقالت له : والله لاكان لى بعلاً .

فلما وصلت إلى أبواب مصر مات الأصبغ فى الليلة التى وصل ركبها فيها ، وماتت بكراً فى مصر ، وهى أقدم وفاة من السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ(١١٩)

ويفهم من ذلك أن الأصبغ حين حال عمه عبدالملك بينه وبين الزواج

---

(١١٩) تحفة الأحباب للسخاوى صـ٩٤

من سكينة الكبرى بنت الحسين ، أراد أن يصل نسبه بابنة أخيها سكينة الصغرى ، وكلتاهما يطلق عليهما بنت الحسين .

وهذا هو مانميل إليه لأنه الذى يوافق الصواب ـ والله أعلم .

السيدة فاطمة بنت الحسين

قالت صاحبة الدر المنثور : إن أمها هى أم إسحاق التميمية بنت طلحة بن عبيد الله ـ نقلاً عن الخطيب البغدادى .

زوجها أبوها من ابن عمها الحسن بن الحسن الذى يطلق عليه : الحسن المثنى .

ويذكر صاحب الأغانى قصة زواج الحسن من فاطمة فيقول : إن الحسن ابن الحسن خطب إلى عمه الحسين ، فقال له : يابن أخى قد كنت أنتظر هذا منك ـ انطلق معى ، فخرج به حتى أدخله منزله واختار له فاطمة وزوجه إياها ـ وقيل : إنه خيره بين فاطمة وسكينة ، فاختار فاطمة . .

وفى رواية : أن الحسن استحى ، فقال له عمه الحسين : اخترت لك فاطمة ـ فهى أكثر شبهاً بأمى فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى تشبه الحور العين .(١٢٠)

وكان ثمرة هذا الزواج ولداً جميل الصورة حسن الخلق ، اسمه عبدالله ـ ويلقب بالمحصن ـ لمكانه من الحسنين ـ رضى الله عنهما ـ

قيل : وكان عبدالله هذا يشبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان شيخ هاشم بعد أبيه وعمه .

---

(١٢٠) الأغانى ٤ /١٦٥

قيل له : لم صرتم أفضل الناس ؟

فقال : لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد .

وأعقبت فاطمة أيضاً من زوجها الحسن : إبراهيم بن الحسن ـ الملقب بالقمر ـ ، والحسن المثلث ـ وكل من هؤلاء له عقب . . .

وبعد أن تزوجت فاطمة من ابن عمها الحسن ، عاشت معه حياة سعيدة حتى حضرته الوفاة فجزعت وحزنت عليه حزناً شديداً . .

وأقامت على قبره عاماً ، وضربت عليه فسطاطا ، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار ، فلما انقضى العام قالت لمواليها : إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط .

فقوضوه . . . . وسمعت قائلاً يقول : هل وجدوا مافقدوا ؟ فأجابه آخر : بل يئسوا فانقلبوا .

قال صاحب كتاب أعلام النساء : وجاء عبدالله بن عمرو بن عثمان يخطبها . .

فامتنعت . . . . وألح عليها وبعث إليها من يقول لها : لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيئان ، ومازال يرسل إليها ويتشفع حتى قبلت الزواج منه فتزوجها . . . وولدت له ولدين هما محمد ـ الذى يقال له الديباج . . . والقاسم ، ومات الديباج مع أخيه عبدالله بن الحسن فى سجن المنصور .

وكان عبدالله بن الحسن يحب أخاه محمداً حباً شديداً .

ولما مات عنها عبدالله بن عمرو خطبها عبدالرحمن بن الضحاك

الفهرى ، وكان أمير المدينة من قبل يزيد بن عبدالملك ، فأبت فهددها أن يؤذى ابنها عبدالله بن الحسن ، فشكته إلى الخليفة فعزله وطاف به فى المدينة فى جبة صوف[121]

وقد قص علينا ابن سعد هذه القصة فى طبقاته قائلاً :

استعمل يزيد بن عبدالملك عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى على المدينة ، فخطب فاطمة بنت حسين ـ بعد وفاة زوجها ـ

فقالت : والله ماأريد الزواج ، ولقد قعدت على بَنِيَّ هؤلاء ، فألح عليها فقال : والله لئن لم تفعلى لأجلدن أكبر ولدك ، يعنى عبدالله بن حسن .

قال : فبينما هى كذلك ـ وكان ابن هرمز على ديوان المحاسبة ، فكتب إليه يزيد بن عبدالملك أن يرتفع إليه للمحاسبة .

فدخل على فاطمة يودعها . فقال : هل من حاجة ؟

فقالت : تخبر أمير المؤمنين ما ألقى من ابن الضحاك وما يفعله . . وبعثت له كتاباً تذكر قرابتها ورحمها وما يؤذيها به ابن الضحاك وما يتوعدها به .

فقدم ابن هرمز فأخبر يزيد ، وقرأ كتابها ، فنزل من على فراشه ، فجعل يضرب بخيزرانة فى يده وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحاك ، أريد رجلاً يؤدبه . .

قال : ثم دعا بقرطاس فكتب إلى عبدالواحد بن عبدالله النصرى وهو يومئذ بالطائف : قد وليتك المدينة فأغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار ،

---

(١٢١) أعلام النساء للزركلى صـ١١٤٤

وعذبه ، حتى أسمع صوته وأنا على فراشى .

وبلغ ابن الضحاك الخبر ، فهرب إلى الشام فلجأ إلى مسلمة بن عبدالملك ، فشفع له مسلمة عند يزيد فلم يقبل ، وقال : قد صنع ماصنع وأدعه ؟

فرده النصرى إلى المدينة فأغرمه المال - أربعين ألف دينار - وطاف به فى جبة صوف .

قال ابن سعد : أخبرنا إسرائيل عن جابر عن امرأة حدثته عن فاطمة بنت حسين أنها كانت تسبح بخيوط معقود فيها .(١٢٢)

شهودها كربلاء

وكانت السيدة فاطمة تكبر أختها السيدة سكينة - رضى الله عنها - وقد كانت كلتاهما فى صحبة أبيهما حين خرج إلى كربلاء ، وشهدتا الواقعة الأليمة ، وقالت فاطمة ترثى أباها :

نعق الغراب فقلت من تنعاه ويحك ياغراب ؟
قال : الإمام فقلت : من ؟ قال : الموفق للصواب
قلت : الحسين ؟ فقال لى بمقال محزون أجاب
إن الحسين بكربلاء بين الأسنة والحراب
أبكى الحسين بعبرة ترضى الإله مع الثواب
ثم استقل به الجناح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بى بعد الرضىِّ المستجاب

(١٢٢) طبقات ابن سعد ٨ /٢٤٨

ويقول الشبلنجى[١٢٣] نقلاً عن درر الأصداف : إن هذه الأبيات لفاطمة الصغرى وكانت بالمدينة ، وحين قتل الحسين جاء غراب متمرغ فى دمه وظل يطير حتى وقف على جدار فاطمة بالمدينة ، فرفعت رأسها إليه وبكت وأنشدت الأبيات المتقدمة . .

لقد فهمت أن هذا الغراب جاء ينعى إليها أباها الحبيب ، إنه الإلهام الصادق والإحساس القوى بما وقع . . .

ولم يلبث أن جاء النعى بعد ذلك بما حدث . .

وإذن فقد كان للإمام الحسين بنتان كلتاهما تسمى فاطمة ويعلق الشبلنجى على ذلك : مادام قد ذكر الرواة أن للحسين بنتين تسميان فاطمة ، فما المانع أن تكون إحداهما بالقاهرة ، وذلك رد على من يقول : إن فاطمة بنت الحسين لا وجود لها بمصر .

ويذكر الإمام الشعرانى فى طبقاته أن السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين مدفونة بالدرب الأحمر ، كما يقول ذلك صاحب مشارق الأنوار .

وفى رحلة ابن بطوطة يذكر صاحبها ـ أن فى مدينة الخليل بالشام يوجد مسجد اليقين على تل مرتفع له نور وإشراق ليس لسواه ، ولايجاوره إلا دار واحدة ، وبالقرب منه مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على ـ عليه السلام ـ وبأعلى القبر وأسفله لوحان مكتوب فى أحدهما بخط بديع : بسم الله الرحمن الرحيم ، لله العزة والبقاء ، وله ما ذرأ وبرأ ، وعلى خلقه كتب الفناء ، وفى رسول الله أسوة حسنة ـ هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين ـ رضى الله عنها ـ .

---

(١٢٣) نور الأبصار ص١٨٧

وفى اللوح الآخر منقوش : صنعه محمد بن سهل النقاش بمصر ، وتحت ذلك هذه الأبيات :

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه بالرغم منى بين الترب والحجر
ياقبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر
ياقبر مافيك من دين ومن ورع ومن عفاف ومن صون ومن خفر

وربما كانت هذه هى فاطمة الثانية ، لأن صاحبة الدر المنثور تذكر فى طبقاتها أن السيدة فاطمة بنت الحسين ـ رضى الله عنها ـ توفيت سنة عشر ومائة ـ ودفنت فى المسجد المعروف بها الآن فى مصر .

أخلاقها

وكانت السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كريمة الأخلاق صوامة قوامة . . . ومما يروى عن مروءتها أنها حين جهز يزيد أهل البيت إلى المدينة بعد مقتل الحسين ـ رضى الله عنه ـ أرسل معهم رجلاً أميناً من أهل الشام فى خيل سيرها صحبتهم فأحسن الرجل معاملتهم .

كان يسايرهم فى خيله التى معه ، فيكون الركب أمامهم بحيث لايسبق ، فإذا نزلوا تنحى هو ومن معه عنهم ، وكان يسألهم عن حالهم ويتلطف بهم فى جميع أمورهم ، فقالت فاطمة لأختها سكينة : لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تَصِليه بشىء ؟

فقالت : والله مامعنا مانصله به إلا هذه الحلى

قالت : فافعلى .

فأخرجنا له سوارين وبعثنا بهما إليه . واعتذرنا ـ فرد الرجل ذلك ، وقال : لو كان الذى صنعته رغبة فى الدنيا لكان فى هذا مقنع ، ولكن والله

مافعلت مافعلت إلا لله ولقرابتكم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ومن شجاعتها : أنها جابهت يزيد فى شدته وقوته حين دخلن عليه أسيرات - فقالت له : يايزيد أبنات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسيرات . . ؟

فقال : لا - بل حرائر كرام .

وكانت عاقلة لبيبة - ومن قولها المأثور : والله مانال أحد من أهل السفه بسفههم شيئاً ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً إلا وقد ناله أهل المروءات ، فاستتروا بجميل ستر الله .

ويؤثر عنها أنها كانت كثيرة العطف على الأيتام والمساكين ، ولذلك كان يقال لها : أم الأيتام .

وذكر الزركلى فى كتاب أعلام النساء أنها إحدى الراويات للحديث وقد روت عن جدتها فاطمة مرسلاً ، وعن أبيها وعمتها زينب بنت على ، وعن بلال مؤذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعن عبدالله بن عباس ، وأسماء بنت عميس ، وعائشة أم المؤمنين ، وعلى بن الحسين كما روى عنها أولادها عبدالله ، وإبراهيم ، وحسين ، وأم جعفر ، وبنو الحسن بن على ، ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان وغيرهم .

كتابها لعمر بن عبدالعزيز

ويذكر صاحب الطبقات الكبرى أن عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - حين ولى الخلافة أعاد إلى الهاشميين حقوقهم التى كانت تعطى على عهد الراشدين . فكتبت فاطمة بنت الحسين إليه كتاباً تشكره فيه على ذلك ، وقد جاء فى هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبدالله عمر بن عبدالعزيز أمير المؤمنين ـ من فاطمة بنت حسين .

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو .

أما بعد ، فأصلح الله أمير المؤمنين ، وأعانه على ماولاه ، وعصم له دينه ، فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبى بكر بن حزم أن يقسم فينا مالاً ، ويتحرى بذلك ماكان يصنع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين ، فقد بلغنا ذلك وقسم فينا ، فوصل الله أمير المؤمنين وجزاه من والٍ خير ماجزى أحداً من الولاة ، فقد كانت أصابتنا جفوة واحتجنا إلى أن يعمل فينا الولاة بالحق ، فَأُقْسِم لك بالله ياأمير المؤمنين لقد أعطى خادماً لمن كان من آل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا خادم له ، وكسا من كان عارياً ، واستنفق من كان لايجد مايستنفق .

وَبَعثتْ إليه رسولاً . قال : فأخبر الرسول أنه قدم عليه فقرأ كتابها وأنه ليحمد الله ويشكره ، وأمر لى بعشرة دنانير ، وبعث إلى فاطمة بخمسمائة دينار وقال : استعينى بها على حاجتك ، وكتب إليها بكتاب يذكر فضلها وفضل أهل بيتها ، ويذكر ما أوجب الله لهم من الحق ، قال : فقدمت عليها بذلك المال[١٢٤] .

تقريظ عمر لها

ذكرت فاطمة عند عمر بن عبدالعزيز ، وكان لها مقدراً ، فقيل له : إنها لاتعرف الشر . فقال عمر : عدم معرفتها الشر جنبها الشر .

---

(١٢٤) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٥ قسم١ صـ٢٨٨ ط التحرير

السيدة رقية بنت على

يقول بعض الرواة : إن السيدة رقية التى يقع مشهدها بين السيدتين نفيسة وسكينة ، هى بنت الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ

وإن أمها هى أم حبيب الصهباء التغلبية ، كانت أم ولد تزوجها على ـ رضى الله عنه ـ فولدت له رقية وعمر الأكبر ـ قيل : كانا توأمين . وعاش عمر خمساً وثمانين سنة .

وقال الليث بن سعد : إن رقية هذه بنت على ـ من فاطمة الزهراء . ـ رضى الله عنها ـ

وبعضهم يقول : إنها بنت على الرضا ، وهناك على باب ضريحها يوجد بيت من الشعر يشير إلى ذلك هو :

بقعـــة شـــرفت بـــآل النبـــى وبنـت الرضـــا عـــلى رقيـــة

وربما كان هذا أقرب إلى الصواب . .

ولنقرأ معاً هذا التقرير الذى كتبه الأستاذ أحمد أبوكف فى كتابه القيم ـ آل بيت النبى فى مصر ـ عن هذا الموضوع . . . وهو يسمى هذه المنطقة التى يوجد بها المشهد المذكور ـ ببقيع مصر الصغير .

وَسَمَّى هذه المنطقة بهذا الاسم نظراً لوجود عدة أضرحة منسوبة لأهل البيت فيه . .

وهو يقول عن ضريح السيدة رقية : إن على مبارك فى خططه التوفيقية أشار إلى أن هناك تكية معروفة بتكية السيدة رقية ، وهى غاية فى الخفة والنورانية ، ويداخلها ضريح السيدة رقية ، يعلوه قبة لطيفة ويقربه عدة أضرحة . .

ثم يتحدث بعد ذلك عما قرأه فى المصادر المختلفة حول السيدة رقية ووجودها فى مصر فيقول :ـ

* يذكر الحافظ السلفى ـ وفاة سيدنا على بن أبى طالب وَعَدَّ له من الأولاد ثلاثين ولداً ، وعد رقية منهم ، وقال : « رقية هذه من الصهباء » .

* ويؤيد ذلك ماجاء فى كتاب « الرياض النضرة فى مناقب العشرة » الذى ذكر أن السيدة رقية من بنات سيدنا على .

* وفى الباب العاشر من « منن الشعرانى » يقول حول وجود السيدة رقية بمصر :

« . . . وأخبرنى سيدى على الخواص ، أن رقية بنت الإمام على كرَّم الله وجهه ، فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة ، ومعها جماعة من أهل البيت ، وهو معروف بجامع شجرة الدر ، وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة ، والمكان الذى فيه السيدة رقية عن يمينه . وقيل إن للسيدة رقية ضريحاً بدمشق » . . . . . ● أما ابن عين الفضلاء . . صاحب كتاب « مصباح الدياجى » فيقول :

« قال عبيدالله بن سعيد : بعث لى الحافظ عبدالمجيد فى الليل ، فجئت مع الذى دعانى له ، فقلت ماتريد ؟ فقال رأيت مناماً . فقلت : ما هو؟ قال : رأيت امرأة متلففة ، فقلت من أنت . . . ؟ ـ قالت بنت على ـ رقيه ـ فجاءوا بنا إلى هذا الموضع ، فلم نجد به قبراً . فأمر ببناء هذا المشهد ، فبنى . وهو مكان معروف بالدعاء » .

وربما يقصد صاحب « مصباح الدياجى » هنا أن أول من بنى مشهداً على

قبر السيدة رقية ، هو الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله عام « ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ » .

* ويؤيد ذلك النص فى كتاب ابن محمود السخاوى « تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات » ، حيث يقول :

« وبنى هذا المشهد تميم المكنى - بأبى تراب الحافظى - » أقول - كان فى آخر مدة الفواطم .

والحافظ المنسوب إليه تميم المذكور ، كانت وفاته بعد الأربعين والخمسمائة ، وقد بنى هذا المحل سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف - الأمير عبدالرحمن كتخدا ، وهو مشهد مقصود بالزيارة ، له مولد كل سنة » .

* ويقول الشيخ الأجهورى حول مجىء السيدة رقية إلى مصر :

« إن السيدة رقية لما جاءت من المدينة ، اعترضها شخص من خصوم أبيها وأراد قتلها ، فوقفت يده فى الهواء وسقط ميتاً »

ولكن هذا يخالف ماذكره صاحب كتاب « العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد » . نقلاً عن كتاب الشيخ محمد الصبان « إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وأهل بيته الطاهرين » حيث يقول : « وأما السيدة رقية رضى الله عنها فإنها ماتت قبل البلوغ ، ومحلها بعد السيدة سكينة بشىء يسير » .

وواضح فى المصادر إذن الاختلاف على السيدة رقية .

مصادر تقول : إن أمها هى السيدة فاطمة الزهراء ، وأخرى ترى أنها ليست أمها ، وإنما أمها - أم حبيب الصهباء التغلبية ، من سبى الردة . والبعض الثالث يرى أن هناك رقية صغرى ، ورقية كبرى ، وأن رقية التى فى مصر هى بنت أسماء بنت عميس الخثعمية .

وهناك من المصادر من يقول : إن السيدة رقية ماتت دون البلوغ وهناك من يرى رأياً آخر .

وبعض المصادر تقول إن للسيدة رقية ضريحاً بدمشق الشام .

وجمهور المؤرخين وأصحاب السير يجمعون على أن للإمام على ـ رقية واحدة ، من غير السيدة فاطمة الزهراء ، ولكن يخالفهم فى ذلك الليث بن سعد ، الذى قال « إن السيدة رقية ـ من السيدة فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ »

وكما هو الاختلاف على من هى « رقية » المدفونة فى مصر ، فهناك خلاف حول أمها . وخلاف حول موتها .

البعض يقول إنها جاءت إلى مصر مع السيدة زينب بنت على ، أختها بعد معركة كربلاء . والبعض لايرى هذا الرأى .

وهناك رأى له بعض المنطق ، يقول : إن السيدة رقية ليست بنت الإمام على بن أبى طالب ، وليست السيدة فاطمة الزهراء أمها . . . بمعنى أنها ليست أخت الحسن والحسين . بل يقولون إن السيدة رقية المدفونة فى مشهدها فى شارع الخليفة ـ هى بنت الإمام على الرضا بن الإمام الحسين بن على . . . ذكر ذلك فى أحد الأبحاث للشيخ محمد زكى إبراهيم ، وهو من العلماء الأفاضل ورئيس جماعة العشيرة المحمدية .

وتأسيساً على هذا الرأى فإن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق الراقدة فى مشهدها القريب من السيدة رقية تعتبر عمتها . لأن السيدة عائشة أخت الإمام موسى الكاظم المولود فى عام ١٢٨ هـ . كما أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور تعتبر زوجة عم السيدة رقية . وهو إسحق المؤتمن .

وتأسيساً على التأسيس ـ كما يقول المناطقة ـ فإنه ربما يكون هناك خلط جرى بين تاريخ وحياة السيدة عائشة وبين تاريخ وحياة السيدة رقية ..... أقول ربمايكون خلطا بين الاثنين ، فهناك تشابه غريب فى وفاتها . فالمؤرخون يرون أن السيدة عائشة ماتت دون البلوغ ، تماماً مثلما يقولون عن السيدة رقية . وهذا مانتركه للعلماء والباحثين فى تاريخ آل البيت فى مصر وفى غير مصر ليقولوا رأيهم ، وإن كنا نحن نميل إلى الرأى القائل بأن السيدة رقية هى بنت الإمام على الرضا بن موسى الكاظم وهى ليست بالقطع بنت الإمام على بن أبى طالب والسيدة فاطمة الزهراء .

على أن ذلك ينقلنا إلى قضية أخرى . بمعنى أن السيدة رقية إذا ثبت أنها بنت الإمام على ـ فهى من مواليد الربع الأول من القرن الأول الهجرى ، وإذا ثبت أنها بنت الإمام على الرضا فتكون من مواليد النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، وبالطبع شتان مابين التاريخين من سنوات وأحداث بالنسبة لآل البيت .

لكن ـ وبلا شك ـ فسواء كانت السيدة رقية تنتمى للقرن الأول الهجرى ، أو القرن الثانى الهجرى ، فهى بالتأكيد أيضاً تنتمى لآل البيت وهى درة من درره النفيسة . وعلى أية حال فالثابت أن السيدة رقية تنتمى لآل البيت ، وأنها تنتمى إلى السيدة فاطمة الزهراء . وأن الزهراء رضى الله عنها جدتها . وليست أمها .

ويقوى من رأينا ويدعمه ماقالته الدكتورة سعاد ماهر ، عميدة كلية الآثار ، وأستاذة العمارة الإسلامية فيها . وهى مهتمة بتاريخ آل البيت فى مصر تقول : فمشهد السيدة رقية يعتبر من المشاهد الفاطمية البارزة ،

والباقية فى مصر حتى الآن بجانب مشهدين فاطميين آخرين ، هما مشهد السبع بنات فى مصر القديمة « الفسطاط » والذى شيد عام ٤٠٠ هـ ، والمشاهد الفاطمية فى جبانة أسوان ، والتى يرجع تاريخ معظمها إلى القرن الخامس الهجرى .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن مشهد السيدة رقية يشبه أحلى وأرق الآثار الفاطمية فى حى النحاسين بالأزهر ، وأقصد الجامع الأقمر - خاصة واجهته الغربية - والجامع الأقمر بنى فى عصر الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله « عام ٥١٩ هـ » إنه يشبه تماماً فى واجهته الغربية مشهد السيدة رقية ، وهذه الواجهة الغربية تعتبر من أجمل واجهات المساجد فى مصر ، للنقوش والكتابات المزهرة عليها ، وكلها منحوتة فى الحجر ، بالاضافة إلى تلك العقود والحنيات المجوفة والمقرنصات التى تتوسطها دوائر كتب عليها « محمد » و« على » كما توجد دائرة كبيرة فوق الباب كتب عليها « بسم الله الرحمن الرحيم« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

والذى نريد أن نقوله : إن أغلب مافى واجهة الأقمر ، يوجد مثله فى مشهد السيدة رقية وفى محاريبه الثلاثة ، حتى أن الناظر إليها ، والمقارن بينهما يظن أن الجامع الأقمر ، ومشهد السيدة رقية عملا فى وقت واحد . . . لكن الثابت أن الذى بنى مشهد السيدة رقية هو الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله - ثامن الخلفاء الفاطميين - بينما « الأقمر » أنشىء فى عهد الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله .

ومما يثبت أن السيدة رقية من آل البيت وأن جدتها السيدة فاطمة

الزهراء ـ ماقيل من أن الفاطميين ـ بالذات ـ كانوا من الحرص . . . . بحيث لايبنون مشهداً على قبر ، إلا بعد تأكدهم من أن صاحبه أو صاحبته من آل البيت ، ومن سلالة فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب بالذات . ونحن لو عرفنا أن فى مصر يزيد عدد المشهور من الأضرحة والمشاهد على الألف ، فإن اهتمام الفاطميين ببعض هذه الأضرحة والمشاهد ـ ومنه مشهد السيدة رقية ـ دليل دامغ على أنها فى مصر . وإذا كان بناء القبة فى مصر قد تطور ـ من خلال العمارة الإسلامية ـ وصار لها وظيفة هامة هى تغطية المساحات المربعة ـ وفضلاً عن الإشارة إلى أهمية هذا الجزء ـ فإن قبة السيدة رقية قد بنيت لتقول هنا ترقد السيدة الشريفة رقية ـ رضى الله عنها ـ

المشاهد التى بجوارها

هذا بالنسبة للسيدة رقية ، الراقدة فى مشهدها ـ أو ضريحها ـ فى شارع الخليفة ـ وليس هناك اختلاف بين المشهد والضريح ـ وإنما الشيعة يطلقون على القبة اسم المشهد ، وأهل السنة يطلقون عليه الضريح ، بمعنى أن المشهد والضريح اسمان لمسمى واحد .

ولكن ماذا عن الأضرحة أو المشاهد ، الموجودة فى رحاب السيدة رقية . أو فى تكية السيدة رقية ، كما يسميها على باشا مبارك ، فى إطار « بقيع مصر الصغير » ؟ !

مشهد السيد محمد المرتضى

أول هذه المشاهد إلى يمين الداخل لمشهد السيدة رقية ، هو قبر السيد محمد ـ الشهير بمرتضى ، وقبر زوجته السيدة زبيدة . . . يقابل ذلك على يسار الداخل قبر يحمل اسم السيدة « أسماء » وعلى بعد عدة أمتار قبتان

أثريتان من نفس طراز قبة السيدة رقية لضريحين - أحدهما للسيدة « عاتكة » والآخر للسيد « على الجعفرى » ولنتحدث عن هذه الأسماء التى ذكرناها .

مشهد أسماء

* ونبدأ بالسيدة « أسماء » . . فالذين يرجحون أن السيدة رقية هى بنت الإمام على بن أبى طالب ، يرون أنها « أسماء » بنت عميس الخثعمية ، زوجة الإمام على . وبذلك يقولون : إن القبر هو قبر والدة السيدة رقية « أسماء » . أما هؤلاء الذين يرون أن السيدة رقية من بنات على الرضا ، فيقولون عن « أسماء » إنها كانت خادمة السيدة رقية ودفنت بجوارها .

ونحن نميل إلى الرأى الذى يقول : إن قبر السيدة « أسماء » هو قبر لخادمة السيدة رقية .

مشهد السيدة زبيدة

* ونثنى بقبر السيدة زبيدة ، والسيد محمد الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى . والمعلومات عنهما وفيرة . وجدنا بعضها فى الجبرتى ، والآخر فى - بقيع على مبارك .

والسيد محمد - الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى ، كما يصفه الجبرتى هو : « الفقيه المحدث اللغوى ، النحوى ، الأصولى ، الناظم الناثر ، أبوالفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى الحنفى

جاء إلى مصر فى تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة وألف - درس فى مصر حتى راج أمره وترونق حاله ، واشتهر ذكره عند الخاص والعام »

والواقع أن الشيخ عبدالرحمن الجبرتى قد أفاض فى سيرة الشيخ مرتضى

الحسينى ، وأفرد له كثيراً من السطور والصفحات ، كما أن هذه الشخصية فرضت نفسها على الكتاب والأمراء وذوى السلطان فى عصرها ، وهو القرن الثانى عشر الهجرى . وكما كان هذا الشيخ مشهوراً فى مصر ، كان أيضاً من المشهورين فى المغرب . . . يقول الجبرتى : « وله عند المغاربة شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة » .

هذا بالرغم من أن أصله من زبيدة اليمن .

أما عن زوجته السيدة زبيدة فقد ذكر أنها ماتت فى سنة ست وتسعين ومائة وألف فحزن عليه حزناً كثيراً ، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية ، وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة ، وستوراً وفرشاً وقناديل ولازم قبرها أياماً كثيرة وكان يجتمع عنده الناس والفقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والقهوة .

ويقول على باشا مبارك : إن السيد محمد الشهير بمرتضى ، اشترى مكاناً بجوار مقبرة زوجته ، وعمره بيتاً صغيراً ، وفرشه ، وأسكن فيه أمها ـ أى أم زوجته ـ وكان يبيت به أحياناً . كما كان يقصده الشعراء بالمراثى ، فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه ، ولحبه الشديد لزوجته رثاها بجملة قصائد ذكرها الجبرتى .

وقد مات السيد مرتضى بالطاعون ، ودفن فى القبر الذى أعده لنفسه بجوار زوجته بمشهد السيدة رقية .

وقد عدد على باشا مبارك مؤلفات الشيخ مرتضى فذكر منها الكثير فبجانب « شرح القاموس » و« شرح الإحياء» له كتب أخرى منها . « كتاب الجواهر المنفية فى أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه » وله

أيضاً كتاب « العقد الثمين فى طريق الإلباس والتلقين » و« حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق » و« إعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام » و« رشف سلاف الرحيق فى نسب حضرة الصديق » و« القول المثبوت فى تحقيق لفظ التابوت » و« منح الفيوضات الوفية ، فيما فى سورة الرحمن من أسرار الصفة الألهية » و« ترويح القلوب بذكر ملوك بنى أيوب » وكثير من الكتب والمؤلفات ذكرها الشيخ الجبرتى ولا نستطيع حصرها فى هذه السطور .

مشهد عاتكة والجعفرى

وأخيراً نأتى إلى مشهدين للسيدة عاتكة ، ولسيدى على الجعفرى . . وبالنسبة للسيدة « عاتكة » فالعامة يقولون : إنها السيدة عاتكة عمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ . . . . لكن الحقيقة أن القبر والقُبة هما للسيدة عاتكة بنت شرحبيل ، زوجة محمد بن أبى بكر ـ كان من المتشيعين لعلى كرم الله وجهه ، وله موقف ضد الأمويين .

وقد ولد محمد بن أبى بكر فى سنة حجة الوداع . ولموقف محمد بن أبى بكر من الأمويين ، ووقوفه ضدهم بعد التحكيم ، وبعد قتل الإمام على ـ رحل إلى مصر ، خاصة وأن مصر كانت تلعب دوراً خطيراً فى سياسة دولة الإسلام منذ أن دخلت الإسلام . . . . .

وثابت أن السيدة عاتكة كانت مع زوجها محمد بن أبى بكر فى مصر وأنها دفنت فيها . لكن تاريخها لايزال يحتاج إلى إماطة اللثام عنه وعن زوجها محمد بن أبى بكر الصديق .

أما الضريح الثانى لسيدى على الجعفرى . فليس لصاحب الضريح ترجمة

فيما تيسر من المصادر ، وإن كانت الصفة التى يحملها اسمه تدل على أنه ينتسب للإمام جعفر الصادق ، لكن وجود هذا الضريح قرب ضريح السيدة رقية ، يدعم الرأى الذى يرى أن السيدة رقية هى بنت الإمام على الرضا . ويجوز أن يكون سيدى على الجعفرى واحداً من أسرتها ، بل ربما كان شخصية مهمة من أبناء جعفر الصادق ، تحتاج من المؤرخين لآل البيت إلى وقفة .

انتهى مانقلناه من كتاب الأستاذ أحمد أبوكف .

وقد ذكرناه بتمامه تقريباً لأنا وجدنا فيه الوفاء بهذا الموضوع فجزاه الله خيراً .



الإمام حسن الأنور

سبق فى أحاديثنا أن أشرنا إلى ذرية الإمام السبط حسن بن على ـ رضى الله عنه ـ وذكرنا طرفا من سيرة الإمام زيد الأبلج بن الحسن بن على ـ رضى الله عنه .

وقد أنجب الإمام الأبلج ذرية طيبة منها ابنه حسن الأنور الذى ورث من أبيه الأنوار وتعطرت بسيرته الأخبار . . . .

ويقع ضريح حسن الأنور فى المنطقة التى تسمى بخرطة « أبى السعود » بمصر القديمة ، من جهة سور القاهرة فى الطريق إلى مسجد عمرو بن العاص .

وقد حدثوا عنه أنه كان تقيا ورعا مجاب الدعوة ، وكان إماماً عظيما عالما من كبار أهل البيت معدوداً من التابعين .

وكان أبوه زيد الأبلج ـ رضى الله عنه ـ جليل القدر كريم الطبع ، يتصف بالصفات الكريمة ، وكان يتولى أمر صدقات رسول الله ـ ﷺ ـ وكان يقصده الناس فيبرهم ويكرمهم ، ويفد إليه الشعراء فيمدحونه وينالون عطاءه ، فكان ذلك سببا فى إيغار صدر سليمان بن عبدالملك عليه فكتب إلى عامله بالمدينة يقول له : أما بعد ، فإذا جاءك كتابى هذا فاعزل « زيد بن حسن » عن صدقات رسول الله ـ ﷺ ـ وادفعها إلى رجل ـ سماه ـ من ذوى قرابته . .

ولكن عمر بن عبدالعزيز حينما تولى الخلافة رده عليها .

ومن الشعر الذى امتدح به زيد ـ قول محمد بن بشر الخارجى :

وزيد ربيع الناس فى كل شتوة إذا اختلفت أبراقها ورعودها

حمول لأشتات الديات كأنه   سراج الدجى قد قارنتها سعودها

وحينما مات بكى عليه الناس كثيراً ، ورثاه الشعراء ، ومن ذلك قول قدامة بن موسى الجمحى :

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه   فقد كان معروف هناك وجود
وأن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى   به وهو محمود الفعال حميد .

هذا هو والد الحسن الأنور الذى كان زعيم البيت النبوى فى حياته .

أما ابنه حسن الأنور ، فقد سار على نهج أبيه ، وصار علماً من أعلام التقى والصلاح والنور .

حسن الأنور والولاية :

جاء أبوجعفر المنصور فولى حسن بن زيد إمارة المدينة ـ ولعله أراد أن يستل بذلك سخائم أهل البيت ـ وقربه وكرمه ، وقد انتهت إلى حسن الأنور بعد أبيه رئاسة بنى الحسن ، وقصده الشعراء يمدحونه . وكان كريما متواضعا .

جاء فى كتاب حسن المحاضرة للسيوطى : دخل على الحسن الأنور ـ وهو والى على المدينة ـ شاعر ينشده قصيدة جاء فى أولها :

الله فرد وابن زيد فرد .

فصرخ الحسن قائلا : ثكلتك أمك ـ ألا قلت :

الله فرد وابن زيد عبد ؟

ونزل من كرسيه وألصق خده بالأرض ومرغ وجهه بالتراب ، وسبح الله العلى القدير واستغفر ربه وبكى .

ومن الشعر الذى امتدح به الحسن ما يرويه الحصرى فى زهر الآداب قائلا :

كان أبوعاصم الأسلمى قد هجا الحسن بن زيد ، قبل توليه الإمارة . فلما ولى المدينة جاءه متنكرا فى زى الأعراب فقال :

ستأتى مدحتى الحسن بن زيد وتشهد لى بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها أبو حسن تعاديها الدهور
قبور لو بأحمد أو على يلوذ مجيرها حمى المجير
هما أبواك من وَضعاً فضعه وأنت برفع من رفعا جدير

فقال الحسن : من أنت ؟

قال : أنا الأسلمى .

قال : إذن حياك الله ، وبسط له رداءه وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .(١٢٥)

وكان كريما سخيا ، يطمع فيه الطامعون ، حدث الحصرى أيضاً ـ قال : أتى « الغاضرى » المتطفل ـ يوما إلى الحسن بن زيد ، فقال : جعلت فداك ، إنى عصيت الله ورسوله .

قال : بئسما صنعت ، وكيف ذلك ؟

قال : إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وأنا أطعت امرأتى ، فاشتريت غلاما فهرب منى .

قال الحسن : فاختر واحدة من ثلاث : إن شئت فثمن الغلام وخذ

---

(١٢٥) زهر الآداب جـ١ صـ١٢٧

ثمنه .. وإن شئت ..

قال الغاضرى : بأبى أنت ، قف عند هذه ولا تتجاوزها .

قال الحسن : أعرض عليك الخصلتين .

قال : لا ، حسبى هذه .(١٢٦)

وكان عفوًا متسامحا محسنا إلى من أساء إليه . . . ففى أثناء ولايته على المدينة أحسن إلى رجل فقير وقربه ـ يقال له : ابن أبى ذئب ـ حتى كثر ماله ، وقدمه إلى المنصور .

ولكن هذا الرجل قابل الإحسان بالإساءة ، فقد سعى بالحسن إلى المنصور ، ومازال به حتى أوغر صدره عليه وتنكر له . فعزلَ المنصور الحسن عن ولاية المدينة .

وبعد فترة تبين للمنصور كذب هذا الساعى ،فرد الحسن إلى عمله وأحسن صلته واعتذر إليه ، ورد عليه أمواله التى صادرها .

وَأَبَى الحسن مع ذلك أن يعاتب ابن أبى ذئب . وكان قد قصده . فعفا عنه وأمده بمال وأهداه .

وهذه طبيعة هذا البيت الكريم ..

ويقال : إن الذى رد للحسن بن زيد اعتباره وأعاده إلى عمله هو المهدى وليس المنصور . وكان ذلك فى اعتذار طويل له .(١٢٧)

يقول الأستاذ أحمد أبوكف : تولى الأنور المدينة وعمره ١٧ سنة ، وظل فيها ست سنوات من عام ١٥٠ إلى عام ١٥٥ هـ ، ثم لم ينج من اضطهاد

---

(١٢٦) المرجع السابق صـ٢٠٢

(١٢٧) نفيسة العلم والمعرفة لصلاح عزام صـ١٩

العباسيين فعزل عن الولاية ، وأودع السجن سنة ١٥٦ هـ إلى أن ولى المهدى الخلافة فأخرجه من السجن عام ١٥٨ هـ .[١٢٨]

وكان والد الحسن ـ الإمام زيد ـ قد توفى وترك دينا قدره أربعة آلاف دينار ، فحلف الحسن ألا يظل رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ أو بيت رجل يكلمه فى حاجة حتى يقضى دين أبيه .[١٢٩] . ووفى بيمينه ، وأدى دين والده .

ذرية الحسن :

وقد أعقب الحسن الأنور من الذرية الكثير من الأبناء البررة . . . وهم كما يسميهم الأستاذ صلاح عزام : أبو القاسم ، ومحمد ، وعلى ، وإبراهيم ، وزبير ، وعبدالله ، ويحيى ، وإسماعيل ، وأسماء ، وأم كلثوم ، ونفيسة ، وكلهم من أم سلمة ، وهى زينب ابنة عمه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .

وكان الحسن محبا لها مهتما بأمرها ـ وسنتحدث عنها فيما بعد .

وقد كانت شغله الشاغل فى معتقله على عهد المنصور ، فكان يسأل عنها ويتابع ما حفظت من كتاب الله وعلوم دينها .

منزلته العلمية :

كان الحسن عالما عاملا بعلمه ، وقد ورث عن أبيه كثيرا من العلوم وأصبحت له ألقاب تشير إلى منزلته العلمية ، فكان يقال له : شيخ أهل

---

(١٢٨) آل البيت فى مصر صـ١٤٠

(١٢٩) الخطط للمقريزى جـ٣ صـ٤٤٧

البيت ، وشيخ الشيوخ ، والعابد ، والفاضل ، والشريف .

كما كان ثقة راويا ، ومن تلاميذه الإمام مالك بن أنس ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن أبي ذئب المحدث الجليل ـ وهو غير ابن أبي ذئب الذى وشى به ـ ومن تلاميذه أيضا أبوأويس ووكيع .

وشيوخه منهم أبوه الإمام زيد ، وابن عمه عبدالله بن الحسن ، وأخذ عن عكرمة ، ومعاوية بن عبدالله بن جعفر .

وجاء فى كتاب الكامل للمبرد أن حسن الأنور ذهب إلى الحج فلفت نظره شخص يزاحم الحجيج فأشار إليه وقال : خرقاء وجدت صوفا .

ومعنى ذلك أنه يفعل فعلا يضر أكثر مما ينفع . وكأنه بذلك يفسد حجه ، لأن المزاحمة فى الحج مكروهة .

تشدده فى إقامة معالم الدين :

وكان الحسن فى أثناء ولايته مثالا فى إقامته الحدود ، ومراعاة الآداب الدينية والشرعية .

وحدث أن عزل عبدالله بن مسلم بن جندب الهزلى عن إمامة الصلاة فى مسجد الأحزاب .

فقال له : لم تعزلنى عن منصب أبى وأجدادى ؟

فقال : إنما عزلك يوم الأربعاء . .

وكان هذا اليوم مسموحا فيه للنساء بالصلاة فى المسجد ، وقد تعرض هذا الرجل لبعض النساء بأبيات غزلية ، فعاقبه الأنور عليها بالعزل .[١٣٠]

---

(١٣٠) آل بيت النبى فى مصر صـ١٤٤

وكان هناك شاعر اسمه ابن هرمة له مع الحسن أحاديث ظريفة ، فلما ولى الحسن إمارة المدينة قال له :

أنا لست كمن باعك دينه رجاء مدح ، أو خوفاً من ذم ، فقد رزقنى الله - عز وجل - بولاية نبيه المَمَادِح وجنبنى المقابح ، وإن من حقه علىَّ ألا أغضى عن تقصير فى حق ربى ، وأنا أقسم بالله لئن جىء بك سكران لأضربنك حدا للخمر وحدا للسكر ، ولأزيدن لموضع حرمتك بى فليكن تركك لها لله تعالى - تُعِنْ عليها ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم .[١٣١]

كرمه :

وكان كريما سخيا معطاء .

حكى الخطيب البغدادى قال : جاءه فى الصباح الباكر مصعب بن ثابت الزبيرى ومعه ابنه عبدالله ، وكان الحسن يهم بالركوب إلى مال له بالغابة فى الطريق إلى مكة ، واستجارا به حتى يدفع عنهما دينا مستحقا ، فأرسل الحسن إلى صاحب الدين واسمه « ابن ثوبان » فسأله : فقال على الشيخ سبعمائة ، وعلى ابنه مائة .[١٣٢]

فقضى عنهما الدين ، وأعطاهما مائتى دينار .

وهذا مجرد مثل من أمثلة كثيرة .

وفاته :

عاش الأنور حياة مديدة ، تقدر بخمسة وثمانين عاما . . . ويذكر الرواة فى مكان وفاته أقوالا متعددة .

---

(١٣١) المرجع السابق

(١٣٢) المرجع السابق

فقد قال ابن خلكان : مات بمصر ـ لكنه غير مشهور .

وقيل : إنه توفى ببغداد ودفن فى مقبرة الخيزران .

وقيل : مات بالحاجر أثناء حجه مع المهدى عام ثمانية وستين ومائة . .

ويذكر ابن إياس فى تاريخه أن السيدة نفيسة دخلت مصر مع أبيها الأمير حسن فى بعض الأقوال .(١٣٣)

قال الاستاذ أحمد أبو كف : ويؤكد الشيخ عبد الخالق سعد فى كتابه الجواهر النفيسة ـ أن الإمام الأنور جاء مصر مع ابنته نفيسة بعد مازارا معاً قبر الخليل إبراهيم ، وعاش فى مصر القديمة بدءاً من يوم السبت السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاثة وتسعين ومائة . .

إلا أن هذا التاريخ ليس دقيقا ، لأن الأنور مات قبل ذلك بكثير . .

ويقول : لكن الملاحظ أن أسرة سيدى حسن الأنور فيها الكثير الذين دفنوا بمصر .

بل إن البعض يقول إن زيداً مدفون فى ضريح ابنه سيدى حسن الأنور . . الذى مات عن تسعين عاما . . والبعض يقول : إن الضريح ليس لزيد الأبلج ، وإنما هو لزيد بن حسن الأنور .

كما يقولون : إن السيدة نفيسة بنت زيد الأبلج مدفونة فى مصر . كما أن محمداً الأنور أخا حسن الأنور ، مدفون فى مشهده القريب من مسجد السيدة سكينة على يمنة الذاهب إلى السيدة رقية والسيدة نفيسة . . كما يؤكد ذلك كتاب « العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد » .

---

(١٣٣) تاريخ ابن إياس صـ٢١ ، ٢٣ ط الشعب ، وابن إياس ينقل ذلك عن وفيات الأعيان لابن خلكان

والسؤال مازال مطروحاً : هل الحسن الأنور مدفون فى مصر ؟!

يؤكد فضيلة الشيخ عبد الغفور محمود جعفر ـ شيخ جامع حسن الأنور ـ والذى يبحث دائماً فى تاريخه ـ أن هناك مخطوطاً ينقل عن ابن النحوى قصة طويلة مفادها أن السيد حسن الأنور توفى فى ريف مصر ، وإن صح هذا الكلام فقد نقل رفاة الحسن إلى مسجده الحالى .

ويتفق مع رأى الشيخ ماأورده الشيخ الصبان فى كتابه « إسعاف الراغبين » نقلا عن الشعرانى فى منته : « أن الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريباً من جامع القراء ـ « بين مجراة القلعة وجامع عمرو » . وأن الذى أشهر هذه التربة وبنى عليها قبة ـ كما يرى على مبارك ـ « حضرة عبد الرحمن كتخدا ـ أحسن الله إليه ، وأسبل سرادقات لطفه عليه » .

من هذا يتضح اختلاف الكتاب حول دفن الحسن الأنور فى مصر ، وإن كان الإمام الشعرانى يرى « أن الروح فى البرزخ كمن يسبح فى نهر جار ، يطف فى أى مكان » أى يظهر فى أى مكان .

والواقع أن هناك شواهد كثيرة تدل على وجود لآل البيت فى مصر . خاصة الذين ثار حول دفنهم الخلاف . والحسن الأنور ـ من خلال ضريحه ومسجده ـ فى التاريخ والمعمار تجعلنا نقول إن إثبات دفنه أو نقل جده الطاهر إلى مصر يحتاج إلى أبحاث المجتهدين .

***

إن أقدم تاريخ عثر عليه لجامع الإمام حسن الأنور ، منذ أيام دولة المماليك البحرية ، فى القرن الثامن الهجرى ، وفى عصر الناصر محمد بن قلاوون . أى منذ حوالى ستة قرون . وليس معنى ذلك أن الجامع قد بدأ بناؤه فى هذا التاريخ - وإنما قبل ذلك . يدل على ذلك ما ورد فى خطط - على مبارك ، إذ يقول :

« ... عَمَّرَهُ القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ، ناظر الجيش باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وانتهت عمارته سنة ٧١٢ هـ ، وأقيمت فيه الجمعة حينئذ ، وله أربعة أبواب ، وفيه ١٣٧ عموداً ، وذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع ، بذراع العمل ، وما برح مِنْ أحسن المنتزهات إلى أن خرب ما حوله » .

لكن لسبب أو لآخر ، فإن ما أقامه قلاوون سقط أيضاً ، ، مع أن الجامع - كما يقول - الشعرانى « كانت مساحته كبيرة ، وكان حوله بساتين من أجمل المنتزهات . . » . ويؤكد ذلك على مبارك حين يقول « ... ثم زالت آثاره بالكلية ، وقيل : إن الجامع - كان محل السبع سواقى ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج ، التى تنقل الماء من النيل إلى مجراة القلعة . ويدل على ذلك ما اشتهر من أن الفرنسيين زمن دخولهم مصر ، وجدوا هناك كثيراً من العمد الرخام الضخمة وأحجاراً ونحو ذلك » .

لكن عمارة المماليك سرعان ما انهارت هى أيضا ، بعد حوالى أربعة قرون ونصف . وظل الجامع متخرباً حتى تجدد فى عام ١٢٨٠ هـ - وكما جاء فى خطط على مبارك - على يد ناظره الشيخ أبى زيد إسماعيل - كما هو مرقوم

بأعلى بابه الغربى ـ عليه قبة حديثة وتحت تابوته حجر من الرخام مكتوب عليه اسم ـ سيدى حسن الأنور ، وبجوار هذا الضريح ضريحان ، أحدهما لزيد الأبلج ، واسمه منقوش على قطعة حجر تحت تابوته . والآخر لجعفر » . ولا يعرف من هو جعفر حتى الآن .

لكن هذا التجديد لا ينفى أن الأمير عبد الرحمن كتخدا فى القرن الثانى عشر الميلادى قد بنى قبة على ضريح سيدى حسن الأنور ، كما سبق أن أسلفنا .

وكما هو ظاهر فإن المسجد الحالى بمقارنته بما فى أوراق الأوقاف . . . . فإن مساحته قلت كثيرا . بل إنه الآن ليس حوله خضرة سوى نخلة واحدة ، بالرغم مما يقوله على مبارك من أنه كان « بجواره شجرتان من اللبخ ونخلات » . وحتى الخمسينات من القرن العشرين ، وصل المسجد إلى حالة يرثى لها ، مما دفع بعض أهل الحى إلى الاشتراك فى تجديده وتوسيعه .

وهكذا تبدو أهمية جامع الأنور . . . . وأهميته تكمن بالطبع فى الضريحين الموجودين به لحسن الأنور ووالده ـ اللذين ينتميان للحسن السبط . وهو فرع كثير من أوراقه المضيئة على تراب مصر .

ويؤكد الأستاذ أبو كف وجود الحسن الأنور فى ضريحه بمصر القديمة بما يبدو للزائرين من أنوار واضحة ، وآثار جليلة ، ويقول فى ذلك : منذ سنوات ـ ومازال فى ذاكرة الناس ـ كان بعض العمال يحددون قبلة المسجد ، وفتح ملاحظ المسجد غرفة الضريح ففوجىء بضوء باهر كأنه نور الشمس ينبعث من الضريح ويتجمع فوقه . وأجفل الملاحظ عبد الوهاب حسن

وأغمض عينيه ، ثم أغلق الباب وقرأ عدة آيات .

ولاحظ العمال ما حدث فاعتقدوا أنه من الكهرباء ، لكن أنوار المسجد اطفئت كلها وظل النور منبعثا من الضريح ، وتخرج إشعاعاتها من تحت عقب الباب وسط الظلام الشديد .

وتوقف العمال بعد أن تأكدوا وشاهدوا بأنفسهم الأنوار الربانية ، وعند الصباح اشترى المقاولون على حسابهم الخاص كل المواد التى يحتاج إليها تجديد المسجد كله من أجل هذا القطب الكبير صاحب الأنوار - حسن الأنور(١٣٤) .



(١٣٤) آل بيت النبى فى مصر لأحمد أبى كف ص١٣٩

السيدة نفيسة

هى ابنة الإمام حسن الأنور بن زيد الأبلج بن حسن بن على - رضى الله عنهم - ولدت بمكة المكرمة يوم الأربعاء الحادى عشر من ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة هجرية .

وأمها فيما يرويه الأستاذ صلاح عزام هى أم سلمة بنت الحسن بن الحسن .

وقد فرح أبوها بمولدها فرحا شديد ، وسماها نفيسة باسم أخته نفيسة بنت زيد التى تزوج بها الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد وفدت عمتها نفيسة بنت زيد إلى مصر ، وماتت بها وقبرها قريب من مشهد السيدة نفيسة ابنة أخيها ، فى الدار التى وهبت لها من والى مصر عبد الله بن عبد الملك .(١٣٥)

وقد اعتنى أبوها بتربيتها وتعليمها ، وأحبها حبا شديداً ، وحين ولى امرة المدينة كان يأخذ بيدها إلى قبر النبى - ﷺ - ويقول : ياسيدى : أنا راض عن ابنتك نفيسة فارض عنها .

فرأى فى المنام رسول الله - ﷺ - يقول له: يا حسن أنا راض عن ابنتك نفيسة ، والحق - سبحانه وتعالى - راض عنها برضاى .

وكانت هذه بشرى طيبة بالنسبة لها ، وتدل على ما سوف تصل إليه من مقامات عالية .

ومن الموافقات العجيبة أن الإمام زيد بن الحسن - رضى الله عنه - كان حين ولد له حسن الأنور - كان يأخذ بيده ويدخل إلى قبر النبى - ﷺ -

---

(١٣٥) السيدة نفيسة - توفيق أبوعلم صـ١٤

ويقول : يا سيدى يا رسول الله ، هذا ولدى الحسن وأنا عنه راض . ثم يرجع وينصرف ، فلما كان فى بعض الليالى نام فرأى المصطفى - ﷺ - يقول له : يا زيد إنى راض عن ولدى الحسن برضاك عنه ، والحق راض عنه برضاى عنه . « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » .

إقبال السيدة نفيسة على العلم

وأقبلت السيدة نفيسة على العلم إقبالا فائقا ، فقد حفظت القرآن الكريم وهى دون الثامنة من عمرها ، وتعلمت القراءة والكتابة ، وتفقهت فى دينها حتى أصبحت حجة وأستاذة ، وحتى أصبح يطلق عليها : نفيسة العلم والمعرفة .

زواجها :

وحين بلغت سن الزواج زَوَّجهاَ أبوها من ابن عمها إسحاق الملقب بالمؤتمن ، وهو ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين - ويقال : إنه لم يوافق على تزويجها منه إلا بعد أن رأى النبى - ﷺ - يشير عليه بزواجها منه - وكان ذلك فى رجب سنة إحدى وستين ومائة ولها من العمر ست عشرة سنة .

وانتقل بها زوجها إلى المدينة ، واستمرت على الرغم من زواجها فى تلقى العلم والتزود منه فقد كانت مشغوفة به .

كان أستاذها الإمام مالكا - رضى الله عنه - وقرأت عليه الموطأ وغيره ، ونبغت فى العلم ، وذاعت شهرتها فيه .

وشغلت وقتها بكل أنواع البر والعبادة ، ولم يصرفها ذلك عن العناية بشئون بيتها وزوجها وأولادها .

ووفد إليها العلماء والمتعلمون ولا سيما فى موسم الحج والزيارة . . وكانت دائبة التوجه إلى البيت الحرام ، فقيل : إنها حجت ثلاثين حجة أكثرها سيراً على قدميها .

ثم اشتعلت رغبتها فى زيارة مقام إبراهيم - عليه السلام - بالشام وفى أثناء رجوعها جاءت إلى مصر ، وكان معها زوجها إسحاق المؤتمن . . . وكان ذلك فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وكانت شهرتها قد سبقتها إلى مصر ، وكان الناس يتتبعون أخبارها ، فما أن ذاع خبر قدومها إلى مصر ، حتى خرج الناس يستقبلونها عند العريش ، فى فرح وسرور لم يسبق له مثيل ، لقد اشترك الرجال والنساء فى هذا الاستقبال ، وكانت النِّساء فى الهوادج بأعداد لا تحصى . .

وحطت رحالها فى مصر عند رجل من كبار التجار أعد لها منزلا خاصا مريحا يليق بها - اسمه . جمال الدين عبدالله بن الجصاص .

وكان معروفا بحب الخير وكثرة العبادة والإقبال على البر والمعروف .

وظلت فى هذا البيت شهورا ، يقبل الناس إليها من كل فج يتبركون بها ويتلقون على يديها العلم والمعرفة . .

ثم تحولت إلى مكانها الذى دفنت فيه ، وكان قد وهبه لها أمير مصر فى ذلك الوقت السرى بن الحكم .

ذلك أنه قد نما إلى علمه رغبتها فى رحيلها من مصر إلى المدينة ، فشق على الناس ذلك ، فركب إليها وسألها البقاء فأجابت : إننى امرأة ضعيفة وقد شغلنى الناس عن عبادة ربى ، كما أن مكانى قد ضاق بهذه الجموع الكثيفة .

فقال السرى : أما ضيق المكان فإن لى دارا واسعة فأُشهد الله أنى قد وهبتها لك ، وأسألك أن تقبليها منى .

وأما الجموع الوافرة فإننا نخصص لهم يومين فى الأسبوع ، وباقى أيامك فى عبادة الله . .

فقبلت ذلك ، وخصصت للناس يومى السبت والأربعاء ، وظلت على هذه العادة إلى آخر حياتها .

والذى حبب إليها البقاء فى مصر - إلى جانب حب الناس لها وإقبالهم عليها وتمسكهم بها - أنها رأت النبى - ﷺ - فى المنام يقول لها : « لا ترحلى عن مصر فإن الله متوفيك فيها » .

وتزايد إقبال الناس عليها ، وامتدحها كثير من الشعراء ، وأحبها أهل مصر الذين يحبون أهل البيت حبا جما ، وفى ذلك يقول بعضهم :

يارب إنى مؤمن بمحمد وبآل بيت محمد الأنوار
فبحبهم كن لى شفيعا منقذا من فتنة الدنيا وشر مآل .

والتقى بالسيدة نفيسة فى مصر كثير من الأئمة الأعلام . ومن بينهم الإمام أحمد بن حنبل ، وبشر بن الحارث وقد طلب كلاهما منها أن تدعو لهما ، فقالت : اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين .

وتحدث خاصتها عن لقائها بأحمد بن جنبل وهو فى ضيافة صديقه بشر بن الحارث - فذكروا أنها قالت :

لقد نعمت بمعرفة الأخ فى الله الإمام أحمد بن حنبل حينما كان عند صديقه بشر بن الحارث ، وهو على جانب عظيم من المعرفة وعلو القدر عند

الله ، وقد استجبت لطلبها ودعوت لها ، كما طلبت إليها أن يدعوا لى ، فكان ذلك والله خير مجيب .[136]

لقاؤها بالإمام الشافعى :

وكان الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ قد حط رحاله فى مصر واستقر بها ، فكان يذهب إليها ، وتوطدت صلة العلم بينهما ، وقد رأى من علمها ومعرفتها ما جعله يثنى عليها ثناء مستطابا ، ويسألها فى بعض المسائل العلمية ويتلقى عنها . وقد صلى التراويح فى مسجدها مرارا .

وكان الشافعى إذا مرض يرسل بعض تلاميذه إليها يسألها أن تدعو له بالشفاء ، فتدعو فيستجيب الله ـ عز وجل ـ ويشفى ببركة دعائها ، حتى كان فى مرضه الأخير أرسل إليها كعادته ، فدعت قائلة : أحسن الله لقاءه ، وفى رواية : متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم .

فلما عاد تلميذه الذى أرسله ، سأله الشافعى : ماذا قالت فى دعائها ؟ فأجابه بما قالت ، ففهم أنها نعت إليه نفسه ، وأنه سيلقى الله فى مرضه هذا ، فأوصى بأن تصلى عليه حين يموت .

وحين بلغها وفاته رثته قائلة : كان رحمه الله يحسن الوضوء . وليس هذا رثاء هيِّناً أو قليلا . . ولكنه رثاء عظيم ، فإن إحسان الوضوء يتوقف عليه كل شيء بعده ، ومتى أتقن الإنسان الأساس كان البناء قويا متينا .

ونفذت السيدة نفيسة وصية الإمام الشافعى بالصلاة عليه .

---

(١٣٦) أهل البيت فى مصر لعبدالحفيظ فرغل نقلاً عن نفيسة العلم والمعرفة لصلاح عزام صـ٣٦

فانتظرت حتى فرغ الناس من الصلاة عليه فدخلت المسجد وصلت عليه . . .

وقيل : إنه حمل إلى منزلها فصلت عليه .

وفاتها :

حفرت السيدة نفيسة قبرها بيدها ، فى البيت الذى تنزل فيه ، والذى أصبح بعد ذلك مسجدها العامر المشرق .

وظلت تتلو فى قبرها القرآن حتى قرأته ما يقرب من مائتى مرة ، وقال بعضهم إنها قرأته أكثر من ألف مرة وصَلَّت فيه ما لا يحصى من الركعات . .

وكانت دائبة الصيام ، وحين دنت وفاتها كانت صائمة ، فظلت تقرأ القرآن كعادتها . . . ويقال : إنها بدأت فى تلاوة سورة الأنعام فحين وصلت إلى قوله ـ تعالى :

« لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » .

فاضت روحها الطاهرة عند بارئها ، وكان ذلك علامة حسن الختام .

وحين اشتد بها المرض طلب منها المحيطون بها أن تفطر رحمة بها ، فقالت : واعجبا لكم ، لى ثلاثون سنة أسأل الله أن يقبضنى إليه وأنا صائمة ، فإذا لاحت الفرصة أفطر ؟ معاذ الله . .

وبلغ نبأ وفاتها كل مكان ، فتوافد الناس ، واجتمع خلق لا يحصى وأقاموا حول منزلها ليلة وفاتها ، والبكاء والترحم والحزن يعم الناس جميعا .

وجاء زوجها المؤتمن وقرر أن يحملها إلى المدينة لتدفن هناك .

واشتد احتجاج الناس وضجيجهم ورجاؤهم ، فيسكت إسحاق المؤتمن

ويتراجع عن إصراره ، بعد أن رأى النبى - ﷺ - فى منامه يأمره بدفنها فى مصر ، قال المؤتمن - حين سئل عن تراجعه بعد إصراره - رأيت رسول الله - ﷺ - يقول لى : « يا إسحاق لا تعارض الناس فى شأن دفن نفيسة فإن الرحمة تنزل فى أى مكان .. »

كراماتها :

ويحكى عن كرامات السيدة نفيسة الكثير ، وليس ذلك بمستغرب عليها فهى البارة سليلة الأبرار ، وهى من الأولياء الذين يقول الله فى حقهم :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١٣٧)

وبشرى الدنيا هى الكرامات والقبول وحسن الثناء وإجابة الدعاء . وليس بكثير على من كان مثل السيدة نفيسة فى صلتها القوية بالله وفى اجتهادها وإخلاصها فى العبادة أن تدعو الله فيستجاب لها ، أو يفيض عليها من إكراماته ما هى جديرة به .

والكرامات يدور حولها نقاش كثير ... ولا يعترض عليها إلا من جعل العقل كل شىء وليس الأمر كذلك ...

وحسبنا من كراماتها - إلى جانب ما قدمه الرواة من كرامات كثيرة لها - تلك الكرامة الكبرى التى تتجلى فى سيرتها العطرة وتاريخها المشرق ، وفى

---

(١٣٧) يونس ٦٢ : ٦٤

ذلك الإحساس الكريم الذى يحس به الزائر لمسجدها العامر ، ويلمس النور والأمان الذى ينساب إلى داخله فى تغلغل عجيب ، وفى تلك الراحة الجميلة التى تشمل قلبه وتمس روحه ، فلا يعود من زيارة مسجدها إلا وقد تخفف من همومه وآلامه وأحزانه ، وكأن شكواه التى كان يشكو منها قد مستها يد ساحرة عجيبة ذهبت بها وأحلت محلها السكينة والاطمئنان . .

وإنه لمن أعظم الكرامات لها أن يدعو الداعى فى رحابها الطاهر فيستجيب الله له فيفرج ضيقه ويقضى حاجته . .

شذرات من أقوالها :

وللسيدة نفيسة مأثورات عظيمة من الحكم والأشعار ، وهى صادرة من قلب عامر بالمعرفة والمشاهدة .

من ذلك قولها : الصبر يلازم المؤمن بقدر ما فى قلبه من إيمان ، وحسب الصابر أن الله معه .

● على المؤمن أن يستبشر بالمشاق التى تعترضه فإنها سبيل لرفع درجته عند الله ، وقد جعل الأجر على قدر المشقة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

● حذار من الغرور فلقد كان رسول الله - ﷺ - حين تحفه الصحابة بألوان من التعظيم والتكريم يسجد على تراب الأرض . .

● إن الجهاد فى طلب الرزق عبادة يدخر أجرها ليوم الحساب .

● لا يكمل حب المسلم لرسول الله - ﷺ - إلا بمتابعته فى جميع أعماله وأقواله .

ومن شعرها قولها حين شعرت بدنو أجلها :

اصـــرفوا عنى طبيبـــى ودعـــون وحبيبـــى
لا أبـــالى بفـــوات حيـــث قـــد صـــار نصيبـــى
ليـــس مـــن لام بعـــزل عنـــه فيـــه بمصـيـب
جســـدى راض بسقمـــى وجفـــون بنحيبـــى .[١٣٨]

قال المقريزى فى خططه : وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء .. وهى أربعة مواضع فى مصر يرجى من الله أن يكونوا بهذه المثابة : ● سجن نبى الله يوسف عليه السلام ..

● ومسجد موسى ـ عليه السلام ـ بطُرا . . . ومشهد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ . . ● والمخدع الذى على يسار المصلى فى قبلة مسجد الأقدام بالقرافة .

فهذه المواضع لم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون إلى أحدها ، فيدعون الله ـ تعالى ـ فيستجيب لهم .

ولا يعرف من هذه الاماكن الأربعة الآن إلا مسجد السيدة نفيسة . . . ولذلك نراه مقصد الزوار وأصحاب الحاجات .. ومن أجل هذا ازداد الناس عليه إقبالا ، وهم ما يزالون على الأيام يزدادون ويكثرون ..

ويذكر السخاوى فى تحفة الأحباب : إن سوق المراغة الذى ذكر بعض الناس أن السيدة نفيسة دفنت فيه لا اعتماد عليه ، وأن القبر الذى يوجد باسم السيدة نفيسة هناك هو لعمتها نفيسة بنت زيد ـ وقد أشرنا إلى ذلك ـ

---

(١٣٨) السيدة نفيسة ـ توفيق أبوعلم صـ١٨٦ ـ دار المعارف .

ويذكر السخاوى أيضا : أنه يوجد بقرافة مصر عدة مقابر للأشراف . . . منها قبر يحيى بن الحسن الأنور وهو أخو السيدة نفيسة ـ قال القرشى : وليس بمصر من إخوتها سواه ، ولا عقب له ـ يعنى من الذكور[١٣٩] .

ويقول أيضا : ويوجد مشهد مشهور باسم زينب بنت يحيى المتوج ابن حسن الأنور إذا دخله الزائر وجد أنسا عظيما . . . ويتحدث عنه فيقول : كان أهل مصر يأتون لزيارتها ، وكان الظاهر الفاطمى يأتى إلى زيارتها ماشيا .

ويحدد السخاوى مكان القبر الذى دفنت فيه بأنه المجاور لقبر عمرو بن العاص وليس به خلاف .

قال : وكان النيل قد توقف فى بعض السنين فجاء أهل مصر إلى هذا المشهد يستسقون فجرى النيل بإذن الله تعالى ، وكانت وفاتها سنة أربعين ومائتين ـ رضى الله عنها ـ[١٤٠]

ويوجد فى مواجهة السيدة سكينة مشهد ملحق به مسجد مكتوب عليه : مسجد السيد محمد الأنور ، وهو أخو الإمام حسن الأنور ـ وعم السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ .

---

(١٣٩) تحفة الأحباب صـ٢٣٨

(١٤٠) المرجع السابق صـ٢٢٤

الإمام الشافعى

ـ رضى الله عنه ـ

ومادمنا قد تحدثنا عن السيدة نفيسة فلنتحدث عن الإمام الشافعى وهو من هذه السلالة الطيبة المباركة . .

فهو أبو عبد الله بن محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب .

وأمه هى فاطمة بنت عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب . .
وقد ولد الشافعى فى غزة حوالى سنة خمسين ومائة هجرية ، ثم حمل إلى مكة وعمره سنتان .

ونشأ يتيما فى حجر أمه فعكفت على تربيته وتعليمه .
كان أستاذه فى مكة مسلم بن خالد الزنجى .
وفى المدينة مالك بن أنس ـ رضى الله عنهما ـ
وكانت وصية الإمام مالك له حين رآه وقد توسم فيه النجابة والشرف والصلاح : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصى فإنه سيكون لك شأن فإن الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية . . . . قال الشافعى مجيبا له : فقلت : نعم وكرامة .

ثم استأنف مالك كلامه . فقال : إذا كان الغد نقرأ لك الموطأ .
فقلت : إنى أقرؤه من الحفظ ، فلما ابتدأت بالقراءة عليه أعجبه حسن قراءتى ، فكان يقول : يا فتى زد ، حتى قرأته فى أيام . . وظل الشافعى مقيما فى المدينة حتى توفى الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ وقد تميز الشافعى بالذكاء الخارق وسرعة الحفظ .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ وهو ابن عشر سنين . . . وحين لقى مالكا فى المدينة كانت سنه ثلاث عشرة سنة .

وبعد وفاة الإمام مالك توجه إلى اليمن ، وكان عمه فيها يتولى القضاء ، ثم انتقل إلى العراق ، وجد فى تحصيل العلم ، والتقى فيها بكثير من العلماء الذين شهدوا له بالنبوغ والتفوق وناظرهم وناظروه . وقد تميز الشافعى إلى جانب ذكائه المتوقد بالعقلية العلمية الدقيقة المنظمة . .

وكان ذا ثقافة واسعة ومعرفة تامة باللغة العربية وأسرارها وقد استجاب الله فيه دعوة رسول - ﷺ - الذى قال : « اللهم اهد قريشا فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما »

وجاء الشافعى إلى مصر ، فأحبه أهلها حبا شديدا ، وأحاط به العلماء من كل جانب ، لما امتاز به من خلق رفيع وعلم غزير وتواضع جم ، ومن أقواله المأثورة :

وددت لو أنى إذا ناظرت أحدا أن يظهر الله - تعالى - الحق على يديه . . . . كان الإمام الشافعى تقيا ورعا . وبتقواه وورعه نجاه الله من مآزق كثيرة فى مقدمتها نجاته من القتل على يد الرشيد . . فقد نما إلى علم الرشيد أن الشافعى يظاهر بلسانه بعض العلويين ، فقبض عليه واقتيد إلى المحاكمة مع بعض الأشخاص ، ولما دوره قال للرشيد : يا أمير المؤمنين ، لست بطالبى ولا علوى وإنما أنا رجل من بنى المطلب بن عبد مناف - أى أنا ابن عمك - ولى مع ذلك حظ من العلم والفقه .

وقد التقى الشافعى بالسيدة نفيسة رضى الله عنها حين قدومه إلى مصر ، وكان يطلب دعاءها إذا مرض - وما أكثر مرضه ، كأنه كان يؤدى ضريبة

النبوغ والذكاء ـ أو بصورة أصح ضريبة الإيمان ، فما من مؤمن إلا هو مبتلى ـ تحقيقا للأثر الخالد : من آمن بالله فكأنما قال له امتحنى . والقرآن الكريم يصدق هذا الأثر حيث يقول : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » . قال الشعرانى عن الشافعى ـ كان الشافعى ـ رضى الله عنه ـ كثير الأسقام .

وكانت الدنيا هينة فى نظره . قيل إنه قدم من اليمن وكان معه عشرة آلاف دينار فما دخل مكة حتى فرقها . قال المزنى عنه : ما رأيت أكرم منه ، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره فى مسألة حتى أتيت باب داره ، فأتاه غلام بكيس ، فقال له : سيدى يقرئك السلام ويقول لك : خذ هذا الكيس ، فأخذه منه فأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله ـ ولدت امرأتى الساعة وليس عندى شىء فدفع له الكيس ، وصعد وليس معه شىء .

وتوفى الشافعى رضى الله عنه سنة أربع ومائتين وله من العمر أربع وخمسون سنة ودفن بالقرافة فى القبة المشهورة باسمه .

علاقة الشافعى بالفقهاء

المعروف أن الشافعى صاحب مذهب معروف باسمه ، وهو مذهب عملاق يتبعه الملايين فى شتى بقاع الأرض ، ومذهبه يقوم على الكتاب والسنة والإجماع والقياس . .

كما أنه مزيج من فقه أصحاب الرأى وهم أصحاب أبى حنيفة ، وأصحاب الحديث وهم أصحاب مالك .

وإذا تتبعنا مذهبه نجد سهولته ويسره وقرب تناوله .

وهو يعمد أولا إلى الكتاب ، فإن لم يجد بغيته فالسنة ، ويقول إذا صح الحديث فهو مذهبى ، ولا يلجأ إلى الرأى مادام الحديث موجوداً .

ويلجأ إلى الإجماع وإلى القياس عندما لا يجد النص القرآنى أو السنة . . وقد التقى بكثير من العلماء وناظروه . وحين جاء إلى مصر التف حوله العلماء وبخاصة من كان على مذهب الإمام مالك منهم ، وربما أوغر ذلك صدر بعض الذين تضيق عقولهم عن الانتفاع بآراء غيرهم ، وهذا هو التعصب الممقوت .

لقد كانت رحلة الشافعى إلى مصر وإقامته فيها محفوفة بالمتاعب لكثرة أنصار الإمام مالك الذين كانوا يشغبون عليه ، ثم مالبثوا أن عرفوا قدره وأقبلوا عليه يسمعون منه .

ولكن أصحاب الرأى معرضون دائما لاعتداء الحمقى فى كل زمان ومكان ، فقد كان رجل من أنصار الإمام مالك اسمه فتيان يناظر الشافعى فى بعض المسائل الفقهية ، فأفحمه الشافعى ، فلم يعجبه ذلك فشتم الشافعى ، الذى لم يقابل فتيان إلا بالتجاهل .

ولكن والى مصر آنذاك السرى البلخى علم بما جرى فأوقع بفتيان عقوبة وشهر به . . . . وجعل مناديا ينادى . هذا جزاء من سب آل رسول الله ـ ﷺ ـ

ثم إن هناك قوما من السفهاء تعصبوا لفتيان ، وتوجهوا إلى حلقة الشافعى حتى إذا ما انصرف التلاميذ عنه هجموا عليه وضربوه . فحمل إلى منزله . . وعفا عنهم ، ولم يطلب الانتقام من هؤلاء الذين آذوه . . . . وظلت حياة الشافعى بعد ذلك بين الصحة والمرض حتى توفى . . وكانت

آخر كلماته هي :

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يُقدَرْ بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما ؟

وللشافعي مؤلفات عظيمة أكثر من أن تذكر ، وقد أورد له ياقوت الحموي أسماء مائة وسبعة وأربعين كتابا .. ويكفي أن يكون كتاب الأم أحد مؤلفاته .(١٤١)

كان الإمام أحمد بن حنبل يكثر الترحم على الإمام الشافعي ، فسأله ابنه قائلا : يا أبي أراك تكثر الترحم على الشافعي فأي رجل كان ؟

فقال الإمام أحمد : يابني كان كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ـ فهل عن هذين عوض ؟(١٤٢)

لقد كان الشافعي جوهرة في عقد أهل البيت ، ودرة في جبين الدهر ، وكان حجة في كل شيء حتى في الشعر وروايته ونظمه ... وهو الذي يقول :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد ..

رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١٤١) إسلام بلا مذاهب د مصطفى الشكعة صـ٤٤٨

(١٤٢) وفيات الأعيان لابن خلكان .

هذا ومازال حى الشافعى العامر به غاصا بالزائرين والوافدين .

وقريب منه الإمام « الليث بن سعد » العالم المشهور وأحد أصحاب المذاهب المعدودة . . . . وقد امتدحه أحد الشعراء بعد وفاته بقوله :

إذا رمت المكارم من كريم   فيمم من بنى للمجد بيتا
فذاك الليث عتده كريم   ويكرم ضيفه حيا وميتا

ويروى فى سبب إنشاد ذلك أن هذا الشاعر مر على ضريحه زائرا فوجد من يكرمه فنسب الكرم إلى صاحب الضريح ، ولوجود الليث والشافعى فى بقعة واحدة أطلق على حيهما اسم الإمامين .

وقد ولد الليث سنة أربع وتسعين من الهجرة فى شعبان . قال ابن خلكان : إنه من قلقشنده قرية من قرى مصر . وسمع من مالك ـ وولى قضاء مصر ، وقد أهدى إليه مالك مرة وعاء فيه تمر فأعاده إليه مملوءاً ذهبا : توفى رضى الله عنه يوم الخميس منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى . قال بعض أصحابه لما دفن الليث بن سعد سمعنا صوتا يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم   ومضى العلم قريبا وقبر

قال : فالتفتنا فلم نر أحدا[١٤٣] .

---

(١٤٣) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ ص١٩٩

ومن سلالة أهل البيت

أحمد البدوى (رضى الله عنه)

ومن هذه السلالة الطاهرة شيخ العرب أحمد البدوى - الذى ينتسب إلى الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه - ونسبه كما هو وارد فى كتاب « حياة السيد البدوى » للسيد أحمد طعيمة مايلى : هو السيد أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل - ينتهى نسبه إلى جعفر الصادق رضى الله عنه .

انتقلت أسرته إلى المغرب منذ عهد الحجاج وانتقل به أبوه من المغرب إلى مكة المشرفة وعمره سبع سنوات ، وكان ذلك فى سنة ثلاث وستمائة وعلى ذلك فيكون مولده حوالى سنة ست وتسعين وخمسمائة ثم توفى والده سنة سبع وعشرين وستمائة ، ودفن بباب المعلاة وقبره هناك ظاهر يزار فى زاوية . وكان ذلك قبل تسوية القبور -

حفظ القرآن صغيرا وتعلم الفروسية وأجادها . . . يحكى أخوه عنه أنه لم يكن فى مكة أشجع منه وأطلقوا عليه لقب العطاب لذلك .

ثم اعترته حالة شغلته بالتصوف وصرفته عن غيره ، فأقبل على العبادة وشغل بتعاليم زعيمين من زعماء الصوفية - هما أحمد الرفاعى وعبد القادر الجيلانى - رضى الله عنهما - وكانا يقيمان بالعراق فرحل إليهما وكان بصحبته أخوه ، وأقام الأخوان أياما بقرية « أم عبيدة » بالعراق مقر الرفاعى ، ثم عادا معا إلى الحجاز فى سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وقد أثرت هذه الرحلة فيه تأثيرا شديدا فقد ازدادت حالة الوله التى كانت تعتريه وعظم ميله إلى العبادة والزهد ، فاتجه تفكيره إلى الارتحال إلى جهة

أخرى فاختار مصر .. لأنه « رأى أن مصر خير مستقر له . وكان قد مر بها في صباه واتخذ له فيها رفاقا كان له معهم شأن أى شأن .(١٤٤) .

وفى الحقيقة كانت رحلته إلى مصر نتيجة رؤيا كان قد رآها فى منامه ثلاث مرات ، وكان يؤمر فى أثنائها بالتوجه إلى طندتا (طنطا الآن) لأنه سيربى هناك رجالا وأبطالا .

وكان لهذه الرؤيا قيمة تاريخية لأنه على أثرها سافر إلى مصر وكانت شهرته قد سبقته إلى هناك . وكان رحيله إليها فى أيام الملك العادل بن الكامل الأيوبى الذى عزل سنة سبع وثلاثين وستمائة وتولى بعده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل .

عاش البدوى فى طنطا سنين متوالية ، وكان الوله قد زاد عليه فلزم السطح ، وكان يديم النظر إلى السماء حتى تحمر عيناه وتصبحا كالجمرتين ، وكان يرفع صوته فى بعض الأحيان ، كما كان يلزم الصمت الطويل فى بعض الأحيان ، وكان يمتنع عن الطعام والشراب أياما طويلة متواصلة .

وذاع صيت البدوى فى طنطا فقصده كثير من الناس ومن بينهم علماء أجلاء ، وشيوخ مبجلون ، كما أكرمه الحكام ومن بينهم الظاهر بيبرس الذى يحكى عنه أنه كان يقبل يديه ويرسل الوفود لزيارته فى طنطا .

ولم يعزل البدوى نفسه فى أثناء مقامه بطنطا عن الأحداث الهامة الجارية حوله فى البلاد ، فقد اشترك هو وأتباعه فى المعارك التى تم فيها أسر قائد الفرنسيين وملكهم لويس التاسع .. وهزم فيها الصليبيون شر هزيمة ، وقد

---

(١٤٤) حياة السيد البدوى ص١٨

مات نجم الدين فى أثناء المعركة وتولت زوجته شجر الدر قيادة المعركة بنجاح .

ولم يكن البدوى وحده من الصوفية فى المعركة . . فقد حدث الرواة أن الشاذلى وكان معاصرا للبدوى لم يمنعه كف بصره عن الاشتراك فى الجهاد ، كما اشترك غيره فيه كالعز بن عبد السلام والدسوقى وغيرهم .

ويعد البدوى شيخا لطريقة كبيرة من طرق الصوفية لها اتجاهها وسلوكها ـ وهى الطريقة الاحمدية ـ كما أن له مؤلفات علمية وصوفية يتصل بعضها بالفقه الشافعى .

كان البدوى عالما عاملا مؤثرا ، بلغ حدا كبيرا فى التصوف وتبوأ عرشه . فقد أصبح أحد أقطابه الذين يشار إليهم بالبنان ، وكانت له آراؤه الصوفية التى يعتد بها ـ

ومن أقواله المأثورة : أحسنكم أخلاقا أكثركم إيمانا بالله ـ اذكروا الله بقلب حاضر وإياكم والبعد عن طاعة الله فإنه يورث القسوة فى القلب .

ولم يعقب السيد البدوى لأنه لم يتزوج ، فقد كان فى شغل شاغل عن الزواج ، ويكفى أنه ترك من بعده أجيالا اهتدت بهديه وسارت على نهجه وانتسبوا إلى طريقه ، وهذا هو الميراث الحقيقى . . . . ولكنه على الرغم من عدم إقباله على الزواج ، فانه لم يدع إلى هذا المذهب ، فقد تزوج مريدوه وأتباعه وأنجبوا . . .

وكان أبر تلاميذه المريدين « عبد العال » المدفون بجواره وهو الذى تولى أمر طريقته بعده ـ وهو مصرى من قرية « فيشا المنارة » المجاورة لطنطا .

وقد عاش البدوى للناس ولمريديه . . لم يفكر فى نفسه ، ولذلك اكتسب

شعبية نادرة لايكاد يظفر بها أحد ، وكان على اتصال وثيق ببارئه غلبت عليه حالة التصوف والوله والعبادة . حتى حانت وفاته فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، ودفن فى المكان الذى كان يقيم ويتعبد فيه . . والذى أصبح بعد ذلك مسجدا من أعظم المساجد فى مصر .

وكان وجوده فى طنطا بركة عليها فقد اشتهرت فى الآفاق وعظم شأنها ، ، وفى كل عام تغص عدة مرات بالزائرين لمولد « البدوى » الذى يقام فيها ، فلا يكاد يوجد موضع لقدم إنسان . ويعود الناس من هذه الزيارة وقد امتلأت صدورهم رحمة ، وقلوبهم أنسا ، ونفوسهم إيمانا . . وأرواحهم لذة ـ رضى الله عنه ـ

ومن سلالة أهل البيت :

السلطان أبو العلا ـ رضى الله عنه ـ

من السلالة الطاهرة السلطان أبو العلا الشهير بالحسينى نسبة إلى الأشراف الحسينيين ، وضريحه فى مسجده المشهور باسمه فى ساحل بولاق . قال عنه الشعرانى والشبلنجى ـ فى نور الأبصار ـ إنه توفى سنة نيف وتسعين وثمانمائة ، ويحكيان عنه أنه كان من أصحاب الكرامات . . . قيل إنه مكث أربعين سنة فى خلوة لايختلط بالناس متفرغا لعبادة الله ـ وأهل مصر يكثرون من زيارته وقد كتب على باب مسجده هذا البيتان

قف على الباب خاشعا صادق الظن والتجى
فهو باب مجرب لقضاء الحوائج

وقد ترجم للسلطان أبى العلاء ترجمة موجزة ـ فضيلة الشيخ سليمان

عبد الرحمن أبو اليسر - إمام مسجده وخطيبه - رأينا أن ننقلها لفائدتها .

هو ولى الله العارف بالله سلالة آل بيت النبى - صلى الله عليه وسلم - الحسين أبو على بن الحسن الأكبر الملقب بالأنور بن السيد على البدرى بن السيد ابراهيم بن السيد محمد بن أبى بكر بن السيد إسماعيل بن السيد عمر بن السيد موسى الأشهب بن السيد يحيى بن السيد عيسى بن السيد محمد التقى بن السيد حسن العسكرى بن السيد على الهادى بن الإمام محمد الجواد بن الإمام على الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على - كرم الله وجهه - وهو من السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، ثم نزح من مكة إلى القاهرة ، ونزل بحى بولاق واستقر بخلوة مكان مسجده الحالى ، وتوفى سنة ٨٩٠ هجرية الموافق ١٣٩٠ م بعد أن قضى حياة امتدت مائة وعشرين عاما قطعها فى طاعة ربه وعبادته : مكث منها أربعين سنة فى خلوته التى نزل بها بحى بولاق .

اعتزل الناس ليتفرغ لعبادة ربه حتى منَّ الله عليه بدرجة الولاية فرفعه بذلك مكانة عالية ، وجعله لسان صدق فى الأولين والآخرين . ولما توفى دفن بمسجده . . . . فهو من العباد الزاهدين والزهاد الناسكين . وصل فى الولاية منزلة عالية ومكانة سامية . خصه الله بالكثير من الكرامات وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ومسجده كعبة القاصدين ومنار السالكين، يؤمه الكثير من المصلين والزائرين من أنحاء

البلاد وله شهرة فى العالم الاسلامى .

ويقام مولده السنوى فى شهر ربيع الثانى من كل عام ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وفى الشارع المواجه لضريح السلطان أبى العلا ـ وهو شارع بولاق الجديد ـ يوجد قرب نهايته إلى اليسار ضريح متواضع مكتوب عليه : هنا ضريح عبد الواحد بن الإمام الحسين ، ولعله لأحد من أولاد ذريته . وفى نهايته إلى اليمين يوجد ضريح فى داخل أحد المنازل مكتوب عليه ضريح سيدى محمد اليمانى نجل سيدنا الحسين ، ولعله أيضا لأحد ذريته المنسوبين إليه ، فإنه على التحقيق لم يبق من أولاد الإمام الحسين رضى الله عنه ـ بعده إلا الإمام على زين العابدين السابق التحدث عنه . والله أعلم .

هذا والسلطان أبو العلا ـ كما تقدم ـ ابن السلطان حسن الأكبر الموجود مسجده فى الشارع المعروف باسمه فى عابدين ـ وقد أخبرنا بذلك شيخنا السيد محمد على منصور الأقدمى ـ رضى الله عنه ـ وكما ثبت فى سلسلة نسبه المذكورة آنفا .

ومن سلالة أهل البيت

إبراهيم الدسوقى
(رضى الله عنه)

ونسبه الشريف كما جاء فى مجلة منبر الإسلام (ربيع الأول عدد ١٣٨٧) : إبراهيم بن عبدالعزيز بن على بن محمد بن زين العابدين بن أبى القاسم بن جعفر بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم .

وأمه من أسرة عريقة ينتمى إليها أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه .

وقد ولد فى دسوق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وحين بلغ الخامسة من عمره أقبل على حفظ القرآن الكريم وفنون الحديث ، وأقبل كذلك على دراسة الفقه وأصوله على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه .

واصطحبه أخواه موسى والعتريس إلى الأزهر فبرز فى كل العلوم التى درسها هناك حتى صار عالماً جليلاً ، ثم عاد إلى دسوق ليقيم بها عابداً ومعلماً ، حتى أصبح من كبار المربين ، وتلقى على يديه كثير من الطلاب والوافدين أصول طريقة وعلوم الشريعة التى كان يتقنها ، وتآليفه المختلفة فى الفقه ، والتوحيد ، والتفسير . . . وكانت هذه التآليف بخطه وخط أصحابه ، ولكنها الآن ـ بكل أسف ـ غير موجودة بمصر ، وإنما هى موجودة فى مكتبات ألمانيا التى نقلها إليها المستشرقون .

كان الدسوقى عالماً لايبارى . . . فقد أفاض الله عليه ـ ببركة إخلاصه وزهده وورعه ـ علماً ونوراً يكشف به دقائق الأمور وخفايا المسائل ، وكان

لتفقهه فى الدين أثر كبير فى زيادة إيمانه وإكثاره من العبادة وإدراكه كثيراً من الأسرار التى تدور عليها العبادات والشرائع ، وقد ظل متمسكاً بالشريعة التى هى باب الحقيقة ، لايفرط فيها . . . وكان يقول : إذا رأيتم من يطير فى الهواء وهو مخالف للشريعة فارموه بالحجارة وانبذوه .

وكان سلوكه قدوة لأبنائه ومريديه يراقب الله فى سره وعلنه ، وكان مخلصاً فى عمله ، متواضعاً عفيفاً بعيداً عن كل طمع وجشع ، مثالاً للعالم العامل بعلمه الجدير بشرف الانتساب إلى جده الأعلى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

تولى مشيخة الإسلام فى عصره ، فقبلها مدة ، وما عرضت عليه إلا لأنه قد بلغ الغاية فى الكمال والرفعة ، ثم تركها من نفسه زاهداً فى ذلك المنصب الخطير الذى خشى أن يصرفه عن عبادة ربه ، ولم يقبل فى أثناء توليه أن يتقاضى درهماً واحداً ، وكان كل ما يأتيه من وراء هذا المنصب الخطير يتنازل عنه للفقراء والمساكين .

ولم يجد الحاج الظاهر بيبرس عليه فى البقاء فى منصبه شيئاً .

كان الدسوقى معاصراً للبدوى رضى الله عنهما ، وإلى كلّ منهما انتهت زعامة الصوفية ـ كل منهما كان يمثل اتجاها معيناً فى التصوف ـ ولكنهما ينتهيان إلى غاية واحدة ، وقد التقيا معاً سنة ثمان وخمسين وستمائة ، فكان لهذا اللقاء ثمرة مباركة ملأت رحاب الأرض نوراً وعلماً ، وقد اشتركا معاً فى صد غارات التتار والصليبيين ، وكان الدسوقى يحض أتباعه قائلاً : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)

فأوفوا بعهد الله يوف إليكم ، وقاتلوا أعداء الدين يدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار .

قال العدوى فى مشارق الأنوار ـ نقلاً عن الشعرانى فى طبقاته ـ كان الدسوقى من صدور المقربين ، وكان صاحب كرامات ظاهرة ، ومقامات فاخرة ، وسرائر طاهرة وبصائر باهرة ، وإشارات نورانية ونفحات روحانية .

ومن أقواله التى يرويها الكاتب ويوصى بها أولاده : ياأولادى اطلبوا العلم ولا تقفوا ولا تسأموا ، فإن الله تعالى قال لسيد المرسلين « وقل رب زدنى علماً » . . . فكيف بنا ونحن مساكين فى أضعف حال وآخر زمان ؟

وكان يدعوهم إلى العمل فيقول : عليكم بالأعمال الصالحة فكأنكم بالصيحة ، فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى .

وأوتى الدسوقى قلباً رقيقاً فكان يقول : من لم يرفق بالناس فهو بعيد عن الله بعيد عن الجنة مبغض عند الله والناس ، ومن لم يكن عنده شفقة على خلق الله لايرقى إلى مارقى إليه أهل الله تعالى .

توفى الدسوقى رضى الله تعالى عنه سنة ست وسبعين وستمائة وعمره ثلاث وأربعون سنة . وعلى الرغم من هذا العمر القصير إلا أنه كان عامراً بجلائل الأعمال ، وترك من خلفه طريقاً صوفياً زاخراً ، وتلاميذ يسيرون على دربه الحافل بالخيرات ، ومازال أولاده يرددون نشيده الذى تحدث فيه بما وصل إليه من مكانة مرموقة فى حظيرة القدس حسده عليها الكثيرون .

ودفن رضى الله عنه فى حجرته التى اتخذها لنفسه ، والتى أقام فيها عابداً متهجداً وعالماً مشرقاً . رضى الله عنه وأرضاه .

وقد بارك الله فى أسرة الدسوقى ، فأخوه « العتريس » له ضريح مشهور يزار داخل مسجد السيدة زينب . . . . وكان ملازماً للمسجد يقرأ ويفيد ويذكر ويتعبد ، وقد نال حظوة لدى الناس ، وتوفى فى آخر القرن السابع الهجرى .

كما دفن معه ـ بعده بخمسة قرون تقريباً ـ الإمام العيدروسى الذى ينتمى إلى الأسرة الحسينية . . وكان عالماً فاضلاً تقياً قدم إلى مصر ونزل بها وأقام فيها وتعلم وعلم وألف . . . وحين توفى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف ـ دفن بضريح العتريس . فنعما بجوار السيدة الشريفة الطاهرة زينب بنت على رضى الله عنهم أجمعين .

أبوالحسن الشاذلى

ومن سلالة أهل البيت الذين انتفع بهم الناس وأناروا الطريق الصحيح أمام أهل الطاعة الإمام أبوالحسن الشاذلى . .

هو أبوالحسن على بن عبدالله بن عبدالجبار بن تميم بم هرمز بن حاتم - ينتهى نسبه إلى الإمام الحسين بن على - رضى الله عنه -

ولد - رضى الله عنه - فى مدينة غمارة على مقربة من سبتة بالمغرب حوالى سنة ٥٩٣هـ (١١٩٦) م

ويحكى بعض الرواة أنه ولد فى شاذلة ، التى ينتسب إليها - وهى موضع بجبل زعفران فى بلاد تونس .

ومنذ أن اشتد عوده أقبل على العلم بشغف بالغ ، فحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة ، وتعلم علوم الفقه والحديث والتفسير وتبحر فيها حتى أصبح حجة ، وكان كثير القراءة لما يقع تحت يده من كتب نافعة ، لايصده عن متابعة القراءة شيء ، وكان نظره يضعف مع كثرة القراءة ، فلم يمنعه ضعف نظره عن متابعة العلم حتى كان لذلك أثره فى فقد نظره فيما بعد ، وهذا يدل على كلفه الشديد بالقراءة والاطلاع والتعلم ، وحتى بعد أن فقد بصره ظل يتابع العلم سماعاً حتى برع فى العلوم الشرعية وأخذ يناظر العلماء والفقهاء فيها .

وكان لفقده نظره أثر كبير فى تقوية ميوله الفطرية نحو المجاهدة ، وسلوك طريق التصوف حتى إن بعض المؤرخين يقول : إنه انقطع نهائيا بعد هذه الحادثة .

ولكن دائرة معارف البستانى يفهم منها أنه ظل يطلب العلوم الشرعية

ويناظر فيها ولم يسلك طريق التصوف إلا بعد فترة من إصابته بالعمى .

والذى لاشك فيه أنه أصاب حظاً كبيراً فى العلم حتى تتلمذ على يده كثير من التلاميذ ، وحضر مجالسه كثير من العلماء والفقهاء وشهدوا له بالسبق والتقدم ، وكانوا يمشون بين يديه حين حضر إلى مصر وجلس للتلقين والتهذيب والهداية .

وجد الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ فى طريق الطاعة واجتهد فى تهذيب نفسه وصقلها ـ متخذاً من كبار مشايخ الصوفية فى عصره أساتذة له ، يسترشد بآرائهم ويعمل بنصائحهم وينهل من علمهم ، حتى صار بحراً زاخراً وعَلَماً من أعلام الهدى والرشاد والتقوى .

ولقد قام فى سبيل ذلك بكثير من الرحلات وتكبد كثيراً من المشقات ـ بحثاً عن المشايخ الأعلام ، فرحل إلى بغداد والتقى ـ كما يقول الدكتور ـ عبدالحليم محمود ـ بقمة الأولياء أبى الفتح الواسطى وغيره من شيوخ التصوف الأعلام ، ولكن ذلك لم يشف غليله ، فعاد إلى مسقط رأسه « غمارة » فالتقى بشيخ الشيوخ عبدالسلام بن مشيش الذى كان له أثر كبير فى حياته .

وكان طريقه فى العلم ـ العمل . . وذلك كان له أثره فى انطباعاته الروحية التى أثرت فى سلوكه وفى طريقته ـ مستلهماً ذلك من قوله ـ عليه الصلاة والسلام :« من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » . . . ويخلع عليه من مكارمه مايقر عينه وعين مريديه وسالكى طريقته من بعده .

وقد تتلمذ الشاذلى فى فاس على أصحاب الجنيد رضى الله عنه ، والجنيد من أئمة القوم وسادتهم وهو مقبول على جميع الألسنة ، وأصحابه من حوله

مشهورون بالعلم والتقوى . . . . وكان له تأثير عظيم فى أصحابه لصدق قوله وقوة وجدانه ، وصفاء روحه وإشراق قلبه ، وتقدمه فى سيره وجهاده . ولا غرابة فى ذلك فهو القائل :« باب كل علم نفيس بذل المجهود . . » . . . سئل عن العارف فقال : من لم يأسره لحظة ولا لفظة ـ وكان يقول :« الغفلة عن الله أشد من دخول النار . . . » . . . إلى غير ذلك من الأقوال الرائعة التى تشهد بصدقه وتقدمه ، والتى تركت أثرها فى أصحابه وتلاميذه .

ومن أصحاب الجنيد محمد بن على بن حرازم ـ الذى تتلمذ الشاذلى على يديه فترة ، ولكن شيخه الذى أثر فيه تأثيرا قوياً هو سيدى عبدالسلام بن مشيش . ولذلك اعترف بفضله وسار على نهجه وتخلق بوصاياه التى كان يوصيه بها .

وقد أوصاه شيخه ابن مشيش أن يذهب إلى الناحية المحيطة بتونس فى أفريقية كى يقوم هناك بدوره فى الهداية والإرشاد .

واستجاب الشاذلى وسار صوب الجهة التى أمره شيخه بها ، صوب شاذلة التى بزغ فيها نجمه ، ثم إلى تونس ، ثم إلى مصر بعد ذلك .

ولقى الشاذلى فى طريقه وفى كل مكان يحل به عنتاً كثيراً من حاسديه الذين نفسوا عليه مكانته وعلو منزلته ، حتى أحفظوا عليه قلوب أولياء الأمور ، ولم يسلم به مكان من ذلك حتى بعد أن استقر به المقام فى الإسكندرية .

قدومه إلى الاسكندرية

قدم الشاذلى إلى الاسكندرية ، وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب ، وانتفع الناس بحديثه وعلمه ، ولكن حسد الحاسدين كان

وراءه ، فقد وجه الحاقدون فى أثره إلى الاسكندرية من يحذر صاحبها من هذا الغريب الذى يريد أن يفسد الحكم على أصحابه .

ومن المؤلم أن يكون هذا الحاسد الحاقد عالماً من علماء ذلك الزمان هو « ابن البراء » القاضى ـ خشى على منصبه فى تونس أن يستولى عليه أبوالحسن الشاذلى ، فكاد له عند سلطان تونس حتى أوغر صدره عليه ، ولكن الله نجاه وحفظه من بطش السلطان ، بل أسلم زمام السلطان إليه بعد أن استيقن من براءة ساحته وسلامة طويته وصدق نيته ووجهته .

فلما توجه الشاذلى إلى الإسكندرية أرسل ابن البراء فى أثره من يوغر صدور حكام مصر ضده ، لعله ينال من الشيخ فى مصر مالم ينله فى تونس ، ولكن الله كان مع الشاذلى فنجاه من هذا الدس ورفع قدره فى مصر وأعلاه .

وأدى الشاذلى فريضة الحج من مصر وعاد إلى تونس ، ولكن صدر إليه الأمر بالتوجه إلى مصر مرة أخرى والإقامة فيها . يقول الشاذلى رضى الله عنه : رأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام ـ فقال لى : ياعلى انتقل إلى الديار المصرية تربى فيها أربعين صديقاً

وحط الشيخ رحاله فى الإسكندرية مرة أُخرى وعقد مجلسه للعلم ـ وقد توافد إليه الطلاب بل العلماء من كل فوج ، حتى قال عنه ابن دقيق العيد ـ وكان يحضر مجلسه ـ مارأيت أعرف بالله منه .

وكثر التفاف الناس حوله واتبعوا تعاليمه واهتدى بهديه الكثير الذى لايحصى عدداً ، وحرص على حضور مجالسه العلماءُ والفقهاءُ ، ثم تحول من الإسكندرية إلى القاهرة ، وأخذ يتنقل بينهما ، ويعقد مجالس العلم فيهما ،

حتى قالت دائرة معارف البستانى : حضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبدالسلام وابن دقيق العيد ، وعبدالعظيم المنذرى ، وابن الصلاح ، وابن عصفور . . .

وقال عنه أبوعبدالله الشاطبى : كنت أتردد على الشيخ كل ليلة أكثر من مرة ، وأسأل الله به فى جميع حوائجى فأجد القبول . والشاطبى من كبار العلماء فى وقته ومن أئمتهم .

واكتسب الشاذلى فى مصر شعبية رائعة تشهد له بالقبول والتقدم والسبق ، فقد كان مريدوه يحبونه حباً عظيماً . . ولم يقتصر هذا الحب على مريديه فقط . بل إن الناس جميعاً أجمعوا على هذا الحب ، وظهر ذلك جليا واضحاً فى استجابتهم له حين وقف يحرضهم على قتال الصليبيين ودفعهم عن البلاد حين مهاجمتهم لها فى أيام الملك الكامل ، وكان لأسلوبه العذب وكلامه المؤثر وقبوله فى نفوس الناس ـ صدى عميق فى إلهاب حماسهم وتعبئة جهودهم وإثارة حميتهم وانتصارهم على أعدائهم .

طريقته :

ومن وصايا ابن مشيش للشاذلى ـ حين قال له أوصنى :

« الله الله ، والناس تنزه لسانك عن ذكرهم ، وتنزه قلبك عن التماثيل من قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح على الله ، وأد الفرائض لله ، وقد تمت ولاية الله عليك ، ولا تذكرهم إلا لواجب حق الله عليك ، وقد تم ورعك . . . وقل : اللهم ارحمنى من ذكرهم ، ومن العوارض من قبلهم ، ونجنى من شرهم ، وأغنى على خيرهم ، وتولنى بالخصوصية ، إنك على كل شىء قدير »

« الزم الطهارة من الشرك . . كلما أحدثت تطهرت من دنس حب الدنيا ، وكلما ملت إلى الشهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى ـ عليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة » .

« انظر ببصر الإيمان تجد الله فى كل شىء ومع كل شىء ، وقبل كل شىء وبعد كل شىء ، وعند كل شىء وفوق كل شىء وتحت كل شىء ، وقريباً من كل شىء ومحيطاً بكل شىء ـ بقرب هو وصفه وبإحاطة هى نعته . .

وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو ـ كان الله ولا شىءَ معه وهو الآن على ماعليه كان »

ومن وصاياه أيضاً :

شيئان قلما ينفع معهما كثرة الحسنة : السخط بقضاء الله والظلم لعباد الله ، وحسنتان قلما تضر معهما كثرة السيئة : الرضا بقضاء الله ، والصفح عن عباد الله .

فى ضوء هذه التعاليم التى تلقاها الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ عن شيخه ابن مشيش ـ سار فى طريقه إلى الله داعياً إلى الخير غير متعصب لمذهب ، فقد كان يسمح لمريديه أن يذهبوا إلى أى شيخ آخر ليأخذوا العلم منه ومن غيره . .

ووصل إلى منزلة فى العلوم والمعرفة أعانته على أن يأخذ بيد أبنائه إلى بر الأمان .

ومن كلامه : قيل لى : ماعلى الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، وما على الأرض مجلس فى الحديث أبهى

من مجلس عبدالعظيم المنذرى ، وما على وجه الأرض مجلس فى الحقائق أبهى من مجلسك .

ومن كلامه الذى يعتبر ثمرة مجاهداته وزبدة سلوك مريديه من بعده :

- ألق نفسك على باب الرضا وانخلع عن عزائمك وإرادتك .

- اعبد ربك بشرط العلم ولا ترض عن نفسك بحال .

- لتكن همتك فى ثلاث : التقوى والتوبة والحذر ، وقوامها بثلاث : الذكر والاستغفار والصمت عبودية لله . وحصن هذه السنن أربعة : الحب والرضا والزهد والتوكل . . .

- لايصح التوكل إلا لتقى ولا تتم التقوى إلا لمتوكل .

وعلى هذا الأساس يمكن أن يفهم مبنى طريقته وأصولها التى تتلخص فيما يأتى :

١ - التقوى فى السر والعلانية

٢ - اتباع السنة فى الأقوال والأفعال .

٣ - الإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار .

٤ - الرضا عن الله تعالى فى القليل والكثير .

٥ - الرجوع إلى الله تعالى فى السراء والضراء .

وواضح أن هذه الأصول مستمدة من أقواله وأقوال شيخه ابن مشيش ، ومن وصاياه لتلاميذه ، ومن جملة تعاليمه التى كان يسير عليها فى حياته . . . وناهيك برجل يقول : « ورد المتقين إسقاط الهوى ومحبة المولى - ماذا تنتظر منه إلا أن تكون طريقته مبنية على تلك الأصول الخمسة ، وهى كفيلة إذا ماحرص عليها إنسان أن تصل به إلى الغاية المنشودة .

فالتقوى أساس كل علم وعمل ، وهى حجر الزاوية فى سلوك الطريق وهى وسيلة وغاية معاً .

واتباع السنة ضرورة وأصل فى اتباع الطريق السوى ، فكل عمل خارج على حدود السنة المحمدية بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . فكل شيء خرج على السنة باطل قولاً وفعلاً ونية .

والإعراض عن الخلق مقصود به عدم الركون إليهم أو الخوف منهم أو الرجاء فيهم ، لأن هذا قدح فى حقيقة التوكل ، والتوكل الحقيقى هو صفة المؤمن الذى يكمل إيمانه قال تعالى . .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ (١٤٥)

وليس معنى هذا الانقطاع عن الخلق واعتزالهم ولكن المقصود هو عدم تعليق الآمال بهم والوقف عندهم والظن أن بيدهم الضر والنفع ـ فإن ذلك بيد الله وحده .

وهذا يفسر الأصلين التاليين : الرضا عن الله ، والرجوع إليه فى السراء والضراء . فإنه لانافع غيره ولا منجى من السوء سواه ، ومتى صدقت نية العبد فى الالتجاء إلى الله والتضرع إليه كان عند حسن ظنه وأجابه إلى طلبه حسب مشيئته سبحانه ـ كما قال ـ ادعونى أستجب لكم .

فهذه الأصول لها سر روحى عظيم متى جمع الإنسان بينها فقد جمع كل الأسباب التى توصله إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى .

---

(١٤٥) سورة الأنفال الآية ٢ .

رأى الشاذلى فى العمل والتكسب :

يرى الشاذلى أن العمل واجب ، وكان يحث تلاميذه على العمل والسعى . . فقد كان يكره أن يرى أحدهم فارغاً من عمله الذى يصل بسببه رزقه إليه ، وكان لايحب من واحد منهم أن يترك حرفته متجرداً منقطعاً ، بل كان يوصيهم دائماً أن يحافظوا على أعمالهم الدنيوية ويقرنوا بينها وبين أورادهم وأذكارهم . وكان يذم التسول والتكفف لأنه يعتبر ذلك منافياً لاتباع السنة ومضيعاً فى الوقت نفسه لكرامة المسلم .

تقول دائرة المعارف الإسلامية : « كان الشاذلى يريد من تلاميذه المضى فيما كانوا عليه من حرف ومهن قبل التتلمذ عليه ، وذلك بأن يقرنوا مايكونون فيه من أعمال بالذكر ماأمكنهم » . . . . وتحكى حكايات عن قوم عرضوا عليه أن يتركوا أعمالهم ويصحبوه ، ولكنه أمرهم أن يستمروا فيما هم فيه .

« وكان التسول مذموماً عند الشاذلية بل هم كانوا - فيما يروى - لايقبلون عون الحكومة لأماكن اجتماعهم ، والواقع أن إقامة زوايا أو مايشبهها لم يكن فى ذهن الشاذلى ولا خليفته أبى العباس المرسى ، ولم يكن الشاذلية يرفضون تولى المناصب الكبيرة فى الدولة ذات الرزق الوفير ، ولا حياة الترف ، وهذا المبدأ ظل حياً بين أتباع هذه الطريقة إلى يومنا هذا . . والحقيقة أن أصحاب هذه الطريقة كانوا إذا انكشف لهم شىء يخالف السنة أنكروه ورفضوه » .

وهذا هو التصوف الحقيقى الذى لاتتنافى فى طريقه الأسباب مع التوكل ، بل هو الفهم السليم للتوكل الصحيح .

يقول أبوالقاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى شيخ خراسان فى وقته :

أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع ، وتعظيم حرمات المشايخ ، ورؤية أعذار الخلق ، وحسن صحبة الرفقاء والقيام بخدمتهم ، واستعمال الأخلاق الجميلة ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات ، وما ضل أحد فى هذا الطريق إلا بفساد الابتداء ، فإن فساد الابتداء يؤثر فى الانتهاء .

أجل ، فكيف يستقيم بنيان على أساس هار ؟ وكيف يجنى الإنسان من الشوك العنب ؟ وسئل أبوعثمان سعيد بن سلام المغربى المتوفى سنة ٣٧٣ هـ عن عقدة الورع فقال : الشريعة تأمره وتنهاه فيتبع ولا يخالف .

ولا شك فى أن القيام بالأسباب من أقوى أواصر التمسك بالسنة واتباع الشريعة ، ويظهر ذلك واضحاً فى دعوة تلميذ الشاذلى ـ ابن عطاء الله السكندرى ـ الذى يقول فى حكمه الوضاءة « إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب ـ من الشهوة الخفية » . . . . وحكى الرندى تعليقاً على هذه الحكمة ما يأتى : وقد ذكر فى التنوير هذه المسألة بنصها ـ قال : « وافهم رحمك الله أن شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله ، فيحقره عندك فتطلب غير ماأقامك الله فيه ، فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك ، وذلك أنه (الشيطان) يأتى للمتسببين فيقول لهم : لو تركتم الأسباب وتحررتم لأشرقت لكم الأنوار وَلَصَفَتْ منكم القلوب والأسرار . . . وكذلك صنع فلان وفلان . . يوسوس لهم بترك الأسباب ، وهو يعلم أن صلاحهم فى الأخذ بالأسباب ، فيتركها العبد فيتزلزل إيمانه ويذهب إيقانه . .

هذا وقد حَدَّثتْ ابن عطاء نفسه مرة فى ترك الأسباب والانقطاع للطريق ، ولكن شيخه المرسى حذره من ذلك . . قال ابن عطاء الله عقب

قصه لهذه الواقعة : فخرجت من عنده (أى شيخه المرسى) وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ، ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى . . . فهؤلاء القوم كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هم القوم لايشقى بهم جليسهم .

وهذه من ثمار تعاليم الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ فابن عطاء الله السكندرى تلميذ أبى العباس المرسى ، والمرسى أخلص تلاميذ الشاذلى . وكان ابن عطاء الله لسان حال الشاذلية ـ فقد ألف الكتب الكثيرة التى كان لها أثر كبير فى نشر الطريقة الشاذلية وبيان تعاليمها .

أما التجرد الذى نراه حال قلة من الصوفية فهو مشروط بشروط قاسية لايحققها إلا النادر ، والنادر لاحكم له ، وهو فى الواقع سمو ـ لو أمكن تحقيق شروطه ـ لأنه حال مريم ابنة عمران .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧ ﴾ (١٤٦)

أما شروط التجرد فهى الإخلاص وإخفاء الفقر وكتمان البلاء واحتمال الأذى ، وعدم التعرض للسؤال وعدم الشكوى أو إيذاء الخلق . وانتفاء شرط منها ينتفى بمقتضاه قصد التجرد ، لأنه سقوط فى الهمة وضعف فى العزيمة وركون للعوائق وقدح فى الإخلاص .

---

(١٤٦) سورة آل عمران من الآية ٣٧

قال الشاذلى رضى الله عنه : آداب الفقير المتجرد أربعة : الحرمة للأكابر ، والرحمة للأصاغر ، والإنصاف من نفسك ، وعدم الانتصار لها .

كما أن للفقير المتسبب آداباً أيضاً ـ هى موالاة الأبرار ، ومجانبة الفجار وإيقاع الصلاة فى الجماعة ، ومواساة الفقراء والمساكين بما يفتح الله عليه . . .

وقال ابن عطاء الله فى التنوير : والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق ـ تعالى ـ هو الذين يتولى إخراجك كما تولى إدخالك ، وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب .

وبهذه الطريقة يمكن أن نقول : إن التجرد عن الأسباب صعب المنال عسير التحقيق ، وإذا كان عسيراً فيما مضى ففى زمننا هذا أشد عسراً وأصعب منالاً . . . . وإن صح أن نجد فى الأزمان الماضية صوفية متجردين صادقين لقوة العزم وصدق التوجه وخفة المئونة وانقطاع الشواغل ، فإن زمننا هذا الذى تصارعت فيه المشاكل وتشابكت المطالب وكثرت فيه المشاغل وتفرغت الهموم وتزايدت ـ يندر أن نجد فيه المتجرد على حقيقته .

على أن الوصول إلى الله سبحانه وتعالى مداره على صدق النية ووجود الإخلاص والجد فى الطلب والله لن يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولكل مجتهد نصيب . .

تحكى دائرة المعارف ـ أن حياة الشاذلى كانت حياة شيخ سائح فى الأرض يجتهد بالذكر والفكر فى الوصول إلى رضا الله . . . . . وكان يحث مريديه على الذكر فى كل وقت وفى كل مكان وفى كل حال ، كما كان يحثهم على

سلوك سبيل التصوف الحقيقى المبنى على أصوله الخمسة الماضية ، وكانت عقيدته التوحيد الخالص .

سعة الإدراك فى الطريقة الشاذلية :

ومن مرونة الشاذلية فى فهم حقائق الدين عدم التعصب الذى أعمى بعض الناس عن فهم حقائق دينهم . ذلك التعصب الذى دعا إلى مقت بعض الطوائف الأخرى ـ لا سيما غير المسلمين ـ لقد كانت الألفة سائدة بينهم وبين غيرهم ، وهذه هى رحابة التصوف الذى اعتنى بجوهر الإسلام . . . ومن نافلة القول أن نقرأ أن فى حمى التصوف عصمة من المغالاة الشاذة فى فهم الدين والتزمت الذى يؤدى إلى وجود الانقسامات بين المسلمين أنفسهم حتى لايتورعوا عن تكفير بعضهم البعض ، فلو فهم الناس التصوف وما يدعو إليه من تراحم وتعاطف وإيثار وحب وتعاون لتقلمت أظفار الدعوات المغالية التى تتخذ الإرهاب الفكرى وسيلة من وسائل نشر المبادىء .

ولا نغالى إذا ماقلنا إن الطريقة الشاذلية لم تقف نفسها عند حدود الاشتغال بالأوراد والأذكار ، بل رأت أن تطوير الوطن وأسباب تقدمه من أهم الوسائل الموصلة إلى رضا الله ، ومن هذه الأسباب ترقية وسائل التجارة وتنميتها وترويج السلع التى تكفل الربح الوفير عن طريق حلال ـ كما تقول دائرة المعارف الإسلامية ـ وقد راجت على يد كثير من الشاذلية زراعة البن وتجارته فى بعض البلاد ، حتى أصبحت مصدراً واسعاً من مصادر الرزق والتكسب .

وعلى ضوء هذه المبادىء المتقدمة انتشرت الطريقة الشاذلية انتشارا واسعاً ، وكان انتشارها بادىء ذى بدء فى غربى أفريقية - فى الجزائر ومراكش وتونس ، وبهبوط الشاذلى فى مصر وبفضل قدوته الطيبة أصبحت طريقته رائد الكثيرين جداً فى إقليم مصر ، فقد كان - رضى الله عنه - لايغادر بيته حتى يحيط به الناس من كل جانب ائتناساً بحديثه واستزادة من علمه واستبشاراً برؤيته والتماساً لبركته .

آثاره :

لسنا فى حاجة إلى أن نذكر آثار الشاذلى بعد أن ترك من خلفه هذه الطريقة الواسعة الانتشار المتفرعة إلى فروع عدة . .

والشاذلى رضى الله عنه لم يترك كتباً مؤلفة ولكن ترك ذكراً خالداً وطريقاً حميدة وآثاراً بارزة ورجالاً ناجحين .

وقد ترك بعض الأحزاب والأوراد وطائفة من الأقوال والمأثورات التى حفظها أبناؤه ومريدوه ، ومن أخص أحزابه حزب البحر الذى يقول عنه : لو ذكر هذا الحزب فى بغداد ماأُخذت . ومنها حزب البر الذى له خصائص وأنوار مشرقة .

من أقواله رضى الله عنه : إذا عارض علمك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع علمك ، وقل لنفسك : إن الله تعالى قد ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب العلم ولا الإلهام ولا المشاهدة .

ومن أقواله : كل علم لم يسبق إليك فيه الخواطر ويرى فيك تقوى الله ، وتميل إليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به . . . . وخذ بعلم الله الذى أنزله

على رسوله ، واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده ، وبالأئمة المبرئين عن الهوى . . . وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ، ومن العمل طاعة ومحبة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومحبة الصحابة .

وبدهى أنه لامحبة بدون طاعة أمر المحبوب مصداقاً لقول القائل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه　　هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته　　إن المحب لمن يحب مطيع

ولقد كان رضى الله عنه يقول : من دعا إلى الله تعالى بغير مادعا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو بدعى .

وأهل الصدق كلهم مجمعون على روعة كلام الشاذلى وبعد مرماه ، لأنه صادر عن تجربة صادقة وروح طيبة وقلب كبير ، لقد أفاض الله الحكمة على لسانه فكانت نوراً يستنير به الواصلون والمقربون . حدث عن نفسه قائلاً : نمت ليلة فى سياحتى فطافت بى السباع إلى الصباح ، وبالرغم من ذلك وجدت الأنس - فأصبحت فخطر لى أنه حصل لى من مقام الأنس بالله شىء عظيم ، فهبطت واديا فيه طيور الحجل فأحست بى فطارت ، فخفق قلبى رعباً ، فكأنى سمعت هاتفا يقول : يامن كان البارحة يأنس بالسباع ، مالك وجلت من خفقات الحجل ؟ . . . لكنك كنت البارحة بنا واليوم بنفسك .

وهذا يؤيد ما أشرنا إليه من صدقه فى طلب الهدى ، وإخلاصه فى مجاهداته . حتى إنه استأنس بالوحش لصدق أنسه بالله واستشعاره الثقة فى كلئه ورعايته وعدم ركونه لخواطر نفسه ، فلما أحس أنه على شىء عوتب على ذلك وأُلهم التوبة من ذلك الخاطر . وهكذا تكون توبة الخواص . مما يرد على قلوبهم من خواطر .

على أن الأثر المشهود لأبى الحسن الشاذلى هو تلميذه البار ـ أبوالعباس المرسى رضى الله عنهما ، فقد صحب الشيخ تلميذه على نحو من الوفاء النادر والوداد الكامل الذى لايتحقق إلا فلتة من فلتات الزمن . قال الشاذلى لأبى العباس : ياأبا العباس ماصحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت .

وعلى ذلك فقد بقى الشاذلى حياً فى تلميذه ، وبقى تلميذه حيا فى ابن عطاء الله السكندرى ، وبقى ابن عطاء الله حيا فى كتبه ، وهكذا .

وكان أبوالعباس المرسى خير قدوة للناس ، وبلغ فى العلم منزلة لاتسامى . . وفى المعرفة كان البحر الذى لايدرك قراره ، وفى الأخلاق كان مدداً فياضاً زاخراً بكل نفيس .

والناس بذكرهم وآثارهم . . . . وإذا طبقنا هذه العبارة على شيخنا الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ وجدنا له الذكرى الخالدة والآثار المشهودة التى لاتزال ماثلة فى الخواطر والأذهان والقلوب وسيبقى الشاذلى حياً فى نفوس الناس لأنه كان سبباً فى حياة أجيال متعاقبة . .

مكث الشاذلى فى مصر بقية عمره عابداً هادياً للناس ومعلماً لهم ، وأصبحت مصر موطنه ومأواه ـ ففيها تزوج وأنجب ـ ، ومن أولاده الميامين الشيخ شهاب الدين أحمد ، وأبوالحسن على ، وأبوعبدالله شرف الدين ، وزينب ، وعريفة الخير .

وكان يذهب إلى أداء فريضة الحج كثيراً سيراً على قدميه ، مخترقاً فى طريقه الصحراء القاسية ، لايعبأ بما يصادفه من مشقات على الرغم من كف بصره ، بل كان يستعذب ذلك إرضاءً لله وشغفاً بزيارة بيته وقبر رسوله الكريم .

وفى الحجة الأخيرة له سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وافاه الأجل المحتوم ، وفاضت روحه الطاهرة وهو يجتاز الصحراء فى مكان اسمه « حميثرة » قريباً من ساحل البحر الأحمر جنوبى مصر .

وقد عمر الله هذا المكان بسببه ، وكان الحجاج يقاسون فيه الأهوال لخطورة الطريق وانقطاع الماء ، ولكنه الآن أصبح محط الأنظار ، وإليه تتوافد الوفود كل عام لزيارة الشاذلى فى ضريحه الذى دفن فيه .

وببركته أصبح ماءُ هذه المنطقة عذباً بعد أن كان ملحاً أجاجاً ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١٤٧)

---

(١٤٧) سورة يونس الآيات من ٦٢ ـ ٦٤

ومن سلالة أهل البيت المصلحين

الإمام الشعرانى

جاء الإمام الشعرانى فى ظروف كانت تحتاج إلى مجيئه . فقد كانت البيئة المصرية فى القرن العاشر الهجرى تحتاج إليه ، فاضطلع برسالته التى وقف حياته عليها وقام بها خير قيام .

استنار بنور العلم ، واستعز بصولته ، ومكنه الإيمان من أن يتبوأ مكانة مرموقة أحنت له قامة الحكام فى عصره ، ورسم بذلك المثل الصحيح للعالم الحق الذى يستطيع بعلمه وخلقه أن يفعل الكثير .

وجد الشعرانى التصوف وقد لعبت به طائفة من المغرضين يسخرونه لأهوائهم ويخلطون به الزيف ويقتاتون على حسابه ، فنقاه من بدعهم ، وصفاه من خرافاتهم وأوهامهم ، وتمكن من أن يوضح للأذهان حقيقة التصوف الناصعة ، ويبين للناس أن التصوف هو جوهر الدين وروحه ، وأنه هو الذى يلتقى مع مقام الإحسان الذى يعبد الإنسان فيه ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه .

وفى حياة الشعرانى ـ تضاربت آراء الفقهاء ، واحتدم الخلاف بين أئمة المذاهب مما نجم عنه اضطراب فى أهواء الناس ومنازعهم ، فأهاب الشعرانى بهؤلاء أن يكفوا عن هذه الخلافات وأن ينبذوا الفرقة . . . ووضع بميزانه أول أساس للتقريب بين المذاهب والفقهاء .

لقد أنار الشعرانى الطريق فى كثير من الجوانب والاتجاهات ، فكان حقيقاً بأن يتصفح الناس سيرة هذا العبقرى الذى ترك بعده ثروة فكرية وعلمية ، كثير منها لم يسبق إليه .

نسبه ونشأته :

هو الإمام الجليل عبدالوهاب بن أحمد بن على الملقب بالشعرانى .. والشعرانى هو لقب لجد والده الذى هاجر من بلده « شلقام » إحدى قرى المنيا بصعيد مصر - إلى ساقية أبى شعرة بإقليم المنوفية ، وهو نسب على غير قياس ، كما يقال فى النسب إلى روح - روحانى ، وإلى رب - ربانى .

وينتهى نسب الشعرانى الأعلى إلى الإمام على كرم الله وجهه .

ويقال إن جد الشعرانى الأعلى ضحى بالملك فى سبيل التصوف . وجَدُّه هذا اسمه - موسى بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد من سلالة محمد بن الحنفية . كان يقيم بمدينة تلمسان بالمغرب قبل أن تنزح الأسرة إلى صعيد مصر بعد ذلك بسنين . وكان موسى هذا من أصحاب الصوفى المشهور أبى مدين المغربى .... فقال له ياموسى ، إن التصوف والسلطنة لايجتمعان ، فاختار التصوف وزهد فى السلطنة .

وكانت أُسرة الشعرانى عريقة فى الصلاح والتقوى ، ويقال إن جده علياً كان أُمياً لايقرأ ولا يكتب ، ولكنه بالرغم من ذلك كان يستدل بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فى وقائع الأحوال ، فيتعجب الناس من ذلك .

أما أبوه - فعلى الروايات المشهورة - كان عالماً ففيها مؤلفاً حافظاً للقرآن الكريم . وقد قرأ الشعرانى عليه النصف الأخير من القرآن الكريم ، وسمع عنه الحديث الشريف ، وحدث الشعرانى عنه قائلاً : سمعت والدى يقول : جمعت من العلوم ما لو اجتمع علىّ سائر العلماء بالجامع الأزهر لقطعتهم بالحجج الواضحة الصحيحة .(١٤٨)

---

(١٤٨) المناقب الكبرى لأبى صالح محمد الشافعى ص٢٧

وقد صنف عدة مصنفات فى الحديث والنحو والأصول والمعانى والبيان وقد نهبت هذه المؤلفات كلها فلم يحزن ، وقال : قد ألفناها لله عز وجل فلا علينا أن ينسبها الناس إلينا أم لا .

وذلك أعظم مايتصف به العلماء من إيثار وحرص على النفع ، وبعد عن الشهرة وذيوع الصيت .

وصلاح والد الشعرانى لاينكر ، وتدبره لمعانى القرآن الكريم أمر معروف .

قرأ عليه ابنه مرة فى سورة الصافات ، فلما بلغ قوله تعالى :

« فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله إن كدت لتردين »

بكى حتى أُغمى عليه وصار يتقلب على الأرض كالطير المذبوح .

وللشعرانى ألقاب أُخرى غير نسبته إلى قريته هذه ، فقد لقب بالأنصارى ـ نسبة إلى جده على نورالدين الأنصارى ، ولقب بالشافعى نسبة إلى مذهبه الذى درسه وتبحر فيه وألف فيه .

وعلى الرغم من نسبته إلى ساقية أبى شعرة ، فهو قد ولد فى قرية « قلقشندة » وهى تابعة لإقليم القليوبية فى بيت جده لأمه .

وكان مولده فى نهاية القرن التاسع الهجرى ـ سنة ٨٩٩ هـ ، وقيل سنة ٩٩٧ هـ فى السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم .

وحين كبر أخذ يحفظ القرآن الكريم ـ وقيل حفظه وهو ابن سبع سنوات ، ومات أبوه وهو صغير لم يتجاوز حفظ النصف من القرآن ، وهو الذى كان يقوم بتحفيظه .

ويبدو أن أباه كان يتوسم فيه خيراً منذ صغره فاصطحبه إلى إمام عصره

جلال الدين السيوطى ليجيزه . . . . . .

وإجازة السيوطى للشعرانى ليست غريبة ، فإنه ليس من شروط الإجازة حينذاك أن يتصل المجاز له بمن أذن له اتصالاً مباشراً ، بل إن الإجازة يمكن أن يجمعها الآباءُ لأبنائهم من مشهورى الشيوخ والعلماء ، وقد التف الناس حول نجم الدين الغزى ـ العالم المشهور المتوفى سنة ١٠٦١ هـ فى أثناء طوافه بالكعبة وقت الحج يطلبون منه الإجازات .

ثم رحل الشعرانى إلى القاهرة لطلب العِلم بالأزهر الشريف ، وهو المعهد الذى يقصده كل طالب علم ، ومكث زهاءَ خمس سنوات فى رحابه طالباً مجداً يقرأُ ويدرس ـ بفهم وعناية ـ كل مايقع تحت يده من سائر العلوم الشرعية واللسانية والعقلية . ثم انتقل بعد ذلك إلى جامع الغمرى ، ولكنه لم يفقد صلته بالأزهر .

وكان من الكتب التى حفظها فى هذه الفترة ـ المنهاج للنووى ، ثم ألفية ابن مالك ، ثم التوضيح لابن هشام ، وجمع الجوامع ، ثم ألفية العراقى ، ثم تلخيص المفتاح ، ثم الشاطبية ، ثم قواعد ابن هشام ـ وغير ذلك من المختصرات .

حفظ ذلك وغيره حفظاً جيداً حتى صار يعرف متشابهاتها . . . . . ولم يلبث أن ارتقت همته إلى حفظ كتاب الروض ـ مختصر الروضة ـ لكونه أجمع كتاب فى الفقه الشافعى . ثم إلى غير ذلك من العلوم والفنون .

حرصه على العلم :

كان حريصاً على اغتنام كل دقيقة فى طلب العلم فلم يكن يرى إلا قارئاً أو ناسخاً أو مصغياً أو سائلاً . يحكى عن أحد شيوخه قائلاً : كان فى بعض

الأوقات يقول لى : هلا تذهب بنا إلى بحر النيل نشم الهواء - فأقول له : ياسيدى مجالستكم عندى أعظم من شم الهواء فيدعو لى .

وشهد له العلماء بالتفوق وهو مازال تلميذا فكيف وقد أصبح عالماً ، له قدم راسخة فى ميادين العلم والاجتهاد - على اختلاف المعارف والفنون ؟ يقول فى لطائف المنن : « وكان ذهنى بحمد الله سيالاً لايسمع شيئاً وينساه ، ولم أزل كذلك حتى ترادفت علىَّ الهموم - لما بلغت نحو خمس وعشرين سنة ، وقال لى شيخى شهاب الدين الرملى ، بدايتك نهاية غيرك - فإنى مارأيت أحداً تيسر له مطالعة الكتب كلها فى هذا الزمان .

وقد ظفر بإجازة كثير من الشيوخ الذين كانوا فى عصره ، واعترفوا له بالفضل والسبق ، حتى إن بعضهم كان يقصده للاستفادة منه .

وقد استطارت شهرة الشعرانى العلمية حتى أثارت الإعجاب والحسد والتف حوله التلاميذ ، وناصبه بعض العلماء العداء حين رأوا مجده العلمى وبراعته الفائقة ، وحين رأوا تآليفه التى تتوالى وتكثر وتذيع ، فتتلقفها الأيدى وتلتهمها العيون والأذهان .

تقول عنه دائرة المعارف الإسلامية : « كان الشعرانى عالماً كبير الإحاطة وكانت له مكانة مرموقة وله إلى جانب ذلك أثر بالغ فى العالم الإسلامى بفضل ماأوتى من غزارة عجيبة فى مادته - فقد كان قلمه يسيل بأسلوب سهل المأخذ قريب للأفهام مما أدى إلى إقبال الناس على مؤلفاته ، وقد راجت كتبه بالفعل فى حياته ولا تزال موضع التقدير العظيم كما يتبين من تعدد طبقاتها . . . .

واعتد الدكتور زكى مبارك فى كتابه « التصوف الإسلامى وأثره فى الأدب

والأخلاق » بمؤلفاته واعتبرها وثيقة تصور المجتمع الإسلامى فى القرن العاشر ـ فهى على هذا الأساس مصدر علمى هام . . .

اتجاهه إلى التصوف :

بكر الشعرانى فى سلوك الطريق الصوفى ـ وقد مارسه فى بدءِ حياته بحكم النشأة فى بيته التى يغلب عليها الطابع الصوفى ، فأسرته العريقة فى هذا الاتجاه كان لها أثر فى هذه النزعة التى صاحبت الطفل منذ بدأ يعقل .

فكان فى طفولته الأولى كثير العبادة والتهجد دائم السهر يجد لذة فى ذلك حتى قبل رحيله إلى القاهرة ، واستمر فى أداء ذلك بعد مجيئه إليها ، وطالما نازعته نفسه فى الرغبة فى التفرغ للعبادة ، ولكنه وجد الصبر على معاناة العلم لوناً من ألوان العبادة والتقرب إلى الله ، كما أن شيوخه نصحوا له بأن لا يشغل نفسه عن طلب العلم بالإقبال على التصوف والتفرغ له قبل أن يأخذ من العلم نصيبه الوافر ، ليكون ذلك أدعى إلى تثبته وتحققه . . . .

ولكن هذه النصيحة لم تحل بينه وبين كثرة الصوم والتعفف الزائد وكف النفس عن التطلع للشهوات ، وصرفها عن كل ماتميل إليه من شهرة أو أثرة أو حب للثناء .

كان ذلك توجهه قبل أن يتعرف على شيخ من شيوخ الطريق . . . حتى إذا ماتعرف على هؤلاء الشيوخ وهم كثيرون وجدوا عنده الاستعداد القوى والرغبة الأكيدة والاجتهاد المثمر الذى آتى أُكله سريعاً . .

كان من شيوخه الصوفيين الذين التقى بهم وتتلمذ عليهم وانتفع بهم ـ الشيخ زكريا الأنصارى شيخ الإسلام فى عصره .

والشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى ، والشيخ على الشونى الذى أمره

أن يتوجه إلى جامع الغمرى للإقامة فيه بدلاً من إقامته بالجامع الأزهر . . . على أن شيخه الذى كان صاحب التأثير الأكبر عليه ـ هو الشيخ على الخواص رضى الله عنه .

وفى جامع الغمرى قام بمجاهدات عدة لنفسه كان لها أثر كبير فى حياته حتى تفتحت أمامه آفاق المعرفة والمشاهدة . .

وبلغ منزلة عظمى جعلت الحكام يقصدونه . . . . فقد حدثوا أن السلطان سليم حين فتح مصر وأقام بقلعة الجبل ، وفدت عليه الوفود وقصده الناس من كل فج ، حتى أزمع الرحيل إلى تركيا فقال : هل بقى أحد من العلماء أو الأولياء لم نره ؟

فقالوا له : مابقى إلا رجل عظيم ولكنه صغير السن لم تجر عادته أن يقابل أحداً من الولاة أو يحضر مجالسهم .

فقال السلطان سليم : أنا أذهب إليه .

وذهب السلطان سليم وقابل الشعرانى وأحبه وقدره وقبل شفاعته فى العفو عن القاضى محيى الدين عبدالقادر الرزمكى ـ رأس الكتاب بديوان القلعة ـ وكان السلطان قد غضب عليه وتوعده وأخذ منه السجلات ويقال إنه أهدر دمه ، فخشى على نفسه ولجأ إلى الشعرانى فاستجار به فأمنه ، وانتهز فرصة زيارة السلطان سليم له فكلمه فى شأنه فأجابه ورده إلى سابق عمله .

وأقام الشعرانى فى جامع الغمرى زهاء سبع عشرة سنة ، حتى تحول إلى مكان آخر هو « مدرسة أُم خوند »

وواصل المجاهدة والعبادة والتأليف وما زالت نفسه تتوق إلى المعرفة

الكاملة حتى دله التوفيق على الشيخ الخواص ..

فى صحبة الخواص :

كان الخواص أُمياً لايقرأ ولا يكتب وكان الشعرانى حجة فى مختلف العلوم والفنون ، فكان اجتماعهما آية على أن العلم الحقيقى ليس وقفاً على الكتب ، وليس شرطاً فى تلقيه أن يكون بين يدى عالم أو فقيه .

لقد تلقن الشعرانى العالم عل يدى الخواص الأُمى فنون الحكمة العالية .

لقد كان فى ذلك درس يعلم الناس جميعاً كيف يكون التواضع العظيم ، وكيف يجب على العالم ألا يغتر بعلمه أو يعتقد فى نفسه ـ مهما أُوتى من شهادات أو حصل على إجازات ـ أنه وصل إلى نهاية المطاف ففوق كل ذى علم عليم .

والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، لا يأنف من اليد التى تقدمها ولا يتعالى على اللسان الذى يلقنه .

وحين التقى الشعرانى بالخواص حدثت بينهما محاورة قصيرة ..

قال له الخواص : إلى من تنتسب ؟

قال الشعرانى : إلى السلطان أحمد سلطان المغرب نسباً ، وإلى محمد بن الحنفية شرفاً .

قال الخواص : وما عملك ؟

قال الشعرانى : العلم أقرؤه وأطلبه وأُعلمه .

وعلى يد الخواص قام الشعرانى بمجاهدات كثيرة ... منها أنه أمره بالابتعاد عن الناس حتى صفا قلبه ، ثم أمره بعد ذلك بالاختلاط بهم والصبر على أذاهم ..

ومازال الخواص يدل الشعرانى على طريق المجاهدة ويواليه بالنصيحة حتى أخذ يرتفع إلى أعلى الدرجات ، وحتى تفتحت فى قلبه فنون العلم والمعرفة ودانت له قطوفها . . .

قال له : الآن تم أمرك وغلا نجمك .

عاش الشعرانى ابنا باراً لشيخه الخواص ، فقد أدرك فضله وعرف منزلته . . .

وقد وصف الشعرانى شيخه بقوله « رجل غلب عليه الخفاءُ فلايكاد يعرفه بالولاية والعلم إلا العلماء العاملون »

ويعتبر الدكتور زكى مبارك منزلة الشعرانى من الخواص كمنزلة أفلاطون من أُستاذه . لأن مجهود الشعرانى فى بث علوم أُستاذه لايقل أهمية عن مجهود أفلاطون فى نشر ثقافة اليونان ، وليس ذلك بغريب بالنسبة لما أُثر عن الخواص من علم ومعرفة . . . وحسبك من ذلك قوله : من أراد أن يعرف مرتبته فى العلم الذى يزعم أنه من أهله فليرد كل قول إلى قائله ، وكل شىء استفاده من أمر دنياه وآخرته إلى من استفاده منه وينظر إلى نفسه بعد ذلك . .

ويروى الشعرانى عن شيخه الخواص أنه على الرغم من أُميته ، كان يتكلم على معانى القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً يتحير العلماء فيه . .

وقد تأثر الشعرانى بشيخه الخواص فى كثير من اتجاهات سلوكه . .

الشعرانى المصلح الاجتماعى :

لايستطيع أى مصلح اجتماعى أن يؤدى رسالته إلا إذا وجد فى نفسه

القدرة على الاضطلاع بمسئوليتها ، مؤمناً برسالته التى يقوم بها ، متفهماً للأحوال والظروف المحيطة به .

وقد كان الشعرانى كذلك . . . فقد نشأ فى مجتمع طبقى يعانى فيه سواد الشعب الكثير من العنت والإرهاق ، وفى بيئة رأى التصوف فيها صورة مشوهة لاتمت إلى إشراقته بصلة . وبين طوائف من الفقهاء استفحل الخلاف بينهم وأضحى التعصب يعمى عليهم الطريق ويلوى خطواتهم . وأدى ذلك إلى الانقسام بين رجال التصوف من جهة وبين العلماء والفقهاء من جهة أخرى ، كما أدى إلى شيوع روح الفرقة فى الأمة كلها .

وفى ظل المجتمع المتباين يكثر الفساد وتنشأ عادات وتقاليد مختلفة أغلبها فاسد والقليل منها صالح ـ إلى غير ذلك من أدواء ومفاسد . .

فشمر الشعرانى عن ساعد الجد ، وأخذ يؤدى رسالته الاجتماعية بشجاعة فائقة ولباقة مشهودة . .

فقد استغل تعلق الحكام به استغلالاً طيباً لخدمة سواد الشعب ، وتمكن أن يؤدى إلى الناس خدمات جليلة فى رفع الظلم عنهم وفى إسداء النصح للمسئولين حتى يكفكفوا من جبروتهم وطغيانهم .

وكان زهده فيما فى يد الحكام هو الذى رفعه فى عيونهم وأجبرهم على أن يسمعوا كلامه ويقبلوا شفاعته ، وهو الذى جَرَّأه على أن يوجه إليهم قوارص الكلم دون أن يخشى بأسهم .

يحدث صاحب المناقب الكبرى « أنه كان محبوباً من جميع القضاة وشيوخ الإسلام وأحبهم له شيخ الإسلام « صالح » وشيخ الإسلام « حامد » وشيخ الاسلام « محمد بن عبدالكريم » وشيخ الإسلام « محمد شاه » . . . وقد

حدث أن حبس - محمد شاه الشيخ أبابكر الغمرى ، فاستشفع أقاربه بالشعرانى « عند محمد شاه » فكتب له الشعرانى هذه الرسالة :

أما بعد . فيعلم مولانا أن أعظم بيوت سلاطين الأولياء والأقطاب بمصر أربعة ، أولهم بيت السادات بنى الوفا ، وثانيهم بيت سيدى شمس الدين الحنفى ، وثالثهم بيت سيدى مدين الأشمونى ، ورابعهم بيت سيدى أبى العباس الغمرى - جد - هذا الرجل الذى حبسته ......

ومن كلامه : أولاد الفقراء لحومهم مسمومة ، فمن عاداهم عجل بهلاك نفسه بسم ساعة .. عرض نفسه لبلاءٍ عظيم وداء لا دواء له ... والرأى عندى التدارك منك بالدواء بإطلاقه واستعطافه واغتنام السلامة من العطب ونسأل الله الحفظ والأمان .

فعندما قرأ الشيخ . المكتوب استعطف المحبوس وأطلقه .

وكان للشعرانى آراءُ فى الحاكم تتلخص فى النهى عن تملقه والدعوة إلى عدم تمكين الحاكم المخالف للشريعة من الاستمرار فى الظلم والجور ، ولكنه كان يدعو إلى ضرورة طاعة أُولى الأمر استجابة لأمر الله تعالى فى ذلك . (١٤٩)

وكما دعا الحاكم إلى العدل والإنصاف دعا المحكومين إلى إصلاح نفوسهم ، وعن طريق مدرسته التى أنشأها ربى أفراداً وتلاميذ كثيرين .

كان مطمع أمله أن يرى الناس وقد سمت نفوسهم وصلحت قلوبهم وتنورت عقولهم ، وطريقته فى الإصلاح القدوة الطيبة التى هى أساس النجاح .

---

(١٤٩) الشعرانى لتوفيق الطويل .

منهجه فى مدرسته :

وقد وضع لتلاميذه آداباً مختلفة تتناول شتى مرافق الحياة ، وألزمهم باتباع هذه الآداب ، وقد كفل لهؤلاء التلاميذ الرزق حتى لاتتطلع نفوسهم إليه فيتوزع خاطرهم ولا يتسنى لهم التفرغ لطلب العلم وجهاد النفس .

ولم يأل الشعرانى جهداً فى توفير كافة الإمكانات اللازمة لطلابه ، لأنه يرى فى ذلك رعاية اجتماعية لهم تحول بينهم وبين الانحراف ، وقد كانت زاويته عامرة بضروب الخير الذى يفيض عنها ، فيوزعه على الزوايا الأُخرى ، ويرسله إلى مجاورى البيت الحرام فى مكة .

ولم يكن الشعرانى فى ذلك يشجع الناس على القعود عن العمل والالتجاء إلى زاويته حيث يطيب لهم المطعم والمشرب ، ويتوفر لهم المسكن ـ ولكنه كان يشجع الطلاب على الاستمرار فى طلب العلم والعُبَّاد على العبادة .

لقد كان يدعو إلى التكسب ويقاوم البطالة .... ومن تصريحاته فى ذلك : إن ترك التكسب بالعمل المشروع والتماس الرزق عند المحسنين جهل بمقام التوكل الصحيح ، لأن هذا المسلك يعرض الفقير للرياء ويفقده حسنات أعماله .

حتى فى دعوته إلى الزهد كان يدعو إلى تحرى الدافع النفسى إليه ـ تحذيراً من وساوس النفس الخفية ، التى تزين للإنسان الشر فى صورة الخير ، وتلبس له الخير رداءَ الشر ، فهو يقول لمريديه : لاينبغى للمريد أن ينساق إلى الزهد بباعث من شعوره باللذة من نعيم الترك وخلو اليد وراحة القلب ، وإلا كان هذا انصرافاً من لذة إلى لذة ، وليس هذا زهد العارفين .

والزهد فى نظره لايكون عند خلو اليد وإنما يكون بخلو القلب مع امتلاء اليد . وكان الشعرانى فى قوله هذا يرد على المتصوفة المتعطلين الذين حاولوا أن يُحَمِّلُوا التصوف جريرة بطالتهم .

كان ينصح أتباعه من الصناع بقوله : الاجتهاد فى العمل وإتقانه يقدم على النوافل والتطوع للعبادة .

وكان يقول للنجار : لتكن مسبحتك منشارك ، وللزارع : لتكن خلوتك حقلك ، وللتاجر : لتكن عبادتك أمانتك .

والشعرانى طريقته شاذلى . . . وقد رأينا أن هذه الطريقة تهتم بالعمل وتدعو إليه وتحذر من البطالة .

كان يرغب إخوانه فى التكسب بالبيع والشراء والزراعة ، وكل ما يساعدهم على القوت بطريق شرعى ـ لا على وجه التكاثر والمفاخرة ، ويحثهم على التبكير فى طلب الرزق مبادرة لقطع خاطر الاهتمام بالرزق ـ لا حبا للدنيا من حيث هى دنيا ، فإن فى الإنسان جزءًا يهتم بأمر المعيشة ويضطرب ولا يسكن حتى يحصل العبد كفايته . وكان ينصحهم ألا يتعاطوا أسباب تعطيل الرزق من معاصى وعدم إيثار . . ومن آداب الرزق فى رأيه الإجمال فى طلبه ، وعدم الترصد له كل مرصد ، والاجتهاد فى تحرى الحلال والابتعاد عن الحرام والشبهات .

وصحح الشعرانى فى زاويته الآداب الاجتماعية ـ فجعل العلاقة بين تلاميذه قائمة على الإيثار والمحبة والصفاءِ والتغاضى عن الزلات وعدم الركون إلى الشهرة ، وقد تلقن تلاميذه عنه كل صفاته تلقنا عمليا وانطبعوا بها فى سلوكهم الذى غيروا به كثيراً من معالم المجتمع الذى يعيشون فيه ،

وأصبحوا قدوة لغيرهم من مجاورى الزوايا الأُخرى .

كما وقف من العادات القبيحة الشائعة ـ كالشعوذة والتضليل والتسول موقفا حاسما معارضا كما حمل على طائفة من شذاذ المجتمع ـ أولئك الذين يتشبهون من الرجال بالنساء ، ومن النساء بالرجال ، ودعا إلى مراعاة الحشمة والوقار فى زى النساء ، ووضع لهن أَمثلة يقتدين بها . !

وكان يدعو النساء إلى حسن معاملة أزواجهن كما يدعو الرجال كذلك ، ووضع فى كتبه آدابا مستقاة من روح الشريعة الإسلامية فى حسن المعاشرة .

وتعمق الشعرانى فى داخل الأسرة حتى قرر أن استقامتها تعود إلى كمال قوامة الرجل وحسن سياسته ، ومن تمام هذه القوامة أن يحفظ الرجل حرمته فى بيته ، وأن يحتفظ بهيبته كاملة فى نفس زوجته وعياله ، وأن يكون عادلا فى معاملته لأفراد أُسرته .

لقد كان الشعرانى ـ رضى الله عنه ـ عالما وأبا وطبيبا روحيا يداوى الناس ويعالج نفوسهم . وقد اتسع صدره لآلام الناس حتى ورد عنه : أن العصاة من أَهل الجدود العواثر أولى بالرحمة ، لعلنا بذلك نفسح لهم باب التوبة ليتوبوا فيتوب الله عليهم . .

وكان من أَهدافه محاربة البدع والخرافات ، وكذلك محاربة الدعة والبطالة فى دواوين الحكومة وبين الموظفين ، ومحاربة الاستكثار من الوظائف حتى يجمع الرجل بين وظيفتين أو أكثر . ويقول فى ذلك : « هاكم السادة العلماءُ للواحد منهم عدة وظائف ـ هو واعظ فى المسجد ، وموظف فى الحكومة ، وطبيب للعائلة ـ ولا يقوم بإحدى هذه الوظائف على الوجه الذى يرضى الله

عنه .. لقد عزمنا على رفض الخدمة الحكومية حتى نتفرغ لخدمة الناس كافة .

وكما وجه قلمه للمطالبة بإصلاح الأداة الحكومية لفت أنظار المسئولين إلى العناية بالفَلّاح والاهتمام بأمره ، فهو رب الثروة - فلا يجب إثقاله بالضرائب التى تضطره فى كثير من الأحيان إلى بيع بقرته أو محراثه .

والشعرانى يرى أن الإنسان مدنى بالطبع ، ولهذا كان يأمر بالمخالطة ولا يدعو إلى العزلة إلا عند الخوف من الاختلاط ، على أن يكون ذلك لأجل محدود .

وقد حارب الشعرانى عادة الأخذ بالثأر التى كانت متفشية فى عصره ، وكان يقوم بالإصلاح بين المتخاصمين والنصيحة لهم والتضحية فى سبيل ذلك بالمال والوقت والجهد . ولا يخفى أثر ذلك فى سعادة المجتمع .

الشعرانى والمذاهب :

عمل الشعرانى على التوفيق بين الآراءِ المتشعبة فى مذاهب الفقهاء ...... « كشف الغمة عن جميع الأمة » حاول أن يجمع فيه بين المذاهب الأربعة ، وقد نَقّى الشعرانى بذلك المذاهب من التطرف وأبعد الدخلاءَ عن ساحتها ، وألف كذلك كتابيه « الميزان الخضرية » « والميزان الشعرانية » . وقال فى مقدمة كتابه الثانى : « الشريعة كالشجرة العظيمة المرتفعة ، وأقوال علمائها كالفروع والأغصان ، فلا يوجد فرع من غير أصل ، ولا ثمرة من غير غصن كما لا يوجد أبنية من غير جدران ، وقد أجمع العلماء على أن كل من أخرج قولا من أقوال علماءِ الشريعة عنها ، فإنما ذلك لقصوره عن درجة العرفان ، فإن رسول الله - ﷺ - قد أمَّن علماءَ أُمته

على شريعته لقوله : « العلماءُ أُمناءُ الرسل ما لم يخالطوا السلطان » .

وقال الشعرانى فى موضع آخر : « كما لا يجوز لنا الطعن فيما جاءَ به الأنبياءُ على اختلاف شرائعهم ، فكذلك لا يجوز لنا الطعن فيما استنبطه الأئمة المجتهدون بطريق الاجتهاد والاستحسان » .

وكان الشعرانى يرى أن الشريعة من حيث الأمر والنهى على مرتبتين تخفيف وتشديد ، والمكلفون لا يخرجون عن قسمين - قوى وضعيف ، فالقوى خوطب بالتشديد ، والضعيف خوطب بالتخفيف ، فلا يؤْمر القوى بالنزول إلى الرخصة ، ولا يكلف الضعيف بالصعود للعزيمة .

فقد عمل الشعرانى إذن على التوفيق بين الفقهاءِ ، وعمل أَيضاً على التوفيق بين الفقه والتصوف ، وخصص لذلك الجانب الأكبر من دراساته وكتبه ، كما جاهد للتوفيق بين التصوف ورجال الكلام والتوحيد وأَصحاب النظر العقلى من الفلاسفة والمتكلمين ، وألف كتاب « اليواقيت والجواهر » لذلك السبب . .

وبعض العلماء يعدون الشعرانى شبيها بالغزالى فى ناحية - وهى محاولة التوفيق بين الفقه والتصوف - ولكنه يخالفه فى ناحية أخرى - هى أن الغزالى حارب الفلسفة ولم يهادنها ، والشعرانى لم ينكر الفلسفة على طول الخط .

وهكذا يمضى الشعرانى فى طريقه محاولا جمع شتات الأمة على كلمة سواءٍ حتى يجتمع شملها ويعظم أمرها .

الشعرانى والتصوف :

ولا يكتفى الشعرانى بالتقريب بين آراء الفقهاء والصوفية ، ولكنه يتوجه

إلى محراب التصوف محاولا إزالة ما فى صفوف أهله من خلافات ، وتطهيره من أدعيائه .

فقد هاله ما وصل إليه التصوف من حال يعبر عنها بأسلوبه قائلا : « كان التصوف حالا فصار كارا ، وكان احتسابا فصار اكتسابا ، وكان استتارا فصار اشتهارا ، وكان اتباعا لسلف فصار اتباعا للعلف ، وكان عمارة للصدور فصار عبارة للغرور ، وكان تعففا فصار تملقاً ، وكان قناعة فصار تزيدا » .

وهى عبارة تجمع إلى جمال المعنى جمال الأسلوب .

وهو ينعى على شيوخ الصوفية فى عصره إقبالهم إلى الدنيا والاعتزاز بها ، وعدم فهمهم للتصوف ـ وأُصوله وآدابه ، ويأْسف للخلافات التى نشبت بين الصوفية بسبب عدم فهمهم للتصوف الذى يدعو إلى الإخلاص والزهد والإيثار والمحبة والتواضع . لقد انصرف هؤلاء من الجوهر إلى العرض . ولذلك دعاهم إلى العلم والمجاهدة وتزيين القلوب بدلا من تزيين الوجوه . ودعاهم إلى الاكتساب حتى لا يصبحوا عالة على المجتمع . ومن أقواله فى ذلك : « المروءَة من الإيمان ولا مروءَة لمن يسأل الناس وهو قادر على التكسب » .

ويخاطب الصوفية قائلا : « إياكم والتوكل كتوكل العوام ، بترك التكسب بالتجارة والزراعة والصناعة ونحو ذلك ، واللجوءِ إلى سؤال الولاة والأغنياء فذلك جهل بمقام التوكل » .

ورأى الغرور سائدا بين صفوف الصوفية فحارب هذا الغرور والتعالى ونادى بان التواضع حلية العلماءِ وهو أساس التصوف .

كما رأى أن المباهاة بالباطل تذهب زينة الورع وتقضى على هيبة المتصوف . . كان يقول للصوفية : زى الصوفى فى روحه وباطنه ، لا فى مظهره وشارته . وكان يرشدهم جميعاً إلى ما يجب عليهم نحو العهود والمواثيق التى أُخذت عليهم . .

وَكُتُبُ الشعرانى أغلبها لم يكتبها إلا ليبين للصوفية حقائق الطريق الصوفى وكيف يسيرون فى حياتهم على هدى وبصيرة . والمطلع على هذه الكتب يدرك منها سر تأليفها أولا ، ثم مدى ما وصل إليه الشعرانى من معرفة تامة وجهد كبير فى كشف ما وصل إليه أدعياءُ التصوف من جهل تام بالطريق الصوفى وآدابه . .

ومن كتبه التى تدور حول هذه المعانى : لطائف المنن والأخلاق وآداب العبودية ، ولوائح الأنوار القدسية ، والبحر المورود ، ودرر الغواص ، والجواهر والدرر ، وتنبيه المغترين ، وقواعد الصوفية ، واليواقيت والجواهر ، وغيرها . .

هذا ولا يفوتنا التنبيه على أن الشعرانى لم يسلم من الحساد والحاقدين الذين ضَمَّنُوا بعض كتبه أغاليط ، ودسوا بينها افتراءات هو بعيد عنها كل البعد .

يقول الدكتور توفيق الطويل فى كتابه عن الشعرانى : « كان الشعرانى يتحايل على مدعى الطريق ويحاربهم بغير هوادة ، وكان غير متعصب . . . كان واسع الصدر متسامحا حتى مع المسيحيين واليهود فى عصر ساده التعصب الدينى .

ومن نافلة القول التصريح بأن الشعرانى ـ رضى الله عنه ـ كان له فى كل زاوية من زوايا الحياة فى عصره منفذ من القول أو الفعل يدعو إلى الإصلاح وفاءً لرسالته التى نذر نفسه لها واضطلاعا بمسئولية المصلح الاجتماعى على الوجه الأكمل ، مستعذبا فى سبيل ذلك كل ما لاقاه من مشاق .

توفى الشعرانى ـ رضى الله عنه ـ بعد حياة حافلة بالعلم والعمل والجهاد فى سبيل الدين ، وكانت وفاته بعد عصر الإثنين ـ الثانى عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة من الهجرة النبوية الشريفة . ودفن حيث ضريحه ومسجده العامر بباب الشعرية بالقاهرة . رضى الله عنه وأرضاه .

تعقيب :

المتتبع لكتب الخطط والمزارات يدرك أن مصر كانت محط كثير من أهل البيت منذ منتصف القرن الأول حتى العصور المتأخرة ، وبذلك أصبحت مصر وطنا لهم ومستقرا ، يشهد لذلك كثرة الأضرحة والمشاهد التى أشرنا إلى بعضها ، والتى تغص بها القرافة الكبرى والصغرى والوسطى فى مصر . . . . واختيار القرافة فى سفح المقطم سببه ما جاء فى خطط المقريزى عن الليث بن سعد قال : سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فعجب عمرو من ذلك وقال : أكتب إلى أمير المؤمنين ـ عمر ـ فكتب إليه فرد عليه عمر بقوله : سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تزرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها ؟

فسأله ، فقال : إنا لنجد صفتها فى الكتب التى بأيدينا ـ أن فيها غراس الجنة ، فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فقال له عمر : إنا لا نعلم غراس الجنة إلا من المؤمنين ، فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشىء

وجاء أيضا أن عمرو بن العاص سأل المقوقس ما بال جبلكم أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو جبال بلاد الشام ؟

فقال لا أدرى - ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ، ولكن نجد تحته ما هو خير من ذلك . قال وما هو ؟

قال : ليدفنن تحته - أو ليقبرن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم . قال عمرو : اللهم اجعلنى منهم . قال حرملة : فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبى بصيرة ، وقبر عقبة بن عامر فيه . كما أن فيه قبور عبدالله بن حذافة السهمى ، وعبدالله ابن جزاء الزبيرى ، ومسلمة بن مخلد الأنصارى - من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ولم ينقطع وفود أهل البيت إلى مصر حتى أنشىء لهم خط يسمى « الحسينية » وهو حارة كبيرة جدا عرفت بطائفة من الأشراف المنسوبين إلى الحسين - رضى الله عنه - قدموا من الحجاز فى أيام الملك الكامل فنزلوا - خارج باب النصر واستوطنوا وبنوا مدابغ صنعوا بها الأديم ، ثم كانت بعد ذلك سكنا لأرباب الدولة وأعيان الجند ، وقال القاموس الإسلامى : انهم وفدوا الى القاهرة فى خلافة الحاكم الفاطمى على رأى . . . . ويشق الحى شارع يعرف باسمه يعتبر من أسواق المدينة القديمة ، ويوجد به بعض الأضرحة المقصودة ، وأشهرها ضريح الشيخ على الخواص . أستاذ الشعرانى ، وضريح الشيخ على البيومى ، وضريح الدميرى - صاحب كتاب حياة الحيوان ، ويشتهر هذا الضريح الآن باسم الصوابى - رضى الله عنهم -

قال السخاوى : وشرقى جامع ابن طولون مشهد به جماعة من ذرية على الأصغر ابن زين العابدين . كما يقول : وفى سوق المراغة نجد وسط الطريق

قبورا يقال عنها إنها قبور سادة أشراف . . . . وظاهر الحال أن هذه الرحاب وما حولها كانت مقبرة ، وحدث هذا البناء حولها . كما يقول : إن أولاد الشريف الميمون من ذرية الإمام الحسين متفرقون فى أماكن كثيرة بقرافة مصر . . . . . . ثم يعود فيقول عن إحدى الترب . . . وبهذه التربة جماعة أشراف من ذرية الحسين رضى الله عنه ـ ويذكر أنه يوجد بالقرافة أيضا ـ قريبا من مشهد السيدة أم كلثوم ـ قبر السيد الشريف أبى الحسن على المنتخب ، وإلى جانبه من القبلة قبر بعض أولاد الحسن المثنى بن الحسن السبط ـ رضى الله عنه ـ وعددهم كثير .

ثم يذكر أن عبدالله بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق كان له عقب بمصر يقال لهم بنو أبطارة ـ انقرضوا أجمعين .

ويذكر أن حول قبر السيد على بن عبدالله بن القاسم ـ مشهد يضم رفات السيدة زينب بنت محمد بن على ـ من سلالة الحسن السبط ـ رضى الله عنه ـ وعلى باب التربة قبر به الشريف حيدرة ، ويقابله تربة بها جماعة من الأشراف يعرفون بأولاد زيد البار .

ويذكر مرة أخرى عند حديثه عن مشهد الإمام يحيى الشبيه ـ أنه يجاور تربته عدد كبير من مقابر الأشراف من أولاد موسى الكاظم .

وعند خروج الزائر من مشهد القاسم الطيب بن محمد الباقر ـ يرى مشهد السيدة كلثم ابنته . . . . . .

وكان القاسم أعلم الناس وأحفظهم لحديث رسول الله ـ ﷺ ـ حدث عنه أبو عمرو قال : رأيت القاسم فى مكة يدعو الله وقد اقشعر جسده ، فقلت له : ما هذا يابن بنت رسول الله ؟ فقال : لأنى أستحى أن أدعوه

بلسان ما أديت به حق شكره .

ويجاور مشهد السيدة كلثم مشهد السيد إبراهيم القمر ابن الحسن المثنى ويجاوره عدة مشاهد أخرى لأهل البيت .

كما يذكر السخاوى أيضا أن بترية الشيخ أبى الخير القينائى من الجهة الغربية عدة مقابر لبعض الأشراف المنسوبين إلى على زين العابدين ـ رضى الله عنه ـ وبجوار تربة الشيخ أبى بكر القمنى تربة كبيرة مبنية بالحجر ولم يبق منها غير الحائط القبلى ، وبها سادة منسوبون إلى الحسين بن على رضى الله عنهم .

وبالجهة الوسطى من القرافة حوش صغير بغير سقف عليه ، وله بابان ، وهو معروف بسنا وسناء ـ وهما شريفتان من أولاد جعفر الصادق رضى الله عنه ، وقيل إن كل واحدة منهما كانت تقرأ كل ليلة ختمة ، فلما ماتت إحداهما صارت الباقية تقرأ على أختها ختمة تهديها لها إلى أن ماتت .

ويوجد بترية الأشراف بالمقطم ـ بنو المنتخب . . . من نسل محمد بن الحنفية ويوجد كذلك ترب الأشراف الحسينيين .

كما يذكر الشعرانى فى طبقاته كثيراً من ذرية أهل البيت المدفونين بمصر ، ومن بينهم على سبيل المثال : السيد عبدالله ـ من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . . . وينسب إليه قوله : رأيت النبى ﷺ فقلت يا رسول الله من أقرب الناس إليك من أمتك ؟ قال : من ترك الدنيا وراء ظهره ، وجعل الآخرة نصب عينيه ولقينى وكتابه مطهر من الذنوب . . . ومدفن السيد عبد الله بالقرب من الإمام الليث بمصر .

وفى شارع الشيخ ريحان بالقاهرة قرب رحبة عابدين على يسار المتجه إلى

الرحبة يوجد ضريح كتب عليه ـ ضريح سيدى عبدالله الحسينى بن الحسن ابن بنت الحسين ـ رضى الله عنه ـ وهو فى مشهد معمور يزار إلى الآن . وقريب منه مسجد السلطان حسن الأكبر والد السلطان أبى العلا الحسينى .

ويذكر الشبلنجى فى نور الأبصار ـ نقلا عن الكواكب السيارة ـ أنه يجاور قبر السيد يحيى ضريح يضم جماعة من الأشراف ويذكر أنه خاص بالبنات الأبكار . كما يذكر أنه يوجد بمصر نسل الشريف « طباطبا » وهو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط . ولقب بهذا اللقب لأنه كان يقلب القاف طاء فى كلامه .

ومن أولاده إبراهيم القاسم الذى وصل إلى مصر وأقام بالجامع العتيق وأخذ يحدث الناس فأحبوه ، ثم ازدادوا له حبا حين رفض مالهم وهداياهم . ويقال عنه : إنه كان أكثر أهل زمانه علما ، وفى رواية أنه عاد إلى الحجاز ومات بالرس ، إلا أن نسل طباطبا فى مصر كثيرون .

كما يذكر الشبلنجى أنه بالقرب من مزار الشيخ الحموى بدرب سعادة ـ توجد السيدة صفية بنت إسماعيل ـ المنتهى نسبها إلى الحسن بن على رضى الله عنهما وقد توفيت ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة من الهجرة .

ويذكر كتاب أعلام النساء . أن رابعة بنت إسماعيل بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على دخلت مصر وماتت بها .

كما يذكر المقريزى فى خططه أنه بخارج باب النصر يوجد قبر زينب بنت أحمد بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن الحنفية ـ وهو يزار ، وتسميه العامة مشهد زينب .

من هذا وغيره من المثبت فى بطون الكتب التى تعنى بذلك ـ ندرك أن مصر كانت مقصد الكثيرين من هذه الأسرة المطهرة . وقد أَكَنَّتْ لهم مصر كل حب وتقدير وبادلوها هم هذا الحب والتقدير ، وأصبح كثير منهم مصريين لطول إقامتهم بها واستيطانهم لها ومصاهرتهم أهلها . يشهد لذلك وجود بعض الأسر العريقة التى ينتهى نسبها ويرتبط بأهل البيت . ويذكر لنا السيد محمد على منصور الأقدمى أن نسبه من جهة الأب حسينى ومن جهة الأم حسنى .

وإن كثيراً من الأفراد ينتهى نسبهم بلفظ شريف ـ دلالة على انتسابهم إلى أهل البيت ، ويفخرون بحمل هذا اللقب ، ويباهى بعضهم بإظهار شارة خضراء تدل على نسبتهم الشريفة ، ولعل ذلك يوضح سبب إنشاء هذين البيتين .

جعلوا لأبناء الرسول علامة　　إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى وسيم وجوههم　　يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفى ذلك إشارة الى أن نسب الشريف الحقيقى يبدو فى عمله لا فى مظهره وزيه .

ولعل كثرة النازحين إلى مصر من أهل البيت فى العصر الأموى وصدر العصر العباسى يفسر إرسال سر رءوس المقتولين من الأسرة العلوية إلى مصر ـ فقد يكون ذلك للإرهاب والإنذار حتى لا يفكر أحد من المقيمين بمصر ـ وقد أصبحت لهم مكانتهم ومنزلتهم فى النفوس ـ فى الخروج على الخليفة . . . . وإلا لماذا كانت مصر بالذات هى التى تختار لإرسال رأس

الشهيد إليها حتى يقيض الله لها من يواريها التراب ؟ أجل ، لماذا مصر بالذات ؟

لولا أن رأى خصومهم أن مصر قد أصبحت لآلِ البيت دار إقامة ومأوى مستطابا لهم يجدون فيه الأمن والرعاية ، ويأنسون فيه بالاستقرار والهدوء ، ويتمتعون فيه بحب الناس وتقديرهم بعيداً عن وثبات السلطان وعماله فى الشام والعراق ؟ . .

وبعد . . فهذه نبذة سريعة ومقتطفات عاجلة عن آل البيت الأبرار الأطهار الشرفاء الذين كرمهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بانتسابهم إلى تلك الدوحة الكريمة وجعلهم مصابيح للهدى يستضاء بها فى كل وقت وحين . . ولا شك أن ذكرياتهم الخالدة وفضائلهم المجيدة ومآثرهم الحميدة باقية على مدى الدهور والأيام . والناس جميعا يحومون حول هذه الرياض العطرة ويتنسمون عبيرها العطر وينهلون من نبعها الرقراق . وقد كانوا بعملهم أسوة حسنة وقدوة طيبة لكل من أراد التأسى والاقتداء بهم أبد الحياة . . . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كيف تكون العلاقة المثلى بأهل البيت ؟

بعد أن طفنا حول بعض المثل العليا من أهل البيت ، وتعرفنا على بعض أعلامهم ، نستطيع أن ندرك أن هؤلاء قد تبوءوا منزلة عظيمة بما طبعوا عليه من أخلاق فاضلة وما اكتسبوه من مآثر كريمة ، وبما أكرمهم الله به من انتساب إلى أعرق أصل وأفضل أرومة ، وبما حصلوه وورثوه من علوم الدين والشريعة عن أفضل موروث وأكرم مبعوث ـ ﷺ ـ

ولقد أدرك أهل البيت منزلتهم من رسول الله ـ ﷺ ـ فعملوا على أن

يحفظوا رسول الله فيهم ـ بما التزموا به من آداب عالية ومثل كريمة . ـ وبذلك أصبحوا قدوة يقتدى بها من أراد أن يحصل على رضاء الله ورسوله . .

ونحن مدعوون جميعا إلى حب هؤلاء والاعتزاز بهم . إلا أن علاقتنا بهم يجب أن تكون فى الحدود الشرعية التى أوصى بها القرآن الكريم والنبى - ﷺ -

يجب علينا أن نكون مخلصين فى حبنا لأهل البيت مع اعتقادنا أنهم بشر لهم حظهم من الصواب والخطأ ، إلا أن الله ـ سبحانه ـ قد يتفضل على المحسن منهم بمضاعفة الأجر والثواب ، وقد يضاعف للعاصى منهم الوزر والعقاب ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى بقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (١٥٠)

ولعلنا نتذكر كلمة الحسن بن الحسن ـ رضى الله عنه ـ لبعض شيعته الذين تغالوا فى شأنهم ـ فقال لهم :

« ويحكم أحبونا لله ، فإن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصينا الله فأبغضونا »

فقال له رجل : إنكم قرابة رسول الله ـ ﷺ ـ وأهل بيته فقال :

---

(١٥٠) الأحزاب ٣٠ ، ٣١

« ويحك لو كان الله مانعا بقرابة من رسول الله أحداً بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إلى رسول الله منا ، والله إنى لأخاف أن يضاعف الله للعاصى منا العذاب ضعفين ، وإنى لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين ، ويلكم اتقو الله وقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم »(١٥١)

• إن بعض الناس يغالون فى الحب حتى يخلعوا على أهل البيت صفات تتنافى مع مبادىء الإسلام ، كما أن بعضهم يغضون من قدر أهل البيت ويحاربونهم وينالون منهم ، وفى ذلك جفاء للنبى - ﷺ - وإيذاء له ، وعصيان لما دعا إليه من حفظه فى أهل بيته ، ولما دعا إليه القرآن الكريم بقوله

« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى »

إن علينا أن نحب أهل البيت حب الإسلام ، وأن تكون نظرتنا إليهم نظرة الذى يريد أن يتقرب إلى الرسول - ﷺ - بحب أبنائه - وأن نتخذ من قول النبى - ﷺ - فى حق الأنصار : أحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » منهجا لنا فى حب أهل البيت . .
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وختاما لهذه السلسلة الكريمة نقدم للقراء رسالة للسيوطى - رحمه الله - عنوانها : إحياء الميت بفضائل أهل البيت .

---

(١٥١) الطبقات لابن سعد ٥ /١ / ٢٣٥

رسالة إحياء المَيْتْ بفضائل أهل البيت

للحافظ جلال الدين السيوطى (رضى الله عنه)

تتضمن ستين حديثاً تدور حول فضائل أهل البيت رضى الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد.

فبعد أن تحدثنا عن أهل البيت فى هذه السلسلة المباركة التى عَرَّفنا فيها ببعض رجالات أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأوجب حبهم والصلاة عليهم على المسلمين... أحببنا أن نقدم رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفائدة للإمام السيوطى ـ رضى الله عنه ـ هى رسالة إحياء الميْت بفضائل أهل البيت، جمع فيها ستين حديثاً عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تدور كلها حول فضائل أهل البيت، وما أكثر فضائلهم.

وقد أردنا أن تكون هذه الرسالة بمثابة الخاتمة لسلسلة أهل البيت، إتماماً للفائدة، وإحياءً لتراث قديم... وقد قصد به صاحبه وجه الله ورسوله..

ونعرف فى مقدمة هذه الرسالة بالإمام السيوطى فى إيجاز:

الإمام السيوطى

هو الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين ابن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين الأسيوطى الشافعى.

ولد ـ رضى الله عنه ـ فى أول رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة هجرية . بالقاهرة .

وكان أبوه من العلماء المرموقين ، فتعهده بالرعاية والتربية ، ولكنه توفى قبل أن يكمل السيوطى ثمانى سنين من عمره .

وحفظ السيوطى القرآن الكريم مبكراً ، ووهبه الله ذكاء نادراً ، وصبراً عظيماً ، وحباً شديداً لطلب العلم ، أعانه على بلوغ مايتمناه من المعرفة الواسعة والعلم الغزير الذى رحل فى سبيله ، والتقى بمئات العلماء فى تحصيله ، وكلهم شهدوا له بالنبوغ والتفوق .

وقد ترك السيوطى ثروة واسعة من المؤلفات تزيد على الخمسمائة مؤلف تتناول شتى فنون المعرفة وأبواب العلم ، ولا يكاد يوجد فن لم يترك فيه مصنفاً .

ويكفى أن يكون له فى التفسير كتاب : الدر المنثور فى التأليف بالمأثور ـ وأن يكون له فى الحديث ـ جمع الجوامع ـ الذى أحصى فيه أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأن يكون له فيه أيضاً : اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ـ الذى كشف به زيف المزيفين، ووضع الوضاعين .

ويكفى أن يكون له فى اللغة ـ كتاب المزهر ـ الذى يعد درة من درر اللغة . . إن مئات الكتب التى تركها السيوطى تشهد له بالفضل والسعة فى تحصيل العلم ، وتضاعف له أعماله الصالحة ، بعد وفاته .

توفى السيوطى رحمه الله بالقاهرة سنة ٩١١ هـ فى ليلة الجمعة تاسع عشر

من جمادى الأولى . ودفن بالقاهرة فى حوش قوصون ، قريباً من مشهد السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ

هذه الرسالة

وهذه الرسالة التى نقدمها . سرد السيوطى فيها بعض الأحاديث وعددها ستون حديثاً تدور حول فضائل أهل البيت .

وقد قمنا ـ بحمد الله وتوفيقه ـ بتخريج هذه الأحاديث وشرحها والتعليق عليها بما وسعنا الجهد . .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان الأعمال الصالحة التى تنفع الناس فى الحياة ، وتنفع أصحابها بعد المهات والله خير مسئول ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد . . . . فهذه ستون حديثاً سميتها إحياء الميت ، بفضائل أهل البيت .

الحديث الأول

أخرج سعيد بن منصور فى سننه عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى

« قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى »

قال : قربى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

« قل لاأسألكم عليه أجراً إلّا المودة فى القربى » الشورى : ٢٣ ـ والحديث ورد فى جامع البيان عن تأويل آى القرآن . جـ٢٥ صـ١٥ المطبعة الميمنية ـ بمصر (ب) ٢٤٥١٢ . دار الكتب المصرية .

وقال آخرون : بل معنى ذلك قل لاأسألكم أيها الناس على ماجئتكم به أجراً إلا أن تتوددوا إلى الله وتتقربوا إليه بالعمل الصالح والطاعة . . نفس المرجع .

وقيل : المعنى أن تودون فى قرابتى ـ أى تحسنوا إليهم وتبروهم ـ تفسير ابن كثير ٧٠ / ٣٦٤ . . . « ب » ١٩٨٠٤ دار الكتب المصرية .

وفى تأكيد أن معنى المراد بالمودة ـ مراعاة أهل البيت ومودتهم أورد السيوطى فى الدر المنثور الآثار الآتية :

● أخرج أبونعيم والديلمى من طريق مجاهد ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنها ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى . ـ أن تحفظونى فى أهل بيتى وتودوهم بى »

● وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير فى قوله : إلاَّ المودة فى القربى ـ قال : قربى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

● وأخرج ابن جرير ، عن أبى الديلم ، قال : لما جىء بعلى بن الحسين ـ رضى الله عنه ـ أسيراً ، فاقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم . فقال له على بن الحسين ـ رضى الله عنه ـ : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت آل حم ؟ قال : لا ـ قال : أما قرأت « قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » ؟

قال : فإنكم لأنتم ؟ قال : نعم .

● وأخرج أحمد والترمذى ـ والنسائى والحاكم ـ عن عبدالمطلب بن ربيعة ـ رضى الله عنه ـ قال : دخل العباس على رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ فقال : إنا لنخرج فنرى قريشاً تتحدث ، فإذا رأونا سكتوا .

فغضب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودَرَّ عرق بين عينيه ، ثم قال : والله لايدخل قلب امرىء مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتى .(١٥٢)

الحديث الثانى

أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم ـ والطبرانى فى المعجم الكبير ، عن ابن عباس ـ لما نزلت هذه الآية ، « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » قالوا : يارسول الله . . . من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : « على وفاطمة وولداهما »

هذا الحديث ورد فى :

المعجم الكبير للطبرانى ٣ / ٣٩ ، ١١ / ٤٤٤ مجمع الزوائد : ١٠٣٧ ، ٩ / ١٦٨ الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ـ ١٤٥ ط دار المعرفة . الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٦ / ٢٢ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٩٨ ـ الدر المنثور : ٦ / ٧ ـ زاد المسير لابن الجوزى ٧٠ / ٢٥٨ دار الفكر ـ بيروت . . . . . وأورده السيوطى أيضاً فى الدر المنثور من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ولكنه قال فى إخراج ابن مردويه ـ : أخرجه ابن مردويه ـ بسند ضعيف . .

وقد وردت فى فضائل كل من على وفاطمة وولديهما آثار متعددة . منها مآأورده البخارى فى مناقب على ـ قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعلى : « أنت منى وأنا منك » وقال عمر : توفى رسول الله ـ صلى

---

(١٥٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ٦ صـ٨ ـ مطبعة الأنور المحمدية

الله عليه وسلم ـ وهو عنه راض[153]

وما أورده مسلم فى مناقب فاطمة ـ رضى الله عنها ـ عن المسور بن مخرمة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « إنما فاطمة بضعة منى يؤذينى ماآذاها »[154]

وروى مسلم عن إياس عن أبيه قال : لقد قدت بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والحسن والحسين بغلته الشهباء ، حتى أدخلتهم حجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا قُدَّامه ، وهذا خلفه .[155]

وروى أيضاً أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ : قالت : خرج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ غداة ، وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن ابن على فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء على فأدخله ، ثم قال :

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً »[156]

والمرط المرحل هو الكساء الموشى ......

الحديث الثالث

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى

« ومن يقترف حسنة »

---

(١٥٣) فتح البارى جـ٧ صـ٨٧ دار الريان للتراث

(١٥٤) صحيح مسلم جـ٥ صـ٣١٤

(١٥٥) صحيح مسلم جـ٥ صـ٢٨٦ كتاب فضائل الصحابة

(١٥٦) المرجع السابق صـ٢٨٧

قال : هى المودة لآل محمد

الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٢٤ دار إحياء التراث العربى .

والمودة لآل بيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى حبهم والدعاء لهم وللصالحين من المؤمنين ، والثناء عليهم بما استحقوا من الفضل . .

الحديث الرابع

أخرج أحمد والترمذى ـ وصححه ـ والنسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لايدخل قلب امرىء مسلم إيمان ، حتى يحبكم لله ولقرابتى »

المسند لابن حنبل : ١ /٢٠٨ ، ٤ /١٦٥ . كنز العمال : ٣٤٢٠٢ . الدر المنثور ٦ /٧ .

وأخرج ابن عدى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أبغضنا أهل البيت فهو منافق »[(١٥٧)]

وأخرج الطبرانى عن الحسن بن على قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لايبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا زيد يوم القيامة بسياط من نار »[(١٥٧)]

إن كراهة أهل بيت الأنبياء وحسدهم يتناف مع الإيمان حقيقة ، وقد نفى الله ـ تعالى ـ على اليهود حسدهم لآل إبراهيم على ماآتاهم الله من فضله فقال فى حقهم :

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١٥٧) الدر المنثور جـ٦ صـ٨

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [١٥٨]

الحديث الخامس

أخرج مسلم والترمذى والنسائى عن زيد بن أرقم أن رسول الله ـ صلى اللبه عليه وسلم ـ قال : « أذكركم الله فى أهل بيتى »

هذا الحديث ورد فى :

صحيح مسلم (فضائل الصحابة) ٣٦ .... السنن الكبرى للبيهقى ـ ٢ / ١٤٨ ، ٧ / ٣١ ـ ، ١٠ / ١١٤ ، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ / ٤٣٩ ، تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٦١ ، الدر المنثور : ٥ / ١٩٩ ، ٦ / ٧ . السنة لابن أبى عاصم : ٢ / ٦٤٣ المكتب الإسلامى

وفى التذكير بأهل بيته دعوة إلى معرفة حقهم ، وتقديمهم وعدم إيذائهم .

أخرج البخارى عن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال : ارقبوا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أهل بيته .[١٥٩]

ويعنى أبوبكر بذلك إكرام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإكرام أهل بيته ..... ولاشك أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُسَرُّ إذا أُكْرِم أهله ... أخرج الخطيب من طريق أبى الضحى عن مسروق عن عائشة

---

(١٥٨) النساء ٥٤ ، ٥٥

(١٥٩) الدر المنثور للسيوطى جـ٦ صـ٨

ـ رضى الله عنها ـ قالت : أتى العباس بن عبدالمطلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله ، إنا لنعرف الضغائن فى أناس من قومنا من وقائع أوقعناها . فقال : أما والله إنهم لن يبلغوا خيراً حتى يحبوكم لقرابتى ـ ترجو سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبدالمطلب ؟(١٦٠)

الحديث السادس

أخرج الترمذى ـ وحسنه ـ والحاكم ـ عن زيد بن أرقم قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إنى تارك فيكم ماإن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى : كتاب الله وعترتى ـ أهل بيتى ، ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما »

هذا الحديث ورد فى :

صحيح الترمذى : ٣٧٨٨ ، الدر المنثور : ٢ / ٦٠ ـ مشكاة المصابيح ـ ٦١٤٤ .

إتحاف السادة المتقين : ١٠ / ٥٠٧ ، كنز العمال : ٨٧٣ ، ٩٤٣ ، ٩٤٥ . أمالى الشجرى : ١ / ١٥٢ . بيروت . . ، الشفاء للقاضى عياض : ٢ / ١٠٥ . . . . ورواية الدر المنثور : « إنى تارك فيكم خليفتين : كتاب الله ـ عز وجل ـ حبل ممدود مابين السماء والأرض ، وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يتفرقا حتىَّ يردا علىَّ الحوض » .

وأورده السيوطى فى جمع الجوامع بعدة روايات ، لاتختلف كثيراً عما

---

(١٦٠) المرجع السابق

سبق . وأورد هذا الحديث فى الصغير برقم ٢٦٣١ بلفظ « إنى تارك فيكم خليفتين » ورمز له بالصحة ـ برواية أحمد والطبرانى عن زيد بن ثابت .

قال الهيثمى عنه : رجاله موثوقون

ورواه أيضاً أبويعلى بسند لابأس به ، والحافظ عبدالعزيز بن الأخضر وزاد أنه قاله فى حجة الوداع .

قالت لجنة تحقيق الكتاب وهى « مجمع البحوث الاسلامية » : ووهم من زعم وضعه كابن الجوزى ، قال السمهودى : وفى الباب مايزيد على عشرين من الصحابة(١٦١)

والحديث رواه أبوسعيد الخدرى ، وأخرجه أحمد عنه .

الحديث السابع

أخرج عبد بن حميد فى مسنده عن زيد بن ثابت قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ـ إنى تارك فيكم ماإن تمسكتم به بعدى لن تضلوا كتاب الله وعترتى ـ أهل بيتى ـ إنهما لن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض »

الدر المنثور : ٢ /٦٠

وفى تاج العروس : العِتْرَةُ : نسل الرجل وأقرباؤه ، وقيل : رهطه وعشيرته الْأَدْنَوْنَ ممن مضى وغبر ، ومنه قول أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ « نحن عترة رسول الله ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ التى خرج منها ، وبيضته التى تفقَّأَتْ عنه ، وإنما جِيبَتْ العربُ عنَّا كما جِيبَتْ الرَّحَى عن قطبها » .

---

(١٦١) راجع جمع الجوامع جـ١ صـ٢٨٤٥ برقم ٣٥١٤ /٨٠٠٢

ولعله خص الحوض بالذكر ، لأنه ثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إنى فرطكم على الحوض من مر علىّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردن علىّ أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم ، فأقول : إنهم منى فيقال : إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك ، فأقول : سُحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدى » . . . أخرجه أحمد والبخارى ومسلم عن سهل بن سعد وأبى سعيد معا ، وذكره السيوطى فى جمع الجوامع جـ١ صـ٢٨٦٦ ط مجمع البحوث الإسلامية .

وفى هذا الحديث الشريف دليل على تمسك عترة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكتاب

وفيه دليل على حفظ أهل البيت للسنة التى أوصى بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث آخر : تركت فيكم ماإن تمسكتم به لاتضلوا : كتاب الله وسنتى . .

ومن أولى بحفظ السنة من أصحابها وهم عترة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ ؟

الحديث الثامن

أخرج أحمد وأبويعلى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنى أوشك أن أدعى فأجيب ، وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، وإن اللطيف الخبير خبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما »

المسند لابن حنبل : ٣ /١٧ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢ /٢ /٢

كنز العمال : ٩٤٤ ، السلسلة الصحيحة للألبانى : ١٧٦١ المكتب الإسلامى

تفسير ابن كثير : ٧ / ٣٦٧ وروايته « .. إنَّما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب ، وإنى تارك فيكم الثقلين ـ أوَّلهما كتابُ الله ـ تعالى ـ فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به .. وأهل بَيْتِى ... ـ الحديث

وهذا الحديث ذكره السيوطى فى جمع الجوامع برقم ٣٥٢٨ / ٨٠١٦ بلفظ « إنى أوشك أن أدعى فأجيب ، وإنى تارك فيكم كتاب الله وعترتى ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى ، وإن اللطيف الخبير خبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردوا علىَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما »

وجاء هذا الحديث فى مجمع الزوائد بلفظ مقارب جـ٩ صـ١٦٣ ـ باب فى فضل أهل البيت ـ رضى الله عنهم ـ وفى الباب أحاديث أخرى ذات درجات متفاوتة ... والحديث الذى ذكرناه أخرجه ابن أبى شيبة ، وأحمد ، وعبدالرازق فى مصنفه عن أبى سعيد أيضاً .

الحديث التاسع

أخرج الترمذى ـ وحسنه ـ والطبرانى عن ابن عباس قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبونى لحب الله وأحبو أهل بيتى لحبى »

ورد هذا الحديث فى : المعجم الكبير للطبرانى : ٣ / ٣٩ . المستدرك

٣ / ١٤٩ . حلية الأولياء : ٣ / ٢١١ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : ٤ / ١٦٠

إتحاف السادة المتقين : ٩ / ٦٦٢ . صحيح الترمذى : ٥ / ٦٦٤ الجامع لشعب الإيمان للبيهقى : ٢ / ٣٤٨ ، ٣ / ٥٣٧ . الدار السلفية بومباى ـ الهند . ومعنى الحديث : حُبُّ الله ـ تعالى ـ طاعته . وحُبُّ الرسول ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ اتباع سنته . وحب أهل البيت : تقديرهم وإحترامهم ، وعدم الاستهانة بهم .

والحديث أخرجه السيوطى أيضاً فى جمع الجوامع برقم ٤٩ / ٦٣٣ بلفظ « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى بحب الله ، وأحبوا أهل بيتى بحبى » .

قال : أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب .

وعلقت عليه لجنة التحقيق بقولها : الحديث فى الصغير برقم ٢٢٤ ، وصححه الحاكم والترمذى وأقره الذهبى فى التلخيص .[١٦٢]

الحديث العاشر

أخرج البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال . . « ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته » .

فتح البارى : شرح صحيح البخارى : ٧ / ٧٨ (فضائل أبى بكر) دار المعرفة ـ بيروت لبنان الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار ـ ابن أبى شيبة

---

(١٦٢) جمع الجوامع جـ١ صـ٢١٣ ط مجمع البحوث الاسلامية ـ القاهرة

١٢ / ٨٥ توزيع دار الفرقان .

وفى الصحاح رق ب : وراقَبَ الله ـ تعالى ـ فى أمره : خافه .

وعلق ابن حجر فى فتح البارى على هذا الحديث بقوله :

يخاطب ـ أبوبكر ـ بذلك الناس ، ويوصيهم به ، والمراقبة للشيء المحافظة عليه ، يقول : احفظوه فيهم ، فلا تكذبوهم ولا تسيئوا إليهم(١٦٣)

وسند هذا الحديث الذى رواه البخارى هو :

أخبرنى عبدالله بن عبدالوهاب ، أخبرنا خالد ، حدثنا شعبة ، عن واقد ، قال : سمعت أبِي يحدث عن ابن عمر عن أبي بكر ـ رضى الله عنهم ـ قال : « ارقبوا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أهل بيته » .

الحديث الحادى عشر

أخرج الطبرانى والحاكم عن ابن عباس قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يابنى عبدالمطلب إنى سألت الله لكم ثلاثاً ـ أن يثبت قلوبكم ، وأن يعلم جاهلكم ، ويهدى ضالكم ، وسألته أن يجعلكم جوداء ، نجداء ، رحماء ، فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار »

هذا الحديث ورد فى :

---

(١٦٣) فتح البارى جـ٧ صـ٩٧ ط دار الريان ـ باب مناقب قرابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

المستدرك للحاكم : ٣ /١٤٨ ، ١٤٩ ، المعجم الكبير للطبراني : ١١ /١٧٧ مجمع الزوائد : ٩ /١٧١ . كنز العمال : ٣٣٩١٠

ورواية الحاكم : « يابني عبدالمطلب إنِّ سألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم ، وأن يَهْدِيَ ضالكم ، وأن يعلِّم جاهلكم ، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء ، فلو أنَّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلَّى وصَام ثُم لَقِيَ الله وهو مبغض لأهل بيت محمَّدٍ دخل النار »

وفي الصحاح : والصَّافِن : الذى يَصف قدميه . . . . والمراد ـ الانقطاع للعبادة في أحسن وأطهر مكان ، ولكنَّه كره آل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فليس له جزاء إلا النار

وفي الصحاح : جوداء : جمع جواد . وهو الكريم ، ونجداء جمع نجيد ـ يعينون غيرهم ويسرعون إلى النجدة ، ورحماء جمع رحيم .

الحديث الثاني عشر

أخرج الطبراني عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بغض بني هاشم والأنصار كفر ، وبغض العرب نفاق »

هذا الحديث ورد في :ـ

المعجم الكبير للطبراني : ١١ /١٤٦ ، مجمع الزوائد : ٩ /١٧٢ ، ١٠ /٢٧ ، كنز العمال : ٣٤٠٤٠ .

وأخرجه السيوطي أيضا في جمع الجوامع برقم ١٥١ / ١٢٢٣٥ ، بلفظ : « بغض بني هاشم والأنصار كفر ، وبغض العرب نفاق .»

وقال : أخرجه الطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ

وعلقت لجنة التحقيق على هذا الحديث بقولها : الحديث فى الصغير برقم ٣١٥٥ برواية الطبرانى عن ابن عباس ، ورمز له بالحسن .

قال المناوى : قال البيهقى : فيه من لم أعرفهم ، وأعاده فى محل آخر بعينه وقال : رجاله ثقات .

وقال شيخه العراقى ـ فى القرب ـ : حديث حسن صحيح ، ورواه مسلم بمعناه . (١٦٤)

والحديث يدعو إلى حب بنى هاشم ـ رهط النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يدعو إلى حب الأنصار الذين آزروا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وناصروه وآووه ـ وأثنى الله عليهم فى قوله ـ عز من قائل :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١٦٥)

الحديث الثالث عشر :

أخرج ابن عدى فى الإكليل عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : « من أبغضنا أهل البيت فهو منافق » .

---

(١٦٤) جمع الجوامع جـ٢ صـ٨٦٨ ط مجمع البحوث الاسلامية الأزهر
(١٦٥) الحشر ٩

أورده السيوطى فى الدر المنثور : ٦/ ٧ .

قال : أخرج ابن عدى عن أبى سعيد قال : وذكر الحديث . . . وذلك فى تفسير قوله ـ تعالى

« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى »

وعلة النفاق تظهر فى أن الإيمان لا يحتمل التشطير والتقسيم ، فالمؤمن لا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ـ بل يؤمن بالكتاب كله ، والكتاب يدعو إلى محبة أهل البيت ومودتهم لما استحقوا من نفى الرجس عنهم . . .

وقد دعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حب أهل بيته ، فعدم الاستجابة إليه فى دعوته تتنافى مع الإيمان به والتصديق برسالته .

فالذى يبغض أهل البيت مشكوك فى إيمانه ، لأنه لم يسارع إلى التصديق بما دعا إليه القرآن والحديث الشريف .

الحديث الرابع عشر

اخرج ابن حبان فى صحيحه والحاكم عن أبى سعيد ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يبغضنا ـ أهل البيت ـ رجل إلا أدخله الله النار . »

ورد هذا الحديث فى :

المستدرك : ٣/ ١٥٠

هذا الحديث الشريف مترتب على الحديث السابق . .

فالمنافق الذى يظهر الإيمان ويبطن الكفر عاقبته النار ، كما قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾(١٦٦)

وقد وصف الحديث السابق مبغض أهل البيت بأنه منافق . وما دام منافقا فمصيره هو ما أشار إليه ـ تعالى ـ بالآية المتقدمة .

الحديث الخامس عشر

أخرج الطبرانى عن الحسن بن على عليهما السلام ـ أنه قال لمعاوية بن حديج ، يا معاوية ابن حديج إياك وبغضنا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لايبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا زيل يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار » .

المعجم الكبير للطبرانى : ٨٢/٣ مجمع الزوائد : ٢٧٨/٤ ، ١٧٢/٩ الدرالمنثور : ٧/٦ . كنز العمال : ٣٤٢٠٣ .

ورواية الدرالمنثور : « .... لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار » .

والذود ـ بالذال المعجمة ـ والزيل ـ بالزاى المعجمة ـ معناهما واحد وهو الإبعاد والحرمان .

والحديث تحذير لكل أحد من بغض بيت النبوة .

---

(١٦٦) النساء ١٤٥

وأورده المناوى فى كتابه : الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور ـ حـ٣ ورقة ١١٦ عن السيد الحسن .

ومعاوية بن حديج ـ بالحاء المهملة ـ بن جفنة السكونى ، وقيل : الخولانى ، وقيل : هو من ـ تجيب ـ ويكنى أبا عبدالرحمن ، وهو معدود فى أهل مصر ، وحديثه عندهم ..

روى عبدالله بن شماسة المهدى قال : دخلنا على عائشة ، فسألتنا : كيف كان أميركم فى غزاتكم ؟ ـ تعنى معاوية بن حديج ـ

فقالوا : ما نقمنا عليه شيئا ، وأثنوا عليه خيرا ، قالوا : إن هلك بعير أخلف بعيراً ، وإن هلك فرس أخلف فرسا ، وإن أبق خادم أخلف خادما .

فقالت : أستغفر الله ، إن كنت لأبغضه من أنه قتل أخى ، وقد سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول « اللهم من رفق بأمتى فارفق به ، ومن شق عليهم فاشقق عليه » .

وتوفى معاوية قبل ابن عمر بيسير .(١٦٧)

الحديث السادس عشر

أخرج ابن عدى والبيهقى فى شعب الإيمان عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يعرف حق عترتى والأنصار فهو لإحدى

---

(١٦٧) أسد الغابة جـ٥ صـ٢٠٦ ـ الترجمة رقم ٤٩٧٣

ثلاث ، إما منافق ، وإما لدنية ، وإما لغير طهور - يعنى حملته أمه على غير طهر . »

الكامل فى الضعفاء لابن عدى : ٣ / ١٠٦٠

وفى الصحاح : وأما الدنى بمعنى الدون فهو مهموز

ويقال : إنه ليُدنىٌّ فى الأمور تدنية : أى يتتبع صغيرها وخسيسها

جاء فى لسان العرب فى تفسير الدنية :

قال الهروى : الدنى الخسيس - بغير همز - قال - تعالى :

« أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير »

أى الذى هو أخس بالذى هو خير . .

ويقصد بالدنية فى الحديث الخبث . . . . قال أبوزيد فى النوادر : رجل دنىء من قوم أدنياء ، وقد دنؤ دناءة ، وهو الخبيث البطن والفرج

وقد دنى يدنى ودنو يدنو دنوا ، وهو الضعيف الخسيس الذى لا غناء عنده ، المقصر فى كل ما أخذ فيه .

وعلة دناءة الذى لا يعرف حق العترة والأنصار - أن الله لم يرفعه إلى مرتبة من يعرف قدر أهل الفضل ، فقد ورد فى الأثر : « إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه »

فغفلته عن معرفة أقدار أهل الفضل دليل على دناءة أصله وخسة نسبه ، وقد ورد فى بعض الآثار « والذى نفسى بيده لا يحبهم إلا كل كريم الأصل ولا يبغضهم إلا كل سيء الأصل ردىء المنبت »

وأما الحمل على غير طهر فهو الحمل قبل الانتهاء من انقطاع دم الحيض ، وقبل التطهر منه ، وقد نهى الله ـ تعالى ـ عن ذلك فى قوله

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (١٦٨)

والأذى هو ما يتأذى منه ـ فالذى لا يترفع عن إتيان امرأته وهى فى غير طهر ساقط الهمة ، فلاشك أن يكون نتاجه كذلك .

الحديث السابع عشر

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ « أخلفونى فى أهل بيتى » . ورد هذا الحديث أيضا فى :

مجمع الزائد : ٩ / ١٦٣ .

وفى الصحاح يقال : خلف فلان فلانا إذا كان خليفته ، وخلفه فى قومه خلافة .. والمراد : كونوا معهم كما أكون .

ومما ورد من أخبار حول ما تكلم به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مرض موته ووصاياه ، ما قاله ابن سعد فى طبقاته الكبرى .. قال :

---

(١٦٨) البقرة ٢٢٢

أخبرنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، حدثنا زكرياء بن أبي زائدة ، عن عطية العوفى ـ عن أبي سعيد الخدرى ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن عَيْبَتِى التى آوى إليها أهل بيتى ، والأنصار ، فاعفوا عن مسيئهم ، واقبلوا من محسنهم »[١٦٩]

ويقصد بعيبتى أنهم الذين أضع عندهم سرى

قال ابن الأثير فى النهاية : العرب تكنى عن القلوب والصدور بالعياب لأنها مستودع السرائر ، كما أن العياب مستودع الثياب ، والعَيْبَة : الأهل . قالت عائشة لعمر ـ رضى الله عنهما : ـ يا بن الخطاب ، عليك بعيبتك . يعنى اشتغل بأهلك . .

واستعار العيبة لذلك لأن الرجل يضع ثيابه فى عيبته .[١٧٠]

الحديث الثامن عشر :

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن الحسن بن على ـ عليهما السلام : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الزموا مودتنا أهل البيت ، فإنه من لقى الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذى نفسى بيده ، لا ينفع عبدا عمل عمله إلا بمعرفة حقنا . »

ورد هذا الحديث فى :

مجمع الزوائد : ١٧٢/٩ . المعجم الأوسط للطبرانى : حديث رقم ٢٢٥١ تحقيق د/محمود الطحان . مكتبة دار المعارف : الرياض .

---

(١٦٩) الطبقات الكبرى جـ٢ قسم ٢ صـ٤٢ ط دار التحرير

(١٧٠) النهاية لابن الأثير جـ٣ ص١٤٢ ، جـ٤ صـ١٤

وفى هذا الحديث حث على مودة أهل البيت والتزام ذلك ، فإن الفعل « الزموا » يفيد الاستدامة واستمرار التزام المودة .

وفى الحديث إشارة إلى شفاعة أهل البيت يوم القيامة ، وإذا كان لكل مؤمن شفاعة ، فشفاعة أهل البيت الأدنين أولى وأحق .

والقسم فى نهاية الحديث يؤكد إحباط عمل من يبغض أهل البيت ، وأن العمل المقبول عندالله هو المصحوب بمعرفة حق أهل البيت ، وحقهم هو مودتهم وحبهم .

الحديث التاسع عشر :

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ قال ـ خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو يقول « أيها الناس من أبغضنا أهل البيت ، حشره الله تعالى يوم القيامة يهوديا »

هذا الحديث ورد فى :

مجمع الزوائد : ١٧٢/٩ ـ وفيه : أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً . فقلت يارسول الله . . وإن صام وصلى ؟ قال : « وإن صام وصلى »

وهذا الحديث يشير إلى بُعْد مبغضى أهل البيت عن جادة الصواب . . . وفى اختيار اليهودية بالذات إشارة إلى العداوة الشديدة التى يكنها اليهود لأهل الإسلام . مصداقا لقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ ﴾ (١٧١)

وبقية الحديث الذى جاء فى مجمع الزوائد يفيد أن العمل لا يغنى صاحبه شيئا دون أن يكون مصحوبا بحب أهل البيت ، وهذه خصيصة أعطاها الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وحب أهل البيت من علامات الإيمان . . . ولولا ذلك ما قرن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصلاة عليهم بالصلاة به ، فالصلاة عليه تعبد . . . . جاء فى الصلاة الإبراهيمية المشهورة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم . .

وجاء فى المستطرف : إن لله ملائكة فى الهواء بأيديهم قراطيس من نور وأقلام من نور لا يكتبون إلا الصلاة علىَّ وعلى أهل بيتى .

الحديث العشرون

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن عبدالله بن جعفر رضى الله عنهما قال ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يابنى هاشم إنى قد سألت الله لكم أن يجعلكم نجداء رحماء ، وسألته أن يهدى ضالكم ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم ، والذى نفسى بيده لايؤمن أحد حتى يحبكم

---

(١٧١) المائدة ٨٢

بحبى ـ أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبدالمطلب ؟»

ورد هذا فى :

مجمع الزوائد : ٩ / ١٧٠ وفيه « أيرجُون أن يدخلوا الجَنَّةَ بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبدالمطلب ؟ » بياء الغائب ، وفيه ـ أيضاً ـ « نجباء » من النجابة والكرم . وفى الصحاح : ورجل نجيب ، أى : كريم بيِّن النجابة .

وفى الحديث بيان لأوصاف بنى هاشم التى تبين أفضليتهم ، وكانت هذه الأوصاف هبة من الله لهم ـ استجابة لدعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فمن صفاتهم النجدة والمروءة ـ وتعنى إغاثة الملهوف والأخذ بيده ، وإنقاذ المكروب وهداية الضال وإرشاد الحائر .

ومن صفاتهم الرحمة . . وقد كانوا فيها أعلاماً نيرة على قدم المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى جعله الله رحمة للعالمين ، ووصف نفسه بأنه رحمة مهداة .

وهل هناك رحمة أعظم من أنه كان سبباً فى إنقاذ العالم من الظلمات ومن الضلال ؟

والخطاب فى قوله « أترجون » موجه إلى المسلمين جميعاً ، الذين يرجون شفاعة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم عند ربهم . .

والاستفهام يفيد التعجب من شأن هؤلاء الذين يطمعون فى شفاعة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويستكثرون على بعض بنى عبدالمطلب أن يدخلوا

الجنة بشفاعة المصطفى ، وهم أقرب الناس إليه وأمسهم رحما به .

الحديث الحادى والعشرون

أخرج ابن أبي شيبة ومسدد فى مسنديهما ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، وأبويعلى والطبرانى عن سلمة بن الأكوع قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتى أمان لأمتى » .

ورد هذا الحديث فى :

المستدرك : ٢ /٤٤٨ ، مجمع الزوائد : ١٠ /١٧ ، المطالب العالية لابن حجر ٤٠٠٢ ، ٤٥٦٤ التراث الإسلامى ، أمالى الشجرى : ١ /١٥٥ ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : ٣ /٦٨ ، تنزيه الشريعة لابن عراق : ٢ /٤٥٣

كشف الخفاء للعجلونى : ٢ /١٩٥ دار التراث

ورواية الحاكم : « النجوم أمان لأهل السماء ، فإذا ذهبت أتاها مايوعدون ، وأنا أمان لأصحابى ماكنت ، فإذا ذهبت أتاهم مايوعَدون ، وأهل بيتى أمان لأمَّتِي ، فإذا ذهب أهل بيتى أتاهم مايُوعَدُون »

وذهاب النجوم يشير إلى قيام الساعة ـ مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ ﴾ (١٧٢)

---

(١٧٢) التكوير ٢

قال القرطبى : روى أبوصالح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لايبقى فى السماء يومئذ نجم إلا سقط فى الأرض حتى يفزع أهل الأرض السابعة مما لقيت وأصاب العليا »

وروى الضحاك عن ابن عباس قال : « انكدرت تساقطت . . . . وذلك أنها قناديل معلقة بين السماء والأرض ، فإذا جاءت النفخة الأولى مات من فى الأرض ومن فى السموات فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت »(١٧٣)

الحديث الثانى والعشرون

أخرج البزار عن أبى هريرة قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم :« إنى قد خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما ـ كتاب الله وعيبتى ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض » .

ورد هذا الحديث فى :

ميزان الاعتدال : ٣٨٣١

ولفظ الميزان : « . . . . كتاب الله وسُنَّتِى . . . » وهو المشهور .

وفى الصحاح والعيْبَة : مايُجْعَلُ فيه الثياب . . والجَمْع عِيب مثل : بَدْرَة وبِدر ، وعِيَاب وعَيْبَات .

وفى مجمع الزوائد ٩ / ١٦٣ . مانصُّه : « إنِّى خَلفت فيكم اثنين لن تضلُّوا بعدهما أبداً ـ كِتَابَ الله ، ونَسَبِى ، ولن يتفرَّقَا حتَّى يَرِدَا علىَّ الحَوْض » رواه البزار .

---

(١٧٣) تفسير القرطبى جـ١٩ سورة التكوير

وفى الجمع بين كتاب الله والعترة ، دليل على أن أهل البيت سيظلون محافظين على هذا الدين المتمثل فى كتاب الله والسنة الشريفة المطهرة إلى ماشاء الله .

وقد جمع أهل البيت سنة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحافظوا عليها بروايتهم وأسانيدهم وكانوا أعلاماً هداة متقين ، يحافظون على الشريعة الغرّاء وآدابها ، لايفرطون فيها قيد شعرة .

الحديث الثالث والعشرون

أخرج البزار عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :« إنى مقبوض وإنى قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى وإنكم لن تضلوا بعدهما » .

ورد هذا الحديث فى :

مجمع الزوائد : ٩ / ١٦٣ ، ولفظه : عن علىٍّ بن أبى طالب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إنّى مَقْبُوضٌ ، وإنّى قد تركت فيكم الثقلين ـ يعنى كتاب الله ، وأهل بيتى ، وإنكم لن تضلوا بَعدَهُمَا ، وإنَّه لن تقوم السَّاعة حتَّى يُبْتَغَى أصحابُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما تبتغى الضَّالَّة فلا تُوجَدُ » رواه البزار وتبتغَى : تُطلَبُ وتُنشَدُ .

وهذا الحديث يؤكد فى مضمونه الحديث السابق . ويعرف هذا الحديث بحديث الثقلين ، وقد ورد هذا الحديث بأساليب متعددة وطرق مختلفة . . . . ومن هذه الأحاديث مارواه السيوطى فى جمع الجوامع ، وقال : ذكره الطبرانى عن أبى الطفيل عن زيد بن أرقم ، قال ـ قال النبى

ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إنى لاأجد لنبى إلا نصف عمر الذى كان قبله ، وإنى أوشك أن أدعى فأجيب ، فما أنتم قائلون ؟

قالوا : نصحت .

قال : أليس تشهدون ألَّا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث بعد الموت حق ؟

قالوا : نشهد .

قال : وأنا أشهد معكم ، ألا تسمعون ؟ فإنى فرطُكم على الحوض ، وأنتم واردون علىَّ الحوض ، وإن عرضه أبعد مابين صنعاء وبُصرى ، فيه أقداح عدد النجوم من فضة ، فانظروا كيف تخلفونى فى الثقلين .

قالوا : وماالثقلان يارسول الله ؟

قال : كتاب الله ـ طرف بيد الله وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به لاتضلوا ، والآخر عترتى ـ وإن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض ، فسألت ذلك لهما ربى . .

هذا الحديث فى جمع الجوامع للسيوطى برقم ٣٦٢٧ / ٨١١٥ الجزء الأول صـ٢٨٩٦ ط مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة ـ

وقالت لجنة التحقيق : هذا الحديث فى مجمع الزوائد جـ٩ صـ١٦٣ باب فى فضل أهل البيت ، وقال الهيثمى : وفيه حكيم بن جبيرة وهو ضعيف .

إلا أن كثرة طرق هذا الحديث وأسانيده يقوى بعضها بعضاً .

وفى هذا دعوة إلى ضرورة التمسك بما جاء فى القرآن الكريم ومعرفة

فضل أهل البيت ، والاعتراف بحقهم ، والاحتفاظ لهم بمنزلتهم التى وضعهم الله ـ تعالى فيها .

الحديث الرابع والعشرون

أخرج البزار عن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مثل أهل البيت مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق »

المعجم الكبير للطبرانى : ١٢ / ٣٤ ، مجمع الزوائد : ٩ / ١٦٩ ، كنز العمال : ٣٤١٥١ مصنف ابن أبى شيبة : ١ /١٥١ ، ١٥٦ ، حلية الأولياء : ٤ /٣٠٦ ، المستدرك ٢ /٣٤٣ ، الدر المنثور : ٣ /٣٣٤ .

ولفظ المستدرك : « مَثَلُ أهل بَيْتِى مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ من ركبهانجا ، ومن تخلَّفَ عنها غَرِق » ولفظ مجمع الزوائد : « مثَل أهل بَيْتِى كمثل سفينة نوحٍ من رَكِبَ فِيهَا نجا ، ومن تَخلفَّ عَنْهَا غَرِقَ » .

وخرجَّه الحافظ السيوطى أيضاً فى الجامع الصغير صـ٣٩١ ط دار القلم بالقاهرة عن البزار عن الإمامين ابن عباس وابن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ وعن الحاكم عن سيدنا أبى ذر ، ورمز له بالحسن .

والمعروف أن سفينة نوح كانت النجاة لمن ركبها ، ولم يتخلف عنها إلا من أراد الله شقاوته ، قال الله فى حق هذه السفينة

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ (١٧٤)

الحديث الخامس والعشرون

أخرج البزار عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

هذا الحديث فى :

مجمع الزوائد : ٩ / ١٦٨ باب ـ فضل أهل البيت ـ رضى الله عنهم ـ بلفظ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق»

رواه البزار ، والطبرانى . . . . وعن عبدالله بن الزبير أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها سلم ، ومن تركها غرق»

والحديث فى الحلية جـ٤ صـ٣٠٦ بلفظ : حدثنا عبدالله بن جعفر قال : ثنا إسماعيل بن عبدالله ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا الحسن بن أبى جعفر ، عن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مثل أهل بيتى . . الحديث . .

قال أبونعيم : وهو غريب لم نكتبه إلا من هذا الوجه .

---

(١٧٤) سورة هود ٤٠ ، ٤١

وقد ورد هذا الحديث فى الجامع الصغير برقم ٨١٦٢ من رواية البزار عن ابن عباس ، وعن ابن الزبير ، ومن رواية الحاكم عن أبى ذر ، ورمز المصنف لحسنه

قال المناوى ، وفى رواية : هلك ـ بدلاً من غرق ـ

ومن ثم ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء فى كل زمن لايكون إلا منهم ، ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة جدهم ، وأخذا بهدى علمائهم ـ نجا . . . . . ومن تخلف عن ذلك غرق ، وهلك

وجاء هذا الحديث أيضاً فى جمع الجوامع جـ٣ صـ٣١١٠ برقم ١٣٤١ /١٩٧١٣ ط مجمع البحوث الإسلامية ، وورد كذلك فى كنز العمال برقم ٣٤١٧٠ .

الحديث السادس والعشرون

أخرج الطبرانى عن أبى ذر رضى الله عنه ـ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول : «مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح فى قوم نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، ومثل باب حطة فى بنى إسرئيل» .

المعجم الكبير للطبرانى : ٣ /٣٨ ، كنز العمال : ٣٤١٧٠

. . وفى مجمع الزوائد ٩ /١٦٨ ـ عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إنَّمَا مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وإنَّما مَثَلُ أهل بَيْتِى فيكم مَثَلُ باب حِطَّةٍ فى بنى إسرائيل من دخله غفر له » رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

وفى تاج العروس فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١٧٥)

أى : قولوا حُطَّ عنَّا ذنوبنا وأوزارنا . وقال ابن عرفة : وكان قد طُؤْطِىء لهمُ الباب ليدخلوه سُجَّداً فقالوا :

حِنْطَةٌ ـ بالنون ـ ودَخلوا على أسْتَاهِهِمْ .

وروى السيوطى هذا الحديث فى جمع الجوامع جـ٣ صـ٣١١١ برقم ١٣٤٢ / ١٩٧١٤ عن أبى ذر الغفارى . وفى رواية مجمع الزوائد عن أبى ذر فى باب فضل أهل البيت ، ورواه عن البزار والطبرانى .

الحديث السابع والعشرون

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول : «إنما مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له»

ورد هذا الحديث فى :

أمالى الشجرى : ١ /١٥٢ ط بيروت ، كنز العمال : ٣٤١٦٩ ،

---

(١٧٥) البقرة ٥٨

المطالب العالية لابن حجر : ٤٠٠٣ ، المعجم الصغير للطبرانى ٢ /٢٢

وجاء فى جمع الجوامع حـ ١ صـ٢٧٤٦ عن أبى ذر « إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك » ـ رواه ابن جرير عن أبى ذر .

وفى مجمع الزوائد حـ٩ صـ١٦٨ باب فضل أهل البيت ـ رضى الله عنهم ـ أحاديث عن أبى ذر وابن عباس ، وعبدالله بن الزبير ، وأبى سعيد الخدرى ، وكلها بدون إنما إلا رواية أبى سعيد .

وحديث جمع الجوامع برقم ٣٣١٩ / ٧٨٠٥ .

وتفسير حطة بنى إسرائيل أشرنا إليها فى الحديث السابق ، ونزيدها توضيحاً فنقول : حين خالف بنو إسرائيل ـ فتح الله أمامهم باب التوبة ـ فقال لهم : « وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم » ـ البقرة ٥٨ ـ

والباب الذى أمروا بدخوله هو باب فى بيت المقدس يعرف اليوم بباب « حطة »

وقرئت « حطة » بالفتح على معنى : احطط عنا ذنوبنا حطة ، وقيل : معناها مغفرة . . وهى لفظة تفيد الاستغفار وطلب الرحمة ، وقال بعضهم فى معناها : قولوا : لاإله إلا الله . . ولو قالوا ذلك غفر الله لهم واستجاب دعاءهم ، ولكنهم استكبروا عناداً ، ولم ينطقوا بالكلمة التى أمروا بها فعاقبهم الله بالرجز ـ القرطبى جـ١ صـ٤١١ ـ

وتشبيه أهل البيت بباب حطة يفيد أن كليهما سبب من أسباب الرحمة التى وضعها الله ، فى الأرض لعباده . .

الحديث الثامن والعشرون

أخرج البخارى فى تاريخه عن الحسن بن على عليهما السلام ، قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحب أهل بيته» .

ورد هذا الحديث فى :

الدر المنثور : ٦ /٧ ، كشف الخفاء للعجلونى : ٢ /٢٠٩

هذا الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى يفيد ضرورة التمسك بحب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحب أهل بيته .

وفيه رد على الشيعة الذين يتعصبون ضد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبخاصة أبوبكر وعمر ، حيث يزعمون أنهما اغتصبا حق الإمام على فى الخلافة . .

فلا يكمل إيمان المرء إلا إذا أحب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم جميعاً ، وفى حبهم حب أهل البيت الذين لم ينكروا على أى من الصحابة الذين تولوا الخلافة قبل علىّ . . .

ويعد هذا الحديث من أفضل الأحاديث التى تدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية وعدم التفريق بين صفوفها ، فلا ينبغى أن يكون هناك روافض أو نواصب أو خوارج .

والروافض هم الذين يرفضون غير على ، والنواصب هم الذين يتولون أبابكر وعمر وينالون ممن جاء بعدهما . والخوارج هم الذين فرقوا كلمة الأمة وخرجوا على الإمام على ومن جاء بعده من الخلفاء .

الحديث التاسع والعشرون

أخرج الطبرانى عن عمر رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لكل بنى أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فإنى عصبتهم فأنا أبوهم».

المعجم الكبير للطبرانى : ٣ / ٣٥ ـ مجمع الزوائد : ٤ / ٢٢٤ ، ٦ / ٣٠١ كنز العمال : ٣٤٢٦٧ . السلسلة الضعيفة للألبانى : ٨٠٢ . . .
ولفظ مجمع الزوائد : « كل بنى أنثى فإنَّ عُصْبَتَهم لأبيهم ماخلا بنى فاطمة ، فإنِّى أنا عُصْبَتُهُمْ وأنا أبوهم »

وفى الصحاح : وعصبة الرجل : بنوه وقرابته لأبيه ، وإنَّما سُمُّوا عَصَبَة لأنهم عصبوا به : أى أحاطوا به . . فالأب طَرَف ، والعَمّ جانِب ، والأخ جانِبٌ . . والجمع العصبات .

وأخرج الحاكم فى المستدرك ـ كتاب معرفة الصحابة ـ باب مناقب الحسن والحسين جـ٣ صـ١٦٤ ـ قال : حدثنا أبوبكر بن أبى دارم ـ الحافظ بالكوفة ـ فى سند متصل بجابر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لكل بنى أم عصبة ينتمون إليهم إلا ابنى فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما »
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وراجع جمع الجوامع جـ٣ صـ٨٦٥ ـ ط مجمع البحوث الإسلامية ـ

وأخرج السيوطى أيضاً فى ـ جمع الجوامع ـ الحديث المتقدم بلفظ « كل بنى أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فإنى أنا عصبتهم وأنا أبوهم »

وقال : أخرجه الطبرانى وأبونعيم فى المعرفة عن عمر

راجع جمع الجوامع جـ٣ صـ١٧٢ ط مجمع البحوث الإسلامية .

الحديث الثلاثون

أخرج الحاكم عن جابر قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل بنى أم ينتمون إلى عصبة ، إلا ولدى فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما .

المستدرك : ٣ / ١٦٤

مجمع الزوائد : ٩ / ١٧٢ ، كشف الخفاء : ٢ / ١٧٥

ولفظ المستدرك : « لِكُلِّ بنى أمٍّ عَصَبَة ينتمون إليهِمْ ، إلا ابنى فاطمة فأنا وليُّهما وعَصَبَتهما » .

ولفظ مجمع الزوائد : « كل بنى أمٍّ ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليُّهُمْ وأنا عَصَبَتُهُمْ »

وفى الصحاح : الولى : ضدُّ العدو . . والوَلِىّ : الصِّهْرُ وكل مَنْ وَلِىَ أمر واحدٍ فهو وَلِيُّه .

وفى جمع الجوامع « كل بنى آدم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم »

برقم ١٩٦ / ١٦٥٨٩ جـ٣ صـ١٧٣

وهذا الحديث فى تاريخ بغداد للخطيب جـ١١ صـ٢٨٥ عن فاطمة بنت حسين عن فاطمة الكبرى .

وهذه خصوصية للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيره من البشر ـ فقد أراد الله أن يحفظ نسله فى ابنته سيدة نساء العالمين .

الحديث الحادى والثلاثون

أخرج الحاكم عن جابر قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم »: « لكل بنى أم عصبة ينتمون إليهم إلا ابنى فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما »

المستدرك : ٣ / ١٦٤ ، الحاوى للفتاوى للسيوطى : ٢ /٨٣ المطالب العالية لابن حجر : ٣٩٩٧ دار التراث الإسلامى

ذكره السيوطى فى جمع الجوامع عن الحاكم فى معرفة الصحابة ، وقد سبق أن ذكرنا ذلك وقد ضعف الذهبى هذا الحديث . .

وللحديث طرق أخرى ورواية أخرى عن فاطمة الزهراء . . . أخرج الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الفرائض ـ باب العصبة ـ جـ٤ صـ٢٢٤ عن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ « لكل بنى أنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم »

الحديث الثانى والثلاثون

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب يقول للناس حين تزوج بنت على ـ رضى الله عنه ـ ألا تهنئونى ـ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :«ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببى ونسبى » .

المعجم الكبير للطبرانى : ٣ / ٣٧ . حلية الأولياء - ٧ / ٣١٤ . مجمع الزوائد ٩ / ١٧٣ وفى الصحاح السبَبُ : الحَبْلُ ، والسبَبُ - أيضاً - كلُّ شيءٍ يُتَوَصَّلُ به إلى غيره . والسَّبَبُ : اعتلاق قرابة .

والحديثان القادمان بمعنى هذا الحديث .

الحديث الثالث والثلاثون

أخرج الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال - قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى ».

المعجم الكبير للطبرانى : ٣ / ٣٦ السنن الكبرى للبيهقى : ٧ / ١١٤ المستدرك : ٣ / ١٤٢

مجمع الزوائد : ٤ / ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٩ / ١٧٣ ، ١٩٤ . الدر المنثور : ٥ / ١٥ ، كنز العمال : ٣١٩١٤ ، ٣٧٥٨٦ ، ٤٥٧٧٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ١٠٤

ولفظ المستدرك . . . . . عن عليٍّ بن الحسين أنَّ عُمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خطب إلى عليٍّ - رضى الله عنه - ابنته أمَّ كلثوم - فقال عمر : أنكحنيها فوالله ما من الناس أحد يرصُدُ من أمرها ماأرصده فأنكحه عليٌّ ، فأتى عمر المهاجرين فقال : ألا تهنئونى ؟ فقالوا : بمَن ياأمير المؤمنين ؟ فقال : بأمِّ كلثوم بنت عليٍّ وابنة فاطمة بنت رسول الله - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - إنى سمعت رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « كل نسبٍ وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ماكان من سببى ونسبى » فأحببت أن

يكون بينى وبين رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ نَسَب وسَبَب .

الحديث الرابع والثلاثون

أخرج ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى» .

تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : ٦ / ٢٧ ، ٢٨ ، مجمع الزوائد : ١٠ / ١٧ ، الكامل فى الضعفاء لابن عدى : ١ / ٢٧٠ الدر المنثور : ٥ / ١٥ ، كنز العمال : ٣١٩١٥ ، تفسير ابن كثير : ٥ / ٤٩٠

وفى تاج العروس الصِّهْرُ ـ بالكسر ـ القرابة وخَتَن الرجل : صِهْرُه ، والجمع أصْهارُ وصُهَرَاء ـ الأخيرة نادرة . وقيل : أهل بَيْتِ المرأة أصهار ، وأهل بيت الرجل أختان ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأختان والأحماء جميعاً

ونضيف إلى ماسبق من قصة زواج عمر من أم كلثوم :

روى زيد بن أسلم عن أبيه قال : دعا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على بن أبى طالب ، فخطب إليه أم كلثوم ثم قام على ، فجاء الصُّفَّة ، فوجد العباس وعقيلاً والحسين ، فشاورهم فى تزويج أم كلثوم عمر .

فغضب عقيل وقال : والله لئن فعلت ليكونن وليكونن ، لأشياء عدها ، ومضى يجر ثوبه .

فقال على للعباس : والله ماذاك رغبة ياعقيل ، ولكن أخبرنى عمر بن

الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى » . . . فضحك ـ رضى الله عنه ـ جمع الجوامع ـ وقد تحدثنا عن هذه القصة فى « أم كلثوم بنت على » سلسلة أهل البيت .

وأعقبت أم كلثوم من عمر ابنها زيد بن عمر ، وتوفيت هى وهو فى وقت واحد .

وتزوجها بعد عمر ـ عون بن جعفر بن أبى طالب ـ أسد الغابة ٧ /٣٨٧ ـ

الحديث الخامس والثلاثون

أخرج الحاكم عن ابن عباس قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف . »

المستدرك : ٣ /١٤٩

وفى رواية لهذا الحديث سبقت : « النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض . . » ومعنى الرواية التى بين أيدينا أن النجوم هداية للناس ، يعرفون بها طريقهم ، ويهتدون بها فى سراهم .

أما الغرق الذى يشير إليه الحديث فهو الضلال الذى يترتب على الظلام ، وقد يهتدى راكب البحر بالنجوم فيصل إلى شاطىء النجاة بسلام .

الحديث السادس والثلاثون

أخرج الحاكم عن أنس قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ، ولى بالبلاغ أنه لايعذبهم»

ورد هذا الحديث فى :

المستدرك : ٣ / ١٥٠ كنز العمال : ٣٤١٥٦ ، الكامل فى الضعفاء لابن عدى : ٥ / ١٧٠٤

ومدلول الحديث يشير إلى نجاة الذى صدق بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآمن بدعوته ، من أهل البيت .

وقد كان هناك معارضون للدعوة الإسلامية من أقرباء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم تنفعهم قرابتهم شيئاً ـ والقرآن الكريم ينزل ناعياً على أبى لهب وامرأته ـ كفرهما وضلالهما وأبولهب ـ واسمه عبدالعزى بن عبدالمطلب ـ هو عم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال ـ تعالى :

« تبت يدا أبى لهب وتب ، ماأغنى عنه ماله وماكسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد » سورة المسد

ومازال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلح على عمه أبى طالب فى مرض موته أن ينطق بالشهادتين لينجو ، ولكنه أبى ، فحزن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك . فنزل قوله ـ تعالى :

« انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » ـ القصص ٥٦

فالناجى من أهل البيت هم الذين آمنوا بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصدقوه ، واتبعوه

الحديث السابع والثلاثون

أخرج ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى . . » قال من رضا محمد أن لايدخل أحد من أهل بيته النار .

ورد هذا الحديث فى :

جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ١٥ /٢٣٢ دار الفكر

ولاشك أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرضيه ألا يعذب الله أحداً من أهل بيته ويرضيه كذلك ألا يعذب الله أحداً من أمته ، وهذا دليل على شمول رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد جعله الله رحمة للعالمين

جاء فى تفسير القرطبى :

عن على بن عبدالله بن عباس عن أبيه قال : أُرِىَ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماهو مفتوح على أمته فسر بذلك ، فأنزل الله ـ عز وجل « والضحى ـ إلى قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى »

فأعطاه الله ـ جل ثناؤه ألف قصر فى الجنة . .

وعنه قال : رضا محمد ألا يدخل أحد من أهل بيته النار

وقال السدى : هى الشفاعة فى جميع المؤمنين

وعن على ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ : « يشفعنى ربى فى أمتى حتى يقول الله ـ سبحانه ـ لى : رضيت يامحمد ؟ فأقول : يارب رضيت »

وفى صحيح مسلم .. رفع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه وقال : « اللهم أمتى أمتى » وبكى فقال الله لجبريل : اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله مايبكيك »

فأتى جبريل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله فأخبره

فقال الله ـ تعالى ـ لجبريل : اذهب إلى محمد فقل له : إن الله يقول لك إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك »

قال على لأهل العراق : إنكم تقولون إن أرجى آية فى كتاب الله ـ تعالى ـ

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾[176]

ولكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية فى كتاب الله ـ تعالى ـ قوله ـ تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى »

وفى الحديث : لما نزلت هذه الآية قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا والله لاأرضى وأحد من أمتى فى النار »[177]

---

(١٧٦) سورة الزمر ٥٣

(١٧٧) القرطبى جـ٢٠ ص٩٥

الحديث الثامن والثلاثون

أخرج البزار وأبويعلى والعقيلى والطبرانى وابن شاهين عن ابن مسعود قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن فاطمة أحصنت فرجها، فحرم الله ذريتها على النار».

ورد هذا الحديث فى :

المستدرك : ٣ / ١٥٢ مجمع الزوائد : ٩ / ٢٠٢ ، كنز العمال : ٣٤٢٢٠ ، ٣٤٢٣٩ ، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٣٢٣ ، تاريخ أصبهان لأبى نعيم : ١ / ٣٤٢ ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : ٣ / ٥٤ بيروت ، حلية الأولياء لأبى نعيم : ٤ / ١٨٨ ـ الموضوعات لابن الجوزى : ١ / ٤٢٢ ط أولى ، ميزان الاعتدال ٦١٨٣ ، ٦٤٠٥ ـ ط عيسى الحلبى لسان الميزان لابن حجر : ٤ / ٩١٠ . الأعلمى دار الفكر ـ بيروت .

اللآلىء المصنوعة للسيوطى : ١ / ٢٠٨ دار الكتاب العربى بمصر الضعفاء للعقيلى : ٣ / ١٨٤ ، المطالب العالية لابن حجر : ٣٩٨٧ السلسلة الصحيحة للألبانى : ٢ / ٤٤١ الكامل فى الضعفاء لابن عدى : ٥ / ١٧١٤ السلسلة الضعيفة للألبانى : ٤٥٦٤ المكتب الإسلامى .

وفى الصحاح ـ أحصنت المرأة ـ عَفَّتْ . قال ثعلب : كلُّ امرأة عفيفة مُحْصَنَة ومُحْصِنَة ـ بكسر الصاد وفتحها ـ وكلُّ امرأة متزوِّجَةٍ مُحْصَنة بالفتح لاغير

والحديث التالى فيه توضيح لهذا الحديث .

الحديث التاسع والثلاثون

أخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفاطمة عليها السلام ، «إن الله تعالى غير معذبك ولا ولدك» .

ورد هذا الحديث فى :

المعجم الكبير للطبرانى : ١١ /٢٦٣ ، مجمع الزوائد : ٩ /٢٠٢ ـ كنز العمال : ٣٤٢٣٦ اللآلىء المصنوعة : ١ /٢٠٨ السلسلة الضعيفة للألبانى : ٤٥٧ .

وسيأتى فى الأحاديث القادمة مايشير إلى أن المحسن من أهل البيت له أجره ، كما أن المسىء عليه وزره .

والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يكون أهل بيته قدوة لغيرهم من المسلمين ، ولا تكتمل القدوة إلا بالتخلق بالأخلاق الفاضلة التى كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخلق بها .

وإذا صح هذا الحديث فإنه ينطبق على الحسن والحسين وما سار على الجادة من هذا العقب الطيب .

الحديث الأربعون

أخرج الترمذى وحسنه عن جابر قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ياأيها الناس إنى تركت فيكم ماإن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى» .

صحيح الترمذى : ٣٧٨٦ ، السنن الكبرى للبيهقى : ١٠ / ١١٤ . الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى : ١ / ٩٤ بيروت . السنة لابن أبى عاصم : ٢ / ٦٤٣ المكتب الإسلامى : السلسلة الصحيحة للألبانى : ١٧٦١ .

وقد سبق مثل هذا الحديث الذى روى من طرق متعددة .

الحديث الحادى والأربعون

أخرج الخطيب فى تاريخه عن على عليه السلام قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، « شفاعتى لأمتى مَنْ أحب أهل بيتى » .

هذا الحديث ورد فى :

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : ٢ / ١٤٦ . كنز العمال : ٣٤١٧٩ ، ٣٩٠٥٧ . . . . ومعناه أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشفع إن شاء الله لمن أحب أهل بيته ، وأخرج السيوطى هذا الحديث فى جمع الجوامع برقم ٥٣ / ١٤٩٣٦ جـ٢ صـ٢٦٥٢ ط مجمع البحوث الإسلامية ، ولفظه « شفاعتى لأمتى ـ من أحب أهل بيتى وهم شيعتى »

وقالت لجنة التحقيق : الحديث فى تاريخ بغداد عند الترجمة لمحمد بن جعفر المعروف بأبى قيراط .

وسنده : أخبرنا أبومعاذ عبدالغالب بن جعفر الضراب ، قال : نبأنا محمد بن إسماعيل الوراق ، قال : حدثنى محمد بن جعفر بن محمد بن الحسن بن جعفر العلوى ، قال : أنبأنا سليمان بن على الكاتب ، قال

القاسم : حدثنى القاسم بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن عمر بن على بن أبى طالب قال : حدثنى أبى عن أبيه ، عن جده محمد بن عمر عن أبيه عمر بن على عن أبيه على بن أبى طالب قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . . وذكر الحديث .

قال المناوى : (من أحب أهل بيتى) بدل (من أمتى) وهذا لاينافى قوله لفاطمة ـ التى هى منه بتلك المزية الكبرى ـ وقال فيها : « فاطمة بضعة منى » ـ : « لا أغنى عنها شيئاً » لأن المراد إلا بإذن الله ، والشفاعة إنما هى لمن شاء الله الشفاعة له « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » راجع جمع الجوامع ـ

الحديث الثانى والأربعون

أخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى » .

ورد هذا الحديث فى :

مجمع الزوائد : ١٠ / ٣٨٠ . المعجم الكبير للطبرانى : ١٢ / ٤٢١ .

وقد ورد هذا الحديث أيضاً فى الجامع الصغير برقم ٢٨٣٠

برواية :« أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى أهل بيتى ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ، ثم الأنصار ، ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن ، ثم من سائر العرب ، ثم الأعاجم . . . . »

قالت لجنة التحقيق لجمع الجوامع : ورمز السيوطى لهذا الحديث

بالضعف ، وجاء فى المناوى : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : فيه من لم أعرفهم ، ورواه الدارقطنى فى الأفراد .

جاء فى مجمع الزوائد : « وأول من أشفع له أولوا الفضل »
وهذا الحديث رواه ابن عمر .

وهناك حديث آخر ـ يختلف عن هذا الحديث ـ هو مارواه عبدالله بن جعفر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف »

وأورده السيوطى فى الصغير برقم ٢٨٣١ ورمز له بالصحة .

ويمكن التوفيق بين الحديثين بأن أهل بيته إنما هم من أهل المدينة ومكة والطائف .

الحديث الثالث والأربعون

أخرج الطبرانى عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه ، قال خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجحفة ، فقال « ألست أولى بكم من أنفسكم ، قالوا بلى يارسول الله ، قال فإنى سائلكم عن اثنين عن القرآن ، وعترتى » .

ورد هذا الحديث فى :
المعجم الكبير للطبرانى : ٥ / ٢٢١ . السنّة لابن أبى عاصم : ٢ / ٦٠٦ . .

والاستفهام فى الحديث تقريرى : أى أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم ولذا أجاب صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ بالإثبات ، وعلى هذا فهم مسئولون عن القرآن والعمل به ، وأهل البيت وحُبِّهم .

وقد ورد هذا الحديث بمعناه فيما سبق .

الحديث الرابع والأربعون

أخرج الطبرانى عن ابن عباس قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن ماله فيم أنفقه ، ومن أين اكتسبه ، وعن محبته أهل البيت» .

ورد هذا الحديث فى :

المعجم الكبير للطبرانى : ١١/ ١٠٢

والمعنى ـ لاتتحرَّك قدمُ العبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فى أىِّ شىء ضيَّعه ؟ وعن جسده فى أىِّ شىء أجهده وأنهكه حتَّى بَلِيَ ؟ وعن ماله فى أىِّ وجوه الخير أو الشر أنفقه وأتلفه ؟ ومن أىِّ طريق اكتسبه ، وعن محبته لأهل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فحبهم أحدُ أركان الأسئلة الأربعة ، لأنَّ حبَّهم من حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وصدق الفرزدق فى قوله لعلى زين العابدين :

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجىً ومعتصم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الفضل قيل هم

مقـدم بعـد ذكـر اللـه ذكرهـم في كـل بـدء ومختـوم بـه الكـلم[١٧٨]

الحديث الخامس والأربعون

أخرج الديلمي عن علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: يقول «أول من يرد على الحوض أهل بيتي».

ورد هذا الحديث في :

إتحاف السادة المتقين : ١٠ /٥٠٨ ـ السنة لابن أبي عاصم : ٢ /٣٤٨ كنز العمال : ٣٤١٧٨ ـ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي : ٢٥ ـ وأورد السيوطي في جمع الجوامع بعض أحاديث تدور حول أول من يرد الحوض على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها :

- « أولكم وارداً على الحوض أولكم إسلاماً ـ علي بن أبي طالب » وقال : أورده الحاكم ولم يصححه ، والخطيب عن سلمان .

- « أول من يشرب من حوضي صهيب الرومي ،[١٧٩] وأول من يأكل من ثمرة الجنة أبوالدحداح ،[١٨٠]

وأول من تصافحه الملائكة في مفازة القيامة أبوالدرداء »[١٨١]

---

(١٧٨) زهر الآداب للحصري جـ١ صـ١٠٤

(١٧٩) صهيب بن سنان الرومي كان من السابقين إلى الاسلام . . .

(١٨٠) أبو الدحداح وقيل أبوالدحداحة ـ أنصاري ، ولا يذكر له اسم ـ وقيل اسمه ثابت بن الدحداح كان له موقف يوم أحد استحق به هذه التزكية . واستشهد في المعركة . ـ أسد الغابة ـ

(١٨١) أبو الدرداء هو عويمر بن عامر ـ كان آخر أهل داره إسلاماً ولكنه حسن إسلامه وكان فقيها عاقلاً حكيماً ـ آخى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين سلمان الفارسي ـ توفي في خلافة عثمان قبل مقتله بسنتين ـ أسد الغابة ـ

وقال : أخرجه الديلمى عن ابن عباس .

● أول من يرد الحوض يوم القيامة المتحابون فى الله »
أخرجه الديلمى عن أبى الدرداء

هذه الآثار الثلاثة من جمع الجوامع للسيوطى جـ١ صـ٣٢٠٧ صـ٣٢٣٩ صـ٣٢٤٣

الحديث السادس والأربعون

أخرج الديلمى عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال ، حب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وعلى قراءة القرآن ، فإن حملة القرآن فى ظله مع أنبياء الله وأصفيائه».

ورد هذا الحديث فى :

كشف الخفاء للعجلونى : ١ / ٧٦ . كنز العمال : ٤٥٤٠٩

وفى الصحاح : الصفاء ـ ممدود ضد الكَدَر ، وصَفْوَة الشيء خالصه ، ومحمَّد صفوة الله من خلقه ومصطفاه ، والصَّفِى : المصافى ، وأصفيته الودَّ : أخلصته له ، واصْطفَيْتُه : اخترته .

وأخرجه السيوطى فى جامع الأحاديث [الجامع الصغير وزوائده ، والجامع الكبير] بجمع وترتيب عباس أحمد صقر ، وأحمد عبدالجواد ـ جـ١ صـ١٧٠ برقم ٧٨٢ بلفظ « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وقراءة القرآن ، فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم القيامة يوم لاظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه »

قال : أخرجه أبونصر عبدالكريم الشيرازى في فوائده ، والديلمى فى مسند الفردوس ، وابن النجار عن على - رضى الله عنه -

الحديث السابع والأربعون

أخرج الديلمى عن على رضى الله عنه قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتى وأصحابى».

ورد هذا الحديث فى :

كنز العمال : ٣٤١٦٣ ، الكامل فى الضعفاء لابن عدى : ٦ / ٢٣٠٤ . . .

حبُّ أهل البيت وأصحاب رسول الله من العبادات والطاعات التى يثبت المولى - عزَّ وجلَّ - القدمَ بها على الصراط - وهو جسر ممدود على ظهر جهنَّم أدقُّ من الشعرة ، وأحدُّ من السيف .

وقد ورد هذا الحديث فى جامع الأحاديث بلفظ « أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتى وأصحابى »

وقال : أخرجه ابن عدى فى الكامل ، والديلمى فى مسند الفردوس عن على كرم الله وجهه .

وهو حديث يشير إلى فضل التمسك بحب أهل البيت ومودتهم ، وأن ذلك سبب من أسباب النجاة يوم القيامة .

الحديث الثامن والأربعون

أخرج الديلمى عن على عليه السلام قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى ، والقاضى لهم الحوائج ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه».

ورد هذا الحديث فى :

إتحاف السادة المتقين : ٨ / ٧٣ ، كنز العمال : ٣٤١٨٠

الحب بالقلب واللسان إشارة إلى تلازم وتطابق المَخْبَر والمظهر .

وهذا الحديث الشريف يبين منزلة محب أهل البيت عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو يشفع له يوم القيامة . .

وحب أهل البيت يستتبع إكرامهم وتعظيمهم وإنزالهم منازلهم ، كما يستتبع الإسراع فى قضاء حوائجهم ، وعدم تأخيرها أو التسويف فيها .

ويستتبع أيضاً السعى فى أمورهم ، وتذليل مايعترضها من صعاب ، وإزالة ماأمامها من عقبات .

وحب القلب هو الأساس واللسان ترجمان القلب . .

الحديث التاسع والأربعون

أخرج الديلمى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «واشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى».

كنز العمال : ٣٤١٤٣ ، تجريد التمهيد لابن عبدالبر : ٢٩٨

والحديث فى جامع الأحاديث برقم ٣٠٥٩ جـ١ صـ٥٩١ عن الديلمى فى

مسند الفردوس عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ

وغضب الله مترتب على غضب نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يغضب لإيذاء عترته ، بعد أن أوصى بمودتهم وحفظه فيهم . .

وإيذاء العترة يكون بوجوه ـ منها : التغاضي عنهم ، وعدم إكرامهم ، وجهل حقهم ومنزلتهم ، وتأخير مصالحهم وإهمال أمورهم ، والنيل منهم ، وسبهم وشتمهم . . وغير ذلك من وجوه الإيذاء .

ومن ضمن الإيذاء تكذيبهم أو إسناد أخبار كاذبة إليهم ، أو المبالغة فى أوصافهم ، أو رفعهم فوق مستوى البشرية كما يفعل الجاهلون من الشيعة .

الحديث الخمسون

أخرج الديلمى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :«إن الله يبغض الآكل فوق شبعه ، والغافل عن طاعة ربه ، والتارك لسنة نبيه . والمخفر ذمته ، والمبغض عترة نبيه ، والمؤذى جيرانه».

ورد هذا الحديث فى :

كنز العمال : ٤٤٠٢٩ . كشف الخفاء للعجلونى : ١ / ٢٨٩ ، جمع الجوامع للسيوطى : ٥١٧٥ مجمع البحوث .

وفى تاج العروس : خَفَرَ به خفراً ـ بفتح فسكون وخُفُوراً كقعود كلاهما على القياس : نقض عهده ، وخاس به وغَدَره .

وهذه الخصال الواردة فى الحديث تعد من أسوأ الخصال . .

فالآكل فوق شبعه ورد فى حقه : المؤمن يأكل فى معى واحدة والكافر يأكل فى سبعة أمعاء .

والغافل عن طاعة ربه هو المنافق الذى ورد فى حقه « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » الماعون ـ ٤ ، ٥

والتارك لسنة نبيه هو الذى لايؤمن بقوله ـ تعالى ـ

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » النساء ٨٠

والمخفر ذمته ـ هو الناكث فى عهده الذى ورد فيه وفى أمثاله قوله ـ تعالى « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » ـ الرعد ٢٥

والمبغض عترة نبيه داخل فى دائرة قطع رحم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير مستجيب لأمر الله فى مودة أهل بيت رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والمؤذى جيرانه خارج على حدود الإيمان بمقتضى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره »

الحديث الحادى والخمسون

أخرج الديلمى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أهل بيتى والأنصار كرشى وعيبتى وصحابى ، وموضع سرتى وأمانتى ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » .

الحديث ورد فى :

كنز العمال : ٣٣٧٢٨

وفى الصحاح ؛ الكَرِش بمنزلة المعدة للإنسان تؤنثها العرب وفيها لغتان : كَرِش وكِرْش ـ مثل : كَبِد وكِبْد ، وكرش الرجل ـ أيضاً ـ عياله من صغار ولده ، والكرش ـ أيضاً ـ الجماعة من الناس ومنه الحديث : « الأنصار كَرِشي وعَيْبَتى » وفى الصحاح أيضا : السِّرّ : الذى يُكْتم والجمع أسرار ، والسريرة مثله والجمع سرائر . .

وقد سبق شرح مثل هذا الحديث .

وورد هذا الحديث فى جمع الجوامع برقم ٤٢ / ٨٦٦٩ جـ١ صـ٣١٥٢

كما ورد فى مجمع الزوائد جـ١٠ صـ٣٠ كتاب المناقب ـ باب فى فضل الأنصار ـ ففيه حديث أبى سعيد هذا من رواية أحمد وأبى يعلى وهى حسنة ، وهذا الحديث كناية عن أنهم خاصته وموضع سره ، وهم لهذا أحرص الناس عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ راجع جمع الجوامع للسيوطى .

الحديث الثانى والخمسون

أخرج أبونعيم فى الحلية عن عثمان بن عفان ، ـ رضى الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .« من أولى رجلاً من بنى عبدالمطلب معروفاً فى الدنيا فلم يقدر المطلبى على مكافأته ، فأنا أكافئه عنه يوم القيامة » .

هذا الحديث ورد فى :

حلية الأولياء لأبى نعيم : ١٠ /٣٩٦ ، كنز العمال : ١٧٠٣٢ . علل الحديث لابن أبى حاتم الرازى : ٢٦٣٦ .

وهذا الحديث والحديثان بعده يدوران حول معنى واحد .

وقد ذكر السيوطى هذا الحديث فى جمع الجوامع برقم ٢٤٠١ /٢٠٧٧٣ جـ٤ صـ٢٣٧ ط مجمع البحوث الإسلامية .

وذكرت لجنة التحقيق : أن الحديث فى حلية الأولياء فى حديث سعيد بن عبدالعزيز جـ١٠ صـ٣٦٦ رقم ٦٤٥ وسنده هو ـ حدثنا محمد بن المظفر ، ثنا سعيد بن عبدالعزيز بن مروان ، ثنا أبو نعيم عبيد بن هشام ، ثنا حفص بن عمران الواسطى ثنا عمرو بن كثير عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . . من أولى . . الحديث »

الحديث الثالث والخمسون

أخرج الخطيب عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: « من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبدالمطلب فى الدنيا فعلىَّ مكافئته إذا لقينى » .

هذا الحديث ورد فى :

العلل المتناهية : لابن الجوزى : ١ /٢٨٦ الهند

فى الصحاح : الْخَلْفُ والْخَلَفُ : ماجاء من بَعْد ، يقال : هو خَلْفُ سَوْءٍ من أبيه ، وخَلَفُ صدق من أبيه بالتحريك إذا قام مقامه ، وقال الأخفش : هما سواء ، ومنهم من يسكن فيهما جميعاً إذا أضاف ، ومنهم من يقول : خَلَفَ صِدْقٍ بالتحريك ويسكِّن الآخر ، ويريد بذلك الفرق بينهما .

الحديث الرابع والخمسون

أخرج ابن عساكر عن على ـ عليه السلام ـ

قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: « من صنع إلى أحد من أهل بيتي يداً كافأته يوم القيامة » .

هذا الحديث ورد فى :

كنز العمال : ٣٤١٥٢ ـ كشف الخفاء : ٢ / ٣١٣ ، ٣٥٨ . الكامل لابن عدى : ٥ / ١٨٨٤ ، تذكرة الموضوعات لابن القيسرانى : ٨٣٩ .

وفى الصحاح اليد : النعمةُ والإحسان تصنعه .

وهذه الأحاديث الثلاثة تدور حول معنى واحد ، هو أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكافىء صاحب اليد المولى بالنعمة أحداً من أهل البيت . . والنبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، هذا بالمؤمنين عامة ، فمن باب أولى أهل بيته ، ومن آمن من قومه . .

الحديث الخامس والخمسون

أخرج البارودى عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « إنى تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا ـ كتاب الله ـ سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض » .

هذا الحديث ورد فى :

صحيح الترمذى : ٣٧٨٨ ، الدر المنثور : ٢ / ٦٠ ، مشكاة المصابيح : ٦١٤٤

إتحاف السادة المتقين ١٠ / ٥٠٧ ، كنز العمال : ٨٧٣ ، ٩٤٣ ، ٩٤٥ .

الشفاء للقاضى عياض ، ٢ / ١٠٥ الفارابى ، أمالى الشجرى : ١ / ١٥٢

وقد سبق شرح مثل هذا الحديث .

الحديث السادس والخمسون

أخرج أحمد والطبرانى عن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إنى تارك فيكم خليفتين ـ كتاب الله حبل ممدود مابين السماء والأرض ، وعترتى أهل بيتى ـ وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض »

هذا الحديث ورد فى :

مسند الإمام ابن حنبل : ٥ / ١٨٢ ـ ١٨٩ ، مجمع الزوائد : ٩ / ١٦٢ . الدر المنثور : ٢ / ٦٠ كنز العمال : ٨٧٢ ، ٩٤٧ .

ولفظ مجمع الزوائد : « إنى تارك فيكم خليفتين : كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حبل ممدود مابين السماء والأرض ـ أوْ مابين السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، وإنَّهما لن يتفرَّقَا حتَّى يَردَا عَلَىَّ الحوض »

وقد سبق مثل هذا الحديث .

الحديث السابع والخمسون

أخرج الترمذى والحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ مرفوعاً . « ستة لعنهم الله . وكل نبى مجاب ـ الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ، ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ماحرم الله ، والتارك لسنتى » .

هذا الحديث ورد فى :

مجمع الزوائد : ١ / ١٧٦ ، ٧ / ٢٠٥ ـ المستدرك : ١ / ٣٦ دار المعرفة بيروت لبنان . سنن الترمذى : حديث رقم : ٢١٥٤ .

ولفظ المستدرك : « سِتَّةٌ لَعَنْتُهُم لعنهم الله وكل نبيٍّ مجاب : المكذِّبُ بقدر الله ، والزائد فى كتاب الله ، والمسلِّط بالجبروت يُذِلُّ من أعزَّ اللَّه ويُعِزُّ مَنْ أَذَلَّ اللَّه ، والمستحلُّ لحرم اللَّه ، والمستَحِلُّ من عترتى ماحرَّم الله والتارك لسنتى »

ولفظ مجمع الزوائد : « سِتَّةٌ لَعَنْتُهُمْ ولَعَنَهُمُ الله وكلُّ نبيٍّ مجاب - الزائد فى كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ، والمكذب بقدر الله عز وجل ، والمتسلط بالجبروت والمستحلُّ حرمة الله ، والمستحل من عترتى ماحرم الله ، والتارك السنة » .

وحديث المستدرك ورد فى كتاب الإيمان جـ١ صـ٣٦ ، وورد أيضاً فى كتاب الأحكام جـ٤ صـ٩٠

وأسنده إلى عائشة - رضى الله عنها -

وأسنده أيضاً إلى على بن أبى طالب

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخارى .

وجاء الحديث فى الجامع الصغير برقم ٤٦٦٠ وعزاه إلى الترمذى ، والحاكم عن عائشة ، وعن ابن عمر - ورمز له بالصحة .

قال المناوى : أخرجه الترمذى والحاكم فى الإيمان عن عائشة ، والحاكم عن على أمير المؤمنين ، وقال : على شرط البخارى ، وتعقبه الذهبى فى التلخيص ، لكنه فى الكبائر خَرَّجَه من حديث عائشة - ثم قال : إسناده صحيح .

وجاء الحديث أيضاً فى سنن الترمذى فى كتاب القدر - باب رقم ١٧

جـ١٤ صـ٤٥٧ رقم ٢١٧٤ عن عائشة .

وقال : قال أبوعيسى ـ هكذا روى عبدالرحمن بن أبي الموالى هذا الحديث عن عبيدالله بن عبدالرحمن بن موهب عن عمرة عن عائشة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورواه سفيان الثورى ، وغير واحد عن على بن حسين عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسلاً . . راجع تعليق جمع الجوامع على هذا الحديث جـ٢ صـ٢٣٦٢ ط مجمع البحوث الإسلامية .

الحديث الثامن والخمسون

أخرج الديلمى فى الأفراد والخطيب فى المتفق ، عن على عليه السلام قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ستة لعنهم الله وكل نبى مجاب ـ الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله . والراغب عن سنتى إلى بدعة ، والمستحل من عترتى ماحرم الله ، والمتسلط على أمتى بالجبروت ، ليعز من أذل الله ، ويذل من أعز الله ، والمرتد أعرابيا بعد هجرته »

ورد هذا الحديث فى :

مجمع الزوائد : ١ /١٧٦ ، ٧ /٢٠٥

وفى الصحاح : رغبتُ فى الشيء إذا أردته ، ورغِبْتُ عن الشيء إذا لم ترده وزهدت فيه ، والبدعة : المستحدث والحَدَثُ فى الدِّين بعد الإكمال .

وهذا الحديث أورده السيوطى فى جمع الجوامع برقم ١٠٢ /١٤٦١٣ جـ٢ صـ٢٣٦٩

وقال أورده الدارقطنى فى الأفراد ، والخطيب فى المتفق والمفترق عن على وقال الدار قطنى : هذا حديث غريب من حديث الثورى عن زيد بن

على بن الحسين ـ تفرد به أبوقتادة الحرانى عنه .

وأبوقتادة هو عبدالله بن واقد أبوقتادة الحرانى ، مات سنة ست عشرة ومائتين ـ ترجمته فى الميزان برقم ٤٦٧٢ وقال : قال البخارى سكتوا عنه ، وقال أيضاً : تركوه ، وقال أبوزرعة والدارقطنى : ضعيف ، وقال أبوحاتم : ذاهب حديثه .

وهذا الحديث يعضد الحديث السابق ، ويؤكد أن عترة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجب أن يكون أفرادها قدوة للناس ، وقمة فى المثل العليا ، والخارج على ذلك منهم يلحق بمن ذكرهم الحديث فى النكير والوعيد .

الحديث التاسع والخمسون

أخرج الحاكم فى تاريخه والديلمى عن أبى سعيد رضى الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من حفظهن حفظ الله له دينه ودنياه ، ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيئاً ، حرمة الإسلام ، وحرمتى ، وحرمة رحمى » .

هذا الحديث ورد فى :

كنز العمال : ٤٣٣٣٨

وأورده السيوطى فى جمع الجوامع برقم ٩٦ / ١٣٠٠٠ جـ١ صـ١٣١٠ وقال أورده الحاكم فى تاريخه عن أبى سعيد . .

والعلاقة بين هذه الأشياء الثلاثة واضحة ـ فرأس الأمر الإسلام ، وبدونه لاينال الإنسان شيئاً مهما قدم من عمل صالح ، فحرمته لابد أن تظل

نصب عين المسلم . والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى أقام عمود هذا الإسلام بدعوته إليه وجهاده فيه ، فلابد من مراعاة حقه وحفظ حرمته .

وحفظ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حرمته يترتب عليه حفظ حرمة رحمه ، ومعرفة حقوقهم كدليل صدق وشهادة حق على حب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يقول : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى »

الحديث الستون

أخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « خير الناس العرب وخير العرب قريش وخير قريش بنو هاشم » .

هذا الحديث هو تمام رسالة السيوطى ، وقد ورد فى :

كنز العمال : ٣٤١٠٩ . الفوائد المجموعة للشوكانى : ٤١٤ تنزيه الشريعة لابن عراق : ٢ / ٣٦ القاهرة ، تذكرة الموضوعات : ١١٢ بيروت .

وفى الصحاح : الخَيْرُ : ضد الشرِّ ، والخيار خلاف الأشرار ، فإن أردت معنى التفضيل قلت : فلانة خير الناس ، وفلان خير الناس ، ولم تقل أخير ـ ولايثنى ولا يجمع لأنه فى معنى « أفعل » التفضيل .

وأورده جمع الجوامع بزيادة هى : وخير العجم فارس ، وخير السودان النوبة ، وخير الصبغ العصفر ، وخير المال العقر ، وخير الخضاب الحناء »

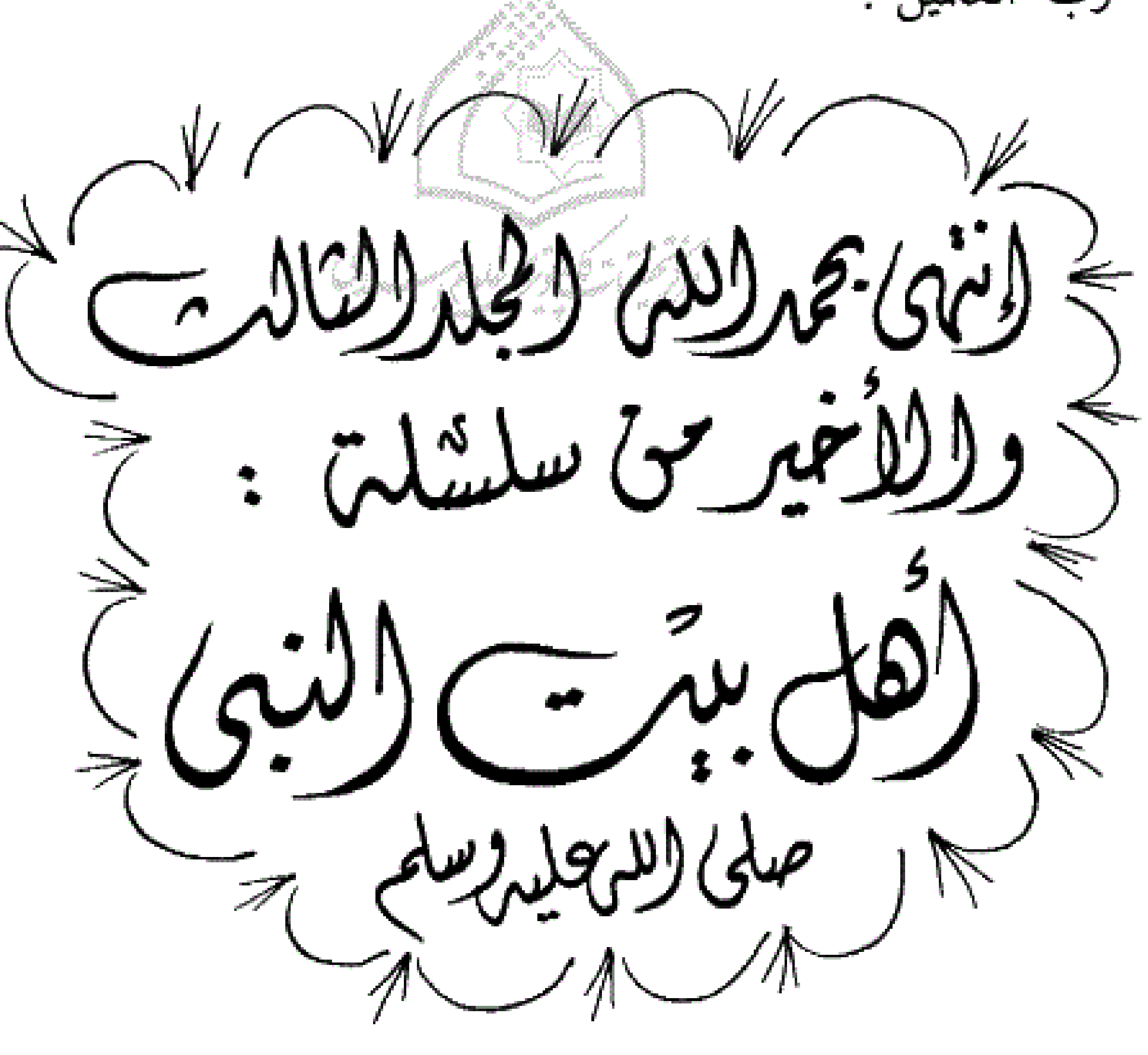
وقال : أخرجه الديلمى عن على - رضى الله عنه -

وعلقت عليه لجنة التحقيق : بأن هذا الحديث فى الفوائد المجموعة - للشوكانى صـ٤١٤ رقم ١٦٨ ، قال الشوكانى وهو موضوع وفى إسناده مجهولون ، - جمع الجوامع جـ٢ صـ١٨١٣ حديث رقم ٣٣٢ / ١٣٨٢١ .

وإن كان متن الحديث المذكور لايتنافى فى معناه مع أحاديث أخرى وردت بهذا المعنى .

وقد يكون الحديث بالإضافة التى وردت فى جمع الجوامع هى التى جعلت الشوكانى يحكم عليه بالوضع والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين .



الموضوع	الصفحة